العدد ٢ يوليو ٢٠٢٢ ذو الحجة ١٤٤٣

الأمين العام للهيئة
د. محمد الصغير

رئيس التحرير
محمد إلهامي

أنصار النبي ﷺ

تصدر عن الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ

محتويات العدد

علماء الهيئة

أنصار النبي ﷺ

(هو الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وبِالْمُؤْمِنِينَ)

تصدر عن الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

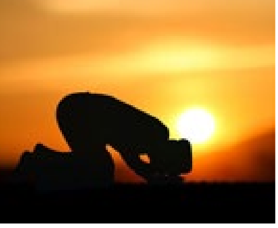
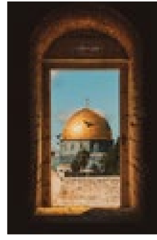
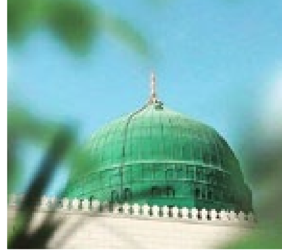
AnsarMagazine

الأمين العام للهيئة
د. محمد الصغير

رئيس التحرير
محمد إلهامي







أئمة الهدى

الصادعون بالحق

ترحب مجلة « أنصار النبي ﷺ » بمشاركات السادة القراء الكرام على هذا النحو:

١ كتابة المقال، وأن يكون مقالاً لا تنقصه الرصانة العلمية ولا العاطفة الدعوية، على ألا يتجاوز في أقصى الأحوال ١٥٠٠ كلمة، مذيلاً بالاسم الحقيقي لصاحبه.. ويتعلق بموضوع المجلة عن التعريف بالنبي ﷺ وشمائله وفضائله وأخلاقه ورحمته بأمته والتذكير بحقه وواجبات الأمة نحوه، والدفاع عن سنته ومحبة آل بيته وصحابته، ورد الشبهات عنه.

٢ ترشيح مادة كتبها عالم من العلماء الراحلين، أو من المؤسسات الإسلامية العريقة كالأزهر في مصر وهيئة كبار العلماء في الجزيرة وندوة العلماء في الهند تتعلق بموضوعات المجلة.. مع التوثيق الدقيق لهذه المادة: في أي كتاب أو مجلة نشرت بالصفحة وتاريخ الطبعة، أو رابط المادة على الانترنت.

أو ترشيح مادة كتبها أحد العلماء والدعاة الأسرى فيما يتعلق بموضوع المجلة، مع التوثيق الدقيق لمصدرها.

٣ تفريغ مادة صوتية لأحد العلماء -الراحلين أو الأسرى- مع توثيق مصدرها.

•• ولا نستغني أبداً عن مجهود القراء ومساعدتهم في نشر المجلة أو في ترجمتها إلى لغات أخرى أو في طباعتها وتوزيعها في بلدانهم، فحقوق الطبع والتوزيع محفوظة لكل مسلم.

•• ترسل المشاركات على البريد الإلكتروني التالي : admin@ansarmag.com

الافتتاحية

كشف الهيئة



د. محمد الصغير

الأمين العام للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ



بدأت فرنسا حملةَ الإساءةِ إلى مقامِ رسول الله ﷺ، فعليها وزرُها ووزرُ من سار على دربِها واتّبع طريقتَها، وكان لابد من ردٍّ يُعَبِّرُ عن مكانةِ النبيّ الخاتمِ في نفوسِ أتباعه، الذين يقاربُ عددهم ملياري مسلم، عامّتُهم على كامل الأُهبّة للتضحيةِ بأعمارهم، وأبنائهم، وأمهاتهم، وآبائهم وأموالهم، فداءً لرسول الله ﷺ.

فَهدَى اللهُ هذه القلوبَ الممتلئةَ غضباً وحباً، إلى الانبعاثِ لنصرةِ رسول الله ومواجهةِ الاعتداءِ المنتظم، بالدفاع الواعي المنظم، من خلالِ التفافِ الأمة حول دَعوات الانتصارِ لرسولِها، وتوحيدِ الكلمةِ على المُجترئ المفتري، والضربِ عن قوسٍ واحدٍ بسهامِ الرباطِ على ثغرِ المحبةِ والنُّصرةِ، رافعين شعار: إن فاتنا شرفُ الصحبةِ، فلا يفوتُنا شرفُ النُّصرة، فكانت الهيئةُ العالميةُ لنصرةِ نبيّ الإسلام التي تَوخَّينا أن تكون لبناتُها هي كل قلبِ مسلم، لا صرحاً من الأسمنت واللّبِن، فكانت كما أُريدَ لها، قاطرةَ خيرٍ تُوجِّهُ عواطفَ المسلمين الغاضبة من الخُطّةِ المُمَنهجةِ للإساءات لرسول الله ﷺ.



بعد تدشين الهيئةِ في العشرين من ربيعٍ الأول عام ١٤٤٣هـ عقب الإساءة التي أقرها الفرنسي ماكرون، ودافعَ عنها، انبرى عددٌ من علماءِ الأمةِ ودعاتِها للذود عن النبي ﷺ، وأن يصبحَ الجنابُ النبوي ﷺ محفوظاً عن الخوضِ فيه، والتعرُّضِ له، وذلك من خلال مشاريعَ متعددة، ورؤيةٍ واضحة، ومن أهم هذه المشاريع والمساراتِ التي تحركت فيها الهيئة، المسارُ الإعلامي، حيث تفاعل مع الهيئة في حملة مسلمي الهند أكثر من مليار مسلم، وهو أمرٌ له دلالته، حيث وصل صوتُ الهيئةِ إلى عامّةِ الخلق، لتتولّى الأمةُ مجتمعةً مُهِمّةَ الذودِ والدفاع عن جناب النبي المصطفى ﷺ، وبذلك انتقلت الهيئةُ من مرحلةِ التعبيرِ عن الأمة، إلى مرحلةِ القيادة، والتأثير.

انطلقت منصات الهيئة عبر جميع وسائلِ التواصل الاجتماعي، وكان ذلك وِفقَ رؤيةٍ واضحةٍ، ومراحلَ متتابعةٍ.

●● **المرحلة الأولى:** التحفيزُ وبناءُ الكتلةِ الصُلبة، من خلالِ الوصولِ إلى أكبرِ عددٍ من شرائحِ المجتمع، وبدأت هذه المرحلةُ بإنشاءِ المنصاتِ، وجذبِ المتابعينِ، وتحفيز جمهورِ المسلمين، لفكرةِ نصرةِ رسول الله ﷺ، وتهيئتِهم شعورياً، للاهتمام بكل ما يَخُصُّ رسول الله ﷺ، وردِّ كلِّ مَن يتعرَّض لمقامه الشريف.

●● **المرحلة الثانية:** تنشيطُ المناصرين، ومدّهم بالمنتجاتِ الإعلاميةِ الخاصةِ برسول الله وسيرتِه العطرة، وأخلاقِه العظيمة.



●● **المرحلة الثالثة:** الانتقالُ من مرحلةِ التطوير، إلى مرحلةِ التعبير، عن استياء المسلمين من الإساءةِ لنبيهم، ومطالبةِ جمهورِ المسلمين بأخذِ المواقف، ومتابعةِ حملاتِ المقاطعةِ الفرنسية، وتوجيهِ المسلمين إلى أهمية هذه الوسيلة وغيرِها.

●● **المرحلة الرابعة:** الانتقالُ من مرحلةِ التعبيرِ إلى التأثير، من خلال قيادةِ معركةِ الوعي، وحشدِ المسلمين في مشارقِ الأرضِ ومغاربِها لتوحيد المواقف، وتنحيةِ الخلافاتِ نصرةً لرسول الله ﷺ، وظهر ذلك جلياً بفضل الله في الحملةِ الأخيرةِ التي أطلقَتْها الهيئة، وكانت المصدرَ الأساسَ لكافةِ الوسائلِ الإعلاميةِ العالمية.

نتائج غرس الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام (مليار متفاعل)

١ استمرارُ مقاطعةِ عددٍ كبيرٍ من المسلمين للبضائع الفرنسية لليوم ٦٠٥ على التوالي.

٢ دحضُ شبهاتِ العلمانيين والملحدين، حول رسول الله ﷺ، بطرقٍ إعلاميةٍ مشوقةٍ، ومنتجاتٍ مرئيةٍ احترافيةٍ.

٣ رصدُ ومتابعة الإساءات التي يتعرّضُ بها المغرضون، لجنابِ النبي الكريم، بإشراف علماء أكارم.

٤ نجحت الهيئةُ في تدشين حملةِ الناشط الإيغوري إدريس حسن، والتفافِ المسلمين حول قضيته.

٥ تدشينُ حملةِ «الإيغور مسلمون منسيون»، بعد تسريبِ وثائقَ حول إجبارهم على تَركِ الإسلام، وسبِّ الرسول داخل معسكراتِ التعذيب الصينية.

٦ رصدُ الإساءاتِ التي أصدرها مسؤولان هنديان، لمقام رسول الله ﷺ، وتدشينُ حملةٍ للدفاع عنه، وما يزال صداها يتردّد حول العالم حتى هذه اللحظات.

وكان من نتاج هذه الحملة

(أ) تَصَدُّر وسوم الهيئةِ منصاتِ التواصلِ الاجتماعيّ مثل: «إلا رسولَ الله يا مودي - غضبةُ المليار لرسول الله - جمعةُ نصرةِ رسول الله - مودي قَتَل مُدَثِّر».

(ب) إطلاقُ سراحِ الناشطةِ الهندية فاطمة عفرين، بعد يومٍ واحدٍ من تكثيف النشر عنها، وقيادة منصاتِ الهيئة لذلك.

(ت) إجبارُ الهندِ على تجميد المسئولين، وكسرِ غطرسةِ حزبِ بهاراتيا جاناتا، وإصدارِه بياناً حاول من خلاله تهدئة المسلمين الذين يرون أن الخطواتِ المتَّخذة لا تتناسبُ مع هذه الجريمة!

(ج) أصبح رئيسُ وزراءِ الهند وحزبِه، في موقفِ قلقٍ من نتائج الانتخابات النهائية، التي يُعِدُّ لها في ٢٠٢٤م وإضعافُ فرصِ فوزِ مُودي بولايةٍ ثالثةٍ أمام منافسته بريانكا غاندي.

(ح) أصبحت الهيئة بفضل الله عز وجل مصدراً تنقل عنه كبرى وسائل الإعلام العالمية والمحلية.

(خ) نزول جماهير من المسلمين في دول شتى للتعبير عن غضبهم بعد دعوة الهيئة لتوحيد خطبة الجمعة عن نصرة النبي ﷺ، والخروج في مسيرات بعد الجمعة، وتنظيم وقفات احتجاجية أم السفارات الهندية.

باتت الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام كياناً علمائياً في تنظيمه، جماهيرياً في خطواته، صحيح الفطرة في انفعالاته، مع كل خطب مؤثراً وفاعلاً رئيسياً في الأحداث، واستطاع في أيام لم تصل للعام أن يكون رأس حربة العمل الإسلامي في الدفاع عن جناب رسول الله ﷺ.

من الهند إلى فرنسا..
انتفاضةُ أمة وذكرَى بطل!



محمد إلهامي

عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

(رئيس التحرير)

تمر الأيام وتتطوي الذكريات، ويظلُّ الواقع يُلهِب ذكرى التاريخ، مثلما يَظلُّ التاريخ ينيرُ ظلامَ الواقع.

١ طمس النور الإسلامي في الهند!

كان شهر يونيو/حزيران هذا عصيباً على المسلمين في الهند، ولا يُتوقعُ أن يهدأَ الأمر في فترةٍ قريبةٍ، فقد أسفرت الألسنةُ عما تنطوي عليه النفوسُ، وسمع المسلمون تصريحاتٍ هندوسيةً كانت فوق خيالهم، فهذا إعلاميٌ هنديٌ يهدد بقصف المدينة المنورة، وهذا آخر يقرر أن كل مسجد بُني في الهند، فقد بُنِي على أنقاض معبدٍ هندوسيٍ،

وبلغ الحال براهبٍ هندوسيٍ حتى يقول: بأن مكة كانت هندوسيةً زاخرةً بتماثيل إلههم، وأن الكعبة بُنيت فوق أنقاض معبدٍ هندوسيٍ قديمٍ، ومن ثَمَّ فإن على الهندوس واجباً مقدساً يصل إلى هدم الكعبة، وإعادة بناء المعبد الهندوسي الكبير! ونَشَرَ بعضُهم خريطةً تشمل البلاد العربيةَ، وهي تحت حكم الهندوس، الذين قرروا أن يثأروا للبقرةِ من أولئك الناس الذين يأكلونها!



وقبل قليل من كتابة هذا المقال، طالعتُ تحقيقاً نشرته الصحيفة الهندية (The Indian Express) بتاريخ ٢١ يونيو ٢٠٢٢م، تكشف فيه عن خطةِ الحكومة الهندية لطمسِ التاريخ الإسلاميِ في الهند، وحذفِه من مناهج الكتب الدراسية، في المراحل التعليمية، وأنها الآن في المراجعة الثالثة، حيث نفذّت الحكومة ١٤٤٣ تغييراً على ١٨٢ كتاباً مدرسياً في المراجعة الأولى، التي جرت في ٢٠١٧م، بخلاف التغييرات التي جرت في المراجعة الثانية (٢٠١٩م)، ثم الثالثة التي تجري هذه الأيام!

وليس هذا غريباً، فإنه لا بد للظلمِ والباطلِ من طمس تاريخ، واصطناع تاريخ آخر، فهذه من ضرورات الظلم والباطل، وقد نبهَّنا إلى هذا المعنى سيدُنا عمرُ رضي الله عنه حين ذكر بأن الهلاك يأتي على يد مَن لم يعرف الجاهلية! وذلك أن المسلم إذا لم يعرف الجاهلية لم يعرف قيمة نعمةِ الإسلام عليه!

والهند كانت من أشد البلاد انحطاطاً أخلاقياً وظلماً اجتماعياً واستغلالاً طبقياً، إذ كان يجتاحها نظامٌ طبقيٌ في غاية القسوة، يجعل غالب الناس في مرتبة الحشرات والبهائم، الذين لا كرامة لهم، ولا حق في الحياة، ولا في الارتقاء، إنما هم عبيدٌ خُلِقوا لخدَمِ السادةِ لا غير! فإذا طُمِس تاريخُ الإسلامِ، فسيُطْمَس معه ما جاء به من العدالة والسعادة، وإنقاذ الناس من الظلم، وإخراجهم من الظلمات إلى النور.



لهذا فإن كثيراً من مثقَّفي الهند وزعمائه أثنوا على الإسلام ثناءً كثيراً، حتى لو أنهم لم يعتنقوه، وقد نقل العلامةُ أبو الحسن الندوي عن الكاتب الهندي نانالال شامانلال ميهتا قوله: «إن الإسلام قد حمل إلى الهند مشعلاً من نورٍ، قد انجلت به الظلمات التي كانت تغشى الحياة الإنسانية، في عصر مالت فيه المدنياتُ القديمةُ إلى الانحطاط والتدلي، وأصبحت الغاياتُ الفاضلةُ معتقداتٍ فكريةً، لقد كانت فتوح الإسلام في عالم الأفكار أوسع وأعظم منها في حقل السياسة، شأنه في الأقطار الأخرى، لقد كان من سوءِ الحظ أن ظل تاريخُ الإسلام في هذا القطر (الهندي) مرتبطاً بالحكومة، فبقيت حقيقةُ الإسلام في حجاب، وبقيت هِباتُه وأياديه الجميلةُ مختفيةً عن الأنظار»[١].

ونُقل أيضاً عن الزعيمِ الهندي الشهير جواهر لال نهرو، قولُه: «إن دخول الغزاةِ الذين جاءوا من شمال غرب الهند، ودخول الإسلام له أهميةٌ كبيرةٌ في تاريخ الهند، إنه قد فضح الفساد الذي كان قد انتشر في المجتمع الهندوكي، إنه قد أظهر انقسامَ الطبقاتِ واللمسَ المنبوذ، وحبَ الاعتزال عن العالم الذي كانت تعيش

---

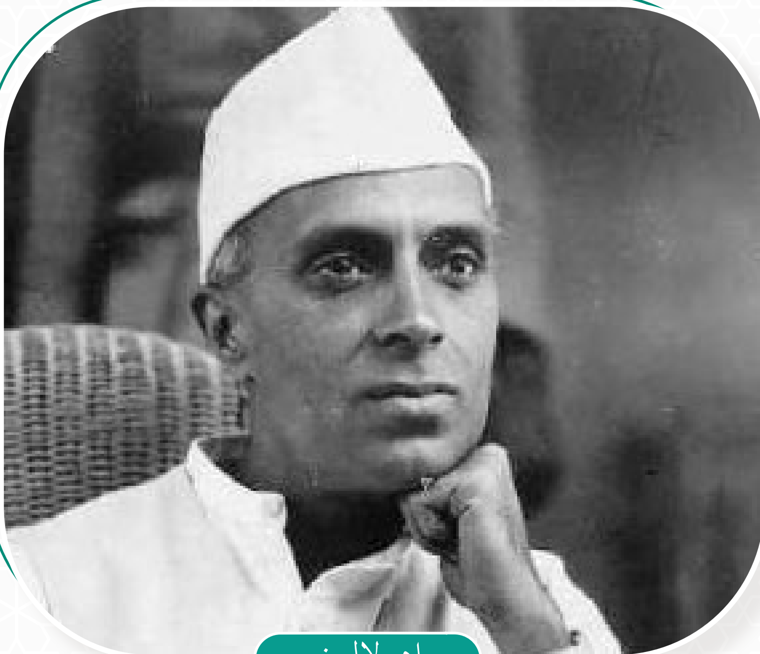
١. الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، (المنصورة: مكتبة الإيمان، د. ت)، ص١١٧.

فيه الهند، إن نظريةَ الأخوةِ الإسلامية والمساواة التي كان المسلمون يؤمنون بها، ويعيشون فيها، أثَّرت في أذهان الهندوس تأثيراً عميقاً، وكان أكثر خضوعاً لهذا التأثير، البؤساءُ الذين حرَّم عليهم المجتمع الهنديُ المساواةَ والتمتعَ بالحقوق الإنسانية».

وهذا الزعيم الهندي، جواهر لال نهرو، له فصلٌ رائعُ متميزٌ في كتابه «لمحات من تاريخ العالم»، يختصر فيه قصة الإسلام وحضارته، ويعرضُها بشكلٍ جميلٍ، وقد كتب الكتاب على صيغة رسائل منه لابنته، وهذه بعض أقواله[٢]:

١ يقول عن عظمة إيمان النبي ﷺ برسالته:

«هيَّأ بهذه الثقةِ وهذا الإيمان لأُمَّته أسبابَ القوةِ والعزةِ والـمَنعةِ، وحَوَّلها من سُكَّان صحراء، إلى سادة يفتحون نصف العالم المعروف في زمانهم. كانت ثقةُ العرب وإيمانهم عظيمَين، وقد أضاف الإسلام إليهما رسالة الأخوّة والمساواة والعدل بين جميع المسلمين، وهكذا وُلِدَ في العالم مبدأٌ ديمقراطيٌ جديد».


جواهر لال نهرو

٢ «كان محمد -كمؤسسي الأديان الأخرى- ناقمًا على كثير من العادات والتقاليد التي كانت سائدةً في عصره، وكان للدين الذي بَشَّر به -بما فيه من سهولة وصراحة وإخاء ومساواة- تجاوُب لدى الناس في البلدان المجاورة؛ لأنهم ذاقوا الظلم على يد الملوك الأوتوقراطيين والقساوسة المستبدين، لقد تعب الناس من النظام القديم، وتاقوا إلى نظامٍ جديدٍ، فكان الإسلام فرصتهم الذهبية، لأنه أصلحَ الكثير من أحوالهم، ورفع عنهم كابوس الضيم والظلم».

---

٢. جواهر لال نهرو، لمحات من تاريخ العالم، ترجمة: عبد العزيز عتيق، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٨م)، ص٢٦ وما بعدها.

٣ «المدهش حقًّاً أن نلاحظ هذا الشعب العربي -الذي ظلَّ منسيًّا أجيالاً عديدة، بعيدًا عمَّا يجري حوله- قد استيقظ فجأةً، ووثب بنشاطٍ فائقٍ أدهش العالم، وقَلَبَه رأسًا على عقب، وإن قصة انتشار العرب في آسيا وأوربا وإفريقيا، والحضارةَ الراقيةَ، والمدنيَّةَ الزاهرةَ التي قدموها للعالم، هي أعجوبةٌ من أعجوبات التاريخ! إن الإسلام هو الباعث والفكرة لهذه اليقظة العربية، بما بثَّه في أتباعه من ثقة ونشاط».

٤ «إنكِ إذ تقارنين رسالةَ الأخوّة الإسلامية هذه بحالة النصرانيةِ المنحلَّة، تعرفين مقدار سِحْر هذه الرسالة وتأثيرِها، لا على العرب وحدهم، ولكن على جميع شعوب البلدان التي وصل إليها العرب!».



٥ «سار العرب من فتحٍ إلى فتحٍ، وكثيرًا ما ربحوا الحروب بدون قتالٍ، وفي غضون خمسةٍ وعشرين عامًا من وفاة الرسول، فتح العرب جميع بلاد فارس وسوريا وأرمينيا، وجزءًا من أواسط آسيا الشرقية، ومصرَ، وجزءًا من شمال إفريقيا، وقد سَلَّمَتْ لهم مصرُ بسهولةٍ؛ لأنها كانت قد قاست كثيرًا من استبداد الإمبراطورية الرومانية، ومن الحروب الطائفية».

٦ «إن العرب كانوا في بداية يقظتهم متقدين حماسًا لعقيدتهم، وإنهم كانوا مع ذلك قومًا متسامحين؛ لأن دينهم يأمر في مواضعَ عديدةٍ بالتسامح والصفح، وكان عمر بن الخطاب شديد الحرصِ على التسامح عندما دخل بيت المقدس، أما مسلمو إسبانيا فإنهم تركوا للجاليةِ المسيحيةِ الكبيرة هناك حريةَ العبادةِ التامَّة، وكانت صِلات المسلمين مع الهند -التي لم يحكموا منها إلا السند- صِلاتٍ ودية، والواقع أن أبرز ما يميز هذه الفترة من التاريخ هو الفرقُ الشاسعُ بين تسامحِ العرب المسلمين، وتعصُّبِ النصارى الأوربيين».

٧ «برز هؤلاء العرب السُذّج شامخين في عالمهم، فدانت أمام زحفهم المظفر، الجيوشُ الجرارةُ والأمراءُ، كانت الشعوب الأخرى متململةً من أمرائها، فَلَاحَ العرب كبارقةِ الأملِ لهذه الشعوب التي كانت ترقُبَ الفرجَ والثورةَ الاجتماعية».

وقد رأى فريقُ مجلتِنا «أنصار النبي ﷺ» في هذا الموقف أن نخصص قسم «أئمة الهدى» من هذا العدد، والذي يستعرض تراث علمائِنا الراحلين، ومؤسساتنا الإسلامية العريقة، رأى فريق المجلة أن نُخصّصَ هذا العدد للعلماء الهنود، وسيرى القارئُ الكريمُ في هذه المواد المعروضة عليه، كيف كانت الجاهلية الهندية التي قاسى منها الناس في زمن بعثة نبينا ﷺ، ثم سيرى نقولاً من بحثٍ بديع للشيخ صفي الرحمن المباركفوري عن البشارات بالنبي ﷺ في كتب الديانات الهندوسية القديمة، وهو بحثٌ عجيبٌ، نرجو ونُلحُّ على القارئ الكريم أن يرجع إليه كاملاً، ليرى كيف أن نبينا ﷺ كان موصوفاً في كتب الديانات القديمة باسمه، واسم أبيه، واسم أمه، واسم بلدته، وعدد صحابته وأعدائه، حتى نوع دابته!



إن المسلمين في شبه القارة الهندية وحدها (الهند، باكستان، بنجلاديش)، يمثلون ثلث الأمة الإسلامية، وإنتاجهم العظيم قد استفاد منه المسلمون شرقاً وغرباً، ولا يزال الكثير من تراثهم العظيم بحاجة إلى ترجمة وعناية ونشر، وكل هذا يُضاعِف من مسؤوليتنا تجاه إخواننا المسلمين في الهند.

٢ الحملة المباركة

في شهر يونيو/حزيران الماضي (٢٠٢٢م)، جاوزت الحملةُ المباركةُ، حملةُ مقاطعةِ المنتجاتِ الفرنسية، حاجز الستمائة يوم، في أطول حملةٍ شعبيةٍ تستمر عبر منصاتِ التواصل الاجتماعي، ثم تأتي الحوادث لتزيدَنا إصراراً وتمسكاً بهذه الحملة، ففرنسا كانت القدوة في تبنّي النظامَ السياسيّ نفسه للإساءة للإسلام والنبي ﷺ، وتمسّكت بهذا الموقف بل رأت فيه الفرصةَ المناسبةَ لبدء عمليةِ تضييقٍ واسعةٍ على المنظمات الإسلامية، وشرّعت القانون

الذي زعمت أنه لمناهضةِ «الانفصالية الإسلامية»، ثم إنها لم تقف ساكتةً إبان الحملة الهندية، بل خرجت تصريحاتٌ فرنسيةٌ داعمة لما تقوم به الهند، وهو ما يجدّدُ ويؤكدُ هذه العداوةَ المتأصلةَ والمستمرة في فرنسا للإسلام والمسلمين.

ذكرنا من قبل أن فرنسا هي أقدم عدوٍ للإسلام والمسلمين، وأنهم يرون أنفسهم منقذي أوروبا من الفتوح الإسلامية، وأنهم كانوا رأس الحربة، ولهم نصيبُ الأسد من جيوشِ الحملاتِ الصليبية، وهم أصحاب الهجمةِ الأولى على قلب العالم الإسلامي في العصر الحديث، المتمثل في الحملة الفرنسية على مصر مطلع القرن التاسع عشر!



وهذه العداوة الراسخة المتأصلة في فرنسا لا تَخفَّى، وقد نقل العلامةُ محمد رشيد رضا في «تاريخ الأستاذ الإمام» أن محمد عبده كان يقول: **«لا توجد أمةٌ تبغضُ المسلم لأنه مسلم لا لأمر آخر إلا فرنسا».**

•• **وأطال في بيان ذلك، ومما قاله:** أنني لما كنتُ أجتمع مع أحد الفرنساويين للمذاكرة في أحوال الشرق أمتعض، وينتفض -أو يرتعش- جسمي كله. وقال: إن الفرنساوي إذا مدَح الإسلام، وذكر شيئاً من مزاياه، فلا بد أن يكون غرضُه من ذلك منفعةَ فرنسا، وذكر عدةَ رجالٍ منهم ألَّفوا كتباً بهذا المعنى، ثم صرحوا، ولو في آخر ما كتبوا بحالتهم مع المسلمين في الجزائر، وما ينبغي عمله لبقاء سلطتهم فيها.

•• **يقول رشيد رضا:** كنت قد استغربت هذا القول من الأستاذ، ثم رأيت كثيراً من الشواهد والدلائل التي تؤيده، وأقواها ما كتبه فيلسوف فرنسا الاجتماعي ومؤرخها الحر الدكتور جوستاف لوبون، إلى عبد الغني ستي أفندي التركي المشهور، وهو نصُّ صريح في هذا المعنى مع بيان سببه وهو الدين الكاثوليكي. ذلك بأن عبد الغني أفندي هذا قرأ بعد الحرب الكبرى (العالمية الأولى) كتاباً لهذا الفيلسوف في أسباب الحرب وفلسفتها، أنحى فيه

بالتخطئةِ على الدولة العثمانية لدخولها الحرب مع ألمانيا، فكتب إليه مبيناً عذرَ دولتِه في ذلك، وهو اتفاقُ فرنسا مع الروسيا من قبل الحرب على تقسيم بلادها، وإعطاءِ الآستانةِ لروسيا. فلم يلبث أن جاءه مرجوع الكتّاب من الفيلسوف، يعترف له فيه بالحق، أي بعذر الدولة، ويصرح فيه ببغض فرنسا وقومه المسلمين... ونشر هذا الجواب في مجلة الهلال بلغته الفرنسية وهذه ترجمته (من ص٦١٦من العدد السادس من السنة الثالثة والثلاثين):

«أراكم فيما كتبتم على تمام الإصابة. سأسعى في نشره في إحدى الجرائد الفرنسوية. لكنني لست واثقاً من أن أُوفَّق. لأن العقيدةَ الكاثوليكية المتوارثةَ فينا تجعلنا من ألدِّ الأعداء للمسلمين»[٣].



ومن عجائبِ التوافقِ في أيام التاريخ، أن يكون هذا في ذكرى استشهاد البطل الإسلامي الكبير سليمان الحلبي (١٧ يونيو ١٨٠٠م)، الذي قَتَل قائدَ الحملة الفرنسية الجنرال كليبر بسكينه، ثم حُكِم عليه بإحراق يده، وإعدامه بالخازوق، ليطولَ عذابُه قبل أن يموت. ولما مات أخذوا جثمانَه إلى فرنسا، وهناك نصبوه في متحف، ولا تزال جمجمته لديهم حتى الآن!

لكن جثمان سليمان الحلبي ظل منصوباً، حتى لقد رآه هناك أحمد شفيق باشا، المؤرخ المعروف الذي تولى رئاسة الديوان الخديوي زمن عباس حلمي الثاني، وذلك إبان بعثته إلى فرنسا كما سجَّل هذا في مذكراته، وكان بعض المسلمين يذهب فيصلي عليه صلاة الجنازة[٤].

وقد انتبه أحمد شفيق إلى هذه العداوة المتأصلة للإسلام في فرنسا، مع أنه كان حينئذ طالباً مبتَعثاً خالي الذهن من هذا الشأن، وذلك حين حضر «محاضرةً في مدرسةِ العلوم السياسية عن سياسة فرنسا في الجزائر»،

٣. محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام، (القاهرة: مطبعة المنار، ١٩٣١م)، ١/٩٢٤، ٩٢٥.

٤. أحمد شفيق، مذكراتي في نصف قرن، ١/٣١٢.

تناول فيها المحاضرُ السياسة الغربية في هذه البلاد وخططها ومشاريعها، ومما قاله: «إن فرنسا تلاقي عنتاً في اغتنام عطف العرب، لأنه يتعذر امتلاك قلوبهم، ما دام الإسلامُ يحول بينهم وبين الخضوع لأمةٍ نصرانية»، فكانت الفكرة المقصودة بهذه العبارة هي أن تُوجّهَ فرنسا جهودَها لإخمادِ حميةِ الإسلام في نفوس الشعب الجزائري، تمهيداً لاستعباده المطلق، وهذا ما تميزت به السياسةُ الفرنسيةُ في شمال إفريقيا»[٥].

في الواقع، فإن قصة سليمان الحلبي، الذي تمرُّ بنا ذكراه، تختصر قصة المواجهة بين الأمة المسلمة وبين الغرب وفي قلبه فرنسا.. كيف هذا؟!

١ مع أنه أُمْسِك بسليمان ومعه السلاح القاتل، إلا أنهم لم يقتلوه، بل نصبوا له محكمةً تسمعُ أقوالَه، وتُسائله وتسجل إجاباتِه! يبدو مظهراً حضارياً حقاً.. لكن هذا المظهر الحضاري ليس إلا غلافاً برّاقًا للجوهر الخبيث الذي عبَّر عن نفسه في الضرب الذي تعرض له المتهم حتى اعترف، ثم عبَّر عن نفسه في العقوبة الوحشية التي أُنْزِلت به، وعبَّر عن نفسه في قتل المشايخ الذين اتهمتهم الفرنسيون بأنهم عرفوا نيةَ سليمان ولم يُبلِّغُوا عنه، وعبَّر عن نفسه في هياجِ الجنودِ الفرنساوية الذين اندفعوا في شوارع مصر يقتلون مَن قابلَهم -رجلاً أو طفلاً أو شيخاً- انتقاماً لمقتل قائدهم!

نعم، إن فرنسا أتقنت تغليفَ وحشيّتِها بغلافٍ من الشكل القانوني اللطيف، ثم تُسَمِّي هذا حضارة[٦]! فهذا المظهرُ الحضاريُ الزائف، الذي يُغلِّف طغياناً وعتواً كبيراً، غرَّ بعض أبناءِ أمتِنا حتى نفروا من شريعتهم الغراء، وتعلَّقوا بهذا الطغيان المزخرف!

٢ قبل أن تَنخَر في عقولنا فكرةُ الوطنيةِ القُطرية الضيقة، كان الفتى الحلبي يرى نفسه مُكَلَّفًا بالدفاع عن المسلمين في مصر، وهو ابن حلب التي لم يقتحمها الجيش الفرنسي! فلو أنه كان في زماننا الآن لكان هو نفسه موصوفاً بالإرهاب، وموضوعاً تحت تصنيف «الجهادي العالمي» و«المقاتل الأجنبي» الذي تُعاقب عليه القوانين المحلية والدولية! وذلك أمرٌ صار يتقبله كثيرٌ من الناس، إذ يستغربون قتالَ الشاميّ في مصر، أو المصريّ في الشام!

إن البطولةَ التي يُمثِّلُها سليمانُ الحلبي ستظل دائماً مُلْهِمة، ستظل ذكرى تقاومُ زيف الأكذوبة الحضارية في الغرب، وتقاومُ انقسام الأمةِ وفقَ الحدودِ التي وضعها الأجانب!

---

٥. المصدر السابق، ١/٣٠٠.

٦. للأستاذ جلال كشك رحمه الله تعليق بديع على أجواء محاكمة سليمان الحلبي، في كتابه الرائع «ودخلت الخيل الأزهر».

الرسول القدوة وميراث الاقتداء



الشيخ سامي الساعدي

عضو الأمانة العامة بالهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

{لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيراً} (الأحزاب ٢١)

الاقتداء: مجالات وأولويات

كثيرًا ما نسمع هذه الآية تتردد على ألسنة كثير من المسلمين في معرض الاستدلال على وجوب اتباع هدي النبي ﷺ، في هيئات صلاته ونسكه، ومظهره ولباسه. ولكن ماذا بعد؟ هل هذا هو موطن القدوة فيها فحسب؟ لا والله.



بل هو القدوة في البيت والمسجد، في السوق والمجلس، في الحرب والسلم، في السفر والإقامة. بل إننا إذا استدعينا دلالةَ سياق الآية، وكونَها نزلت في غزوة الأحزاب يتبين لنا بوضوح أنها تُقِيمُ لنا معالمَ القدوة في أثناء الجهاد، عندما تبلغ القلوب الحناجر، وتَخنُق الظنونُ السيئةُ حناجرَ المنافقين فتنطق بالتخذيل والإرجاف، ويزلزَلُ المؤمنون زلزالًا شديدًا، ففي وسط هذه الابتلاءات يتجلى الصبر النبوي، ويضيء اليقين المحمدي ليكون لكل راجٍ كثير الذكر نورًا يمشي به في الناس فلا تضره فتنة ما دامت السماواتُ والأرض.



وقد تقرر في علم الأصول وعلوم القرآن أنه لا يجوز أن نُخرِج صورة سبب نزول الآية من مدلول النص، فهي داخلة فيه إما قطعًا كما هو قول جمهور العلماء - حتى حكى بعضهم فيه الإجماع - وإما ظنًا كما رُوِي عن الإمام مالك رحمه الله تعالى.

قال السيوطي رحمه الله: «دخول صورة السبب قطعي وإخراجها بالاجتهاد ممنوع كما حكى الإجماع عليه القاضي أبو بكر في التقريب». [الإتقان]

وقال صاحب مراقي السعود:

واجزِمْ بإدخال ذواتِ السببِ .. واروِ عن الإمام ظنًا تُصِبِ



وإذا نزّلنا هذه القاعدة على موضوع حديثنا وهو القدوة النبوية المذكورة في قوله تعالى: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة...} ثم عرفنا سياقها وسبب نزولها أدركنا مدى خطأ من يقصر دلالتها على الاقتداء به في هديه الظاهر أو في بعض أنواع عباداته وأنساكه.

فأول ميادين الاقتداء به هو صبره وقت الشدائد ويقينه بنصر الله في حروبه، وتثبيته أتباعه عند زلزال النفوس

وعلى الإشارة إلى هذا المعنى درج سائر المفسرين. قال القرطبي في هذه الآية: «هذا عتاب للمتخلفين عن القتال، أي كان لكم قدوة في النبي ﷺ حيث بذل نفسه لنصرة دين الله في خروجه إلى الخندق... (أسوة) .. فيُقتدَى به في جميع أفعاله، ويتعزى به في جميع أحواله، فلقد شُجّ وجهه، وكُسرتْ رَباعيتُه، وقُتِل عمُّه حمزة، وجاع بطنه، ولم يُلْفَ إلا صابراً محتسباً، وشاكراً راضياً».

وقال ابن عطية: «يجب أن يقتدى بمحمد عليه السلام حين قاتل وصبر وجاد بنفسه».

وقال البيضاوي: «(أسوة حسنة) خصلة حسنة من حقها أن يؤتسى بها، كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد».

وقال القاسمي: «في أخلاقه وأفعاله قدوة حسنة، إذ كان منها ثباته في الشدائد وهو مطلوب، وصبره على البأساء والضراء وهو مكروب ومحروب، ونفسه في اختلاف الأحوال ساكنة، لا يخور في شديدة، ولا يستكين لعظيمة أو كبيرة، وقد لقي بمكة من قريش ما يشيب النواصي، ويهد الصياصي، وهو مع الضعف يصابر صبر المستعلي، ويثبت ثبات المستولي، ومن صبر على هذه الشدائد في الدعاء إلى الله تعالى، وهو الرفيع الشأن، كان غيره أجدر إن كان ممن يتبع بإحسان (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) أي: رضوان الله، ورحمته، وثواب اليوم

الآخر، ونجاته، فإنه يؤثرهما على الحياة الدنيا، فلا يجبن، إذ لا يصح الجبن لمن صح اقتداؤه برسول الله ﷺ، لغاية قبحه. (وذكر الله كثيراً) أي: وقرن بالرجاء ذِكْره تعالى بكثرة، أي: ذكر أمره ونهيه ووعده ووعيده، فأدرك مواطن السعادة ومهاوي الشقاوة، وعلم أن في الثبات على قتل العدو، تطهيرَ الأرض من الفساد، وتزيينَها بالحق والصلاح والسداد، مما جزاؤه سعادة الدارين، والفوز بالحُسْنَيَيْن». [محاسن التأويل]

وقال السيوطي في تفسير الجلالين: (أسوة حسنة) «اقتداء به في القتال والثبات في مواطنه».

ثم بعد التأكيد على أن أول ما يدخل في مدلول الآية هو صورة سبب النزول، يتقرر أن (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)

فتعمّ الآية كل ما يدخل في معناها لغة، إلا ما أخرجه دليل. قال الألوسي عن الآية الكريمة إنها: «عامة في كل أفعاله ﷺ إذا لم يعلم أنها من خصوصياته كنكاح ما فوق أربع نسوة، أخرج ابن ماجه وابن أبي حاتم عن حفص بن عاصم قال: قلت لعبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما: رأيتك في السفر لا تصلي قبل الصلاة ولا بعدها، فقال: يا ابن أخي صحبت رسول الله ﷺ كذا وكذا فلم أرَه يصلي قبل الصلاة ولا بعدها، ويقول الله تعالى: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة.

فسيرته قدوة كلها، وشمائله رقيٌّ كلها، ولقد كان الرسول القائد ﷺ يربي أتباعه بالعمل كما يوجههم بالقول سواء بسواء، بل ربما كان التوجيه بالعمل أبلغَ من التوجيه بالقول. ففي التجهيز لغزوة الأحزاب وعند حفر الخندق لم يُصدِر النبي ﷺ أوامره للصحابة ببناء المسجد ثم يغادرهم إلى بيته ويخلد إلى الراحة، ولو فعل ما كان عليه من سبيل، فهو رسول الله واجب الطاعة في كل ما يأمر، ولكنه مع ذلك حمل معهم الطوب، وكابد معهم التراب، ولهذا عندما رأوه يشاركهم تلك المكابدة قالوا كما في (البخاري):



نحن الذين بايعوا محمدا •• على الجهاد ما بقينا أبدا

وهو يردد مقويًا عزائمهم:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخره •• فأكرمِ الأنصارَ والمُهاجِره

فالتأم الوعظ القولي مع الأسوة العملية، لتخرج مِن بينهما تركيبة إيمانية، تُذكي المشاعر، وتؤجج الحماس، وتلهِب العواطف. فيجيبون وقد التهبت نار حماستهم وارتفع منسوب إيمانهم:

لئن قعدنا والنبي يعمل •• لذاك منا العمل المضلَّل

وقال علي رضي الله عنه يومها كما في (سيرة ابن هشام):

لا يستوي من يَعْمُرُ المساجدا •• يدْأَبُ فيها قائما وقاعدا



وفي غزوة أُحد كُسِرَتْ رَباعيته ﷺ وشُجَّ وجهُه الشريف، وأبلى طائفة من أصحابه أحسن البلاء، {فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا}. فاستُشهِد منهم سبعون، وأُصيبَ آخرون، وشلّت يد طلحة ابن عبيد الله، وفُقِئَتْ عينُ قتادة بن النعمان، وتَرَّسَ أبو دجانة بظهره عن رسول الله ﷺ، فكانت السهام تقع في ظهره ولا يتحرك.

أتُرَى حماستهم تكون كذلك إن لم يرَوا قائدهم معهم في الوطيس الحامي؟! ولا عجب فقَدْ جَبَلَهُ ربه تبارك وتعالى على أن يكون أول من يمتثل ما يأمر به.

وقد وصف (الجُلَنْدَى) النبيَّ ﷺ بذلك عندما أرسل إليه يدعوه إلى الإسلام فقال: «لقد دَلَّني على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أولَ آخذٍ به، ولا ينهى عن شر إلا كان أولَ تاركٍ له، وأنه يغلب فلا يبطر، ويغلب فلا يهجر (أي لا يقول كلامًا قبيحًا)، وأنه يفي بالعهد ويُنجِزُ الوعد، وأشهد أنه نبي»[١].

وفي ثمرات الاقتداء وشمولها وكثْرَتِها يقول ابن حزم: «من أراد خيرَ الآخرة وحكمة الدنيا وعدل السيرة والاحتواء على محاسن الأخلاق كلها واستحقاق الفضائل بأسرها، فليقتدِ بمحمد رسول الله ﷺ، ولْيستعملْ أخلاقه وسِيَرَه ما أمكنه»[٢].

ومن عظمة الاقتداء بنبي الإسلام ﷺ وسَعَتِه أنه يستوعب أصحاب النزعات البشرية المتباينة، فيتعاهدها بالتهذيب، ويقوِّم نتوءاتها بالتشذيب، وذلك كالغضب والرضا، واللين والشدة، والصبر والشكر، فيكون ﷺ قدوة للهادئ والغضوب، والبطيء والعجول، والغني والفقير.

وكلهم من رسول الله ملتمسٌ •• غَرْفاً من البحر أو رشفاً من الدِّيَمِ

١. الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ ابن حجر، (١ / ٨٣٥).
٢. الأخلاق والسِّيَر، (ص٩١).

يقول ابن القيم مبيناً هذه الحقيقة: «ومما ينبغي أن يُعلَم أن كل خصلة من خصال الفضل قد أحلّ الله رسوله في أعلاها، وخصه بذِرْوة سَنامِها، فإذا احتجَّتْ بحالِه فِرقةٌ من فِرَق الأمة - التي تعرفتْ تلك الخصال وتقاسمتها على فضلها على غيرها أمكن الفِرقةَ الأخرى أن تحتجّ به على فضلها أيضاً. فإذا احتج به الغزاة والمجاهدون على أنهم أفضل الطوائف احتج به العلماء والفقهاء على مثل ما احتج به أولئك. واذا احتج به الزهاد والمتخلفون عن الدنيا على فضلهم احتج به الداخلون في الدنيا والولاية وسياسة الرعية لإقامة دين الله وتنفيذ أمره. واذا احتج به الفقير الصابر احتج به الغنى الشاكر... واذا احتج به أرباب التواضع والحلم احتج به أرباب العز والقهر للمبطلين والغلظة عليهم والبطش بهم. واذا احتج به أرباب الوقار والهيبة والرزانة احتج به أرباب الخُلق الحسن والمزاح المباح الذي لا يخرج عن الحق وحسن العشرة للأهل والأصحاب. وإذا احتج به أصحاب الصدع بالحق والقول به في المشهد والمغيب احتج به أصحاب المُداراة والحياء والكرم أن يبادروا الرجل بما يكرهه في وجهه. وإذا احتج به المتورعون على الورع المحمود احتج به الميسرون المسهلون الذين لا يخرجون عن سَعة شريعته ويُسْرِها وسهولتها.



وإذا احتج به مَن صَرَفَ عنايته إلى إصلاح دينه وقلبه احتج به من راعى إصلاح بدنه ومعيشته ودنياه فإنه بُعث لصلاح الدنيا والدين... واذا احتج به مَن أخذ بالعفو والصفح والاحتمال احتج به من انتقم في مواضع الانتقام... واذا احتج به مَن لم يدخر شيئاً لغدٍ احتج به من يدخر لأهله قوت سَنة. وإذا احتج به مَن سَرَدَ الصوم احتج به من سرد الفطر فكان يصوم حتى يقال لا يفطر ويفطر حتى يقال لا يصوم. واذا احتج به مَن رغِبَ عن الطيبات والمشتهيات احتج به مَن أحبَّ أطيب ما في الدنيا وهو النساء والطِيب. وإذا احتج به من ألان جانبه وخفض جناحه لنسائه احتج به مَن أدَّبهن وآلَمُهنّ وطلّق وهجر وخَيّرهُن. واذا احتج به مَن ترَك مباشرة أسباب المعيشة بنفسه احتج به مَن باشرَها بنفسه فأجر واستأجر وباع واشترى واستسلف وادّان ورَهَنَ...»[٣].

٣. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، (ص٢١٦- ٢١٧).

توريث السمت والأدب

وقد ورّث النبي ﷺ أصحابه الهدي العملي والسمت النبوي، واستمر هذا التوريث فيمن بعدهم إلى اليوم.

قال عبد الرحمن بن يزيد: «سألْنا حذيفةَ عن رجل قريب السمت والهدي من النبي ﷺ حتى نأخذ عنه، فقال: ما أعرف أحداً أقربَ سَمْتاً وهدياً ودَلّاً بالنبي ﷺ من ابن أم عبد». [متفق عليه] ابن أم عبد هو عبد الله ابن مسعود. والدَّلّ هو الظاهر الحسن الذي يدل على أن الباطن حسنٌ مثله.

وقالت عائشة رضي الله عنها: «ما رأيتُ أحداً كان أشبهَ سمتًا وهدياً ودَلّاً برسول الله ﷺ من فاطمة». [رواه أبو داود]

وقال النبي ﷺ لجعفر بن أبي طالب: «أشْبهتَ خَلْقي وخُلُقي». [متفق عليه]

وأما التابعون وتابعوهم فقد كثرت وصاياهم في نقل الأدب والسمت قبل الفقه والحديث أو معه على الأقل. فقال ابن سيرين: « كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم»[٤].



٤. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، (ص١/ ٩٧).



وقال الإمام مالك: كانت أمي تعممني وتقول:

«اذهب إلى ربيعةَ فتعَلَّمْ مِن أدَبِه قبل عِلْمِه»[٥].

ولقد عمل مالكٌ بوصية أمه فتطَبّعَ بطباع شيوخه وتأدَّبَ بآدابهم وعمل بوصاياهم، فمن ذلك أنه أخذ عنهم التثبت في الفتيا، والورع عن التسرع فيها، وألا يستنكف عن الاعتراف بعدم علمه إن سُئل عما لا يعلمه. قال عن شيخه ابن هرمز قوله: «ينبغي أن يورِّثَ العالِمُ جلساءه قولَ (لا أدري) حتى يكون ذلك أصلًا في أيديهم يفزعون إليه، فإذا سُئل أحدهم عمّا لا يدري قال: (لا أدري)[٦].

وقد أخذ تلاميذ مالك عنه هذا الورع وورَّثوه مَن بعدَهم؛ فقال ابن القاسم: سمعت مالكًا يقول: «إني لأفكر في مسألة منذ بضع عشرة سنة، فما اتفقَ لي فيها رأي إلى الآن»[٧]. ثم قال سحنون تلميذ ابن القاسم: إني لأُسألُ عن مسألة فأعرف في أي كتاب وورقة وصفحة وسطر، فما يمنعني عن الجواب فيها إلا كراهةُ الجرأة بعدي على الفتيا»[٨].

وكما ورثوا عنه الورع في الفتيا ورثوا الأدبَ عامةً، وفي ذلك يقول تلميذُه ابن وهب: «ما نقَلْنا مِن أدبِ مالك أكثر مما تعلمنا مِن عِلْمه»[٩].

ومِن أدبِ مالك الذي وَرِثه وورَّثه: توقير رسول الله ﷺ ومحبته وتعظيم حديثه

---

٥. ترتيب المدارك، (ص١/ ١٠٨).

٦. ترتيب المدارك، (١/ ١٣٨).

٧. ترتيب المدارك، (١ / ١٣٦).

٨. ترتيب المدارك، (١/ ١٠٠).

٩. سِيَر أعلام النبلاء، (٨/ ١٠٨).

ومن شيوخه الذين ورث عنهم ذلك أيوب السختياني أحد شيوخه الذين روى عنهم؛ فقد «سُئل مالك: متى سمعتَ من أيوب السختياني؟» فقال: حج حجتين، فكنت أرمقه ولا أسمع منه، غير أنه كان إذا ذُكر النبي ﷺ بكى حتى أرحمه، فلما رأيتُ منه ما رأيتُ وإجلالَه للنبي ﷺ كتبتُ عنه»[١٠].

وهكذا كان مالك في حلقاته عمومًا، وفي حلقة حديث رسول الله ﷺ خصوصًا. فقد كان مجلسه مجلسَ هيبة ووقار، وصفه الثوري فقال[١١]:

يأبى الجوابَ فما يراجَعُ هيبةً .. فالسائلون نواكسُ الأذقانِ

أدَبُ الوَقار وعزُّ سلطان التُّقَى .. فهو المَهِيبُ وليس ذا سلطانِ

وكان «إذا أراد أن يُحَدِّث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرّح لحيته وتَمَكّن في جلوسه بوقار وهيبة وحدّث، فقيل له في ذلك فقال: «أُحبُّ أن أعظّم حديث رسول الله ﷺ ولا أحدّث إلا على طهارة متمكناً». وكان يكره أن يحدّث في الطريق أو هو قائم أو يستعجل، وقال: «أحب أن أتفهم ما أحدّثُ به عن رسول الله ﷺ». ورُوي أيضاً عنه أنه كان يغتسل لذلك ويتبخر ويتطيب، فإن رفع أحد صوته في مجلسه زبره وقال: قال الله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ} فمن رفع صوته عند حديث رسول الله ﷺ فكأنما رفع صوته فوق صوت رسول الله ﷺ»[١٢].

وأوصى الإمام حبيبُ بن الشهيد ابنَه فقال: «يا بني إيتِ الفقهاء والعلماء، وتعلَّمْ منهم، وخذ من أدبهم وأخلاقهم وهديهم، فإن ذاك أحب إليّ لك من كثير من الحديث» [الجامع لآداب الراوي وأخلاق السامع ١ / ٨٠]

وتناقل العلماء والمرَبّون هذه الوصايا لتلامذتهم جيلًا بعد جيل

١٠ . التمهيد، (١/ ٣٣٩).

١١ . ترتيب المدارك، (١/ ١٥٨).

١٢ . مقدمة ابن الصلاح، (ص١٤٩).

يقول ابن الجوزي:



«لقيت مشايخ، أحوالهم مختلفة يتفاوتون في مقاديرهم في العلم. وكان أنفعهم لي في صحبة العامل منهم بعلمه وإن كان غيره أعلم منه. ولقيت جماعة من علماء الحديث يحفظون ويعرفون ولكنهم كانوا يتسامحون بغِيبة يخرجونها مخرج جرح وتعديل، ويأخذون على قراءة الحديث أجرة، ويسرعون بالجواب لئلا ينكسر الجاه وإن وقع خطأ. ولقيت عبد الوهاب الأنماطي فكان على قانون السلف لم يسمع في مجلسه غِيبة، ولا كان يطلب أجراً على سماع الحديث، وكنت إذا قرأت عليه أحاديث الرقائق بكى واتصل بكاؤه. فكان - وأنا صغير السن حينئذ - يعمل بكاؤه في قلبي، ويبني قواعد. وكان على سمت المشايخ الذين سمعنا أوصافهم في النقل. ولقيت الشيخ أبا منصور الجواليقي، فكان كثير الصمت، شديد التحري فيما يقول، متقناً محققاً. وربما سئل الظاهرة التي يبادر بجوابها بعض غلمانه فيتوقف فيها حتى يتيقن. وكان كثير الصوم والصمت فانتفعت برؤية هذين الرجلين أكثر من انتفاعي بغيرهما. ففهمت من هذه الحالة أن الدليل بالفعل أرشد من الدليل بالقول»[١٣].

وبعد.. فهذا غيض من فيض شمائله، وغرفة من بحر فضائله، توارثها العلماء العاملون والمُرَبّون المقتدون. صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم.

---

١٣ . صيد الخاطر (١/ ٤٦).

ماذا يحدث في الهند؟



د. أحمد موفق زيدان

عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

ربما سيكتبُ التاريخُ يوماً أنَّ مَن أصدر شهادةَ وفاةِ علمانيةِ الهند، التي كانت تُوصف بأنها أكبرُ ديمقراطيةٍ علمانيةٍ في العالم، هو رئيس الوزراء الهندي الحالي ناريندرا دمودارداس مودي، السياسيُ القادم حقيقةً وفعلاً على أنقاضِ الورثةِ الشرعيين للهند، وهو حزبُ المؤتمرِ الهندي بزعامة آل غاندي، الذي تحكّم في الهند لأجيال ثلاثة، فقد ورثتْ أنديرا غاندي إرثها السياسي من والدها جواهر لال نهرو، لتقضيَ نَحبَها لاحقاً في عمليةِ اغتيالٍ من حارسِها السيخي المتطرف

عام ١٩٨٤، رداً على أوامرها بالهجوم على المعبد الذهبي المقدَّس لدى السيخ في أمريتسار، والذي كانت حصيلتُه مقتل ٥٠٠ من السيخ، لينتقمَ أحدُ حراسِها السيخ فيقتلها، ومع تَسَلُّمِ ابنِها راجيف غاندي قيادةَ الحزبِ بعدها، فقد عُيِّنَ رئيساً للوزراء خلفاً لوالدته، وتسلمها مع قيادةِ الحزب، وبرَزَتْ إلى جانبه زوجتُه الإيطالية الأصل سونيا مانيو، التي التقاها حين كان يدْرُسُ الطيران في بريطانيا.

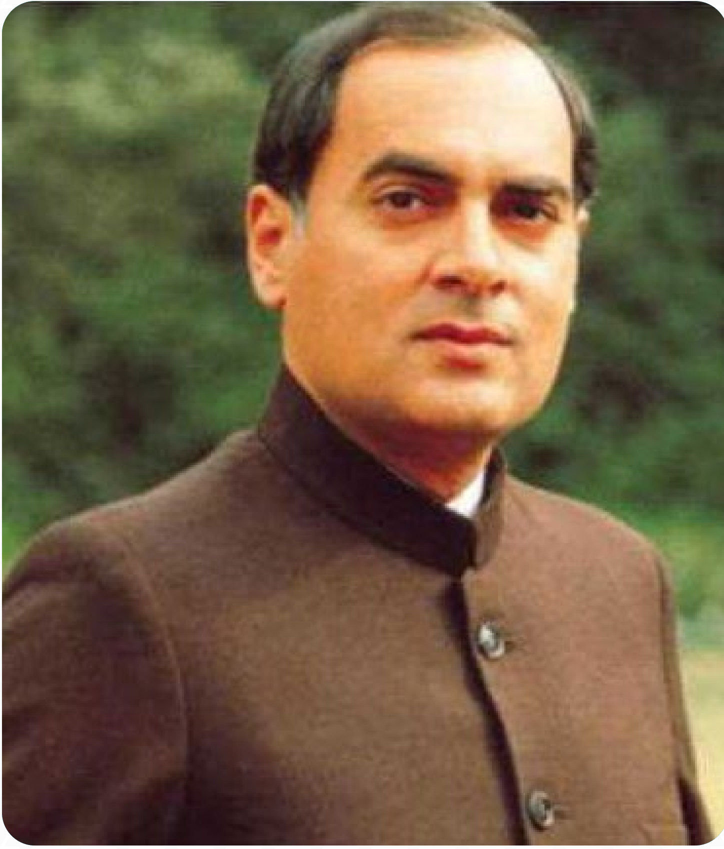


في ١٤ أغسطس/آب المقبل تحتفلُ الهند بيوبيلها الماسيّ، وذلك بمناسبةِ مرور ٧٥ عاماً على تحرُّرِها من الاستعمار البريطاني، الذي حكمها لأكثر من قرنين ونصفِ القرن تقريباً. وبهذه المناسبة تتجدد الأسئلةُ القديمةُ الجديدة، وعلى رأسها التعدُّدية الدينيةُ والثقافيةُ والإثنية الهندية، في ظل ما تتعرّضُ له الأقليةُ المسلمةُ من انتهاك لمقدساتِها، عبر الإساءةِ لمقامِ نبيّها ﷺ، أو بقتل أتباعها وذبْحِهم وسحلِهم على مرأًى من العالم وبصرِه، بل طال أئمةَ المساجدِ في محاريبِهم، كما شاهدنا في حالة الإمام محمد صافي، الذي نَحرَه متطرفون هندوس، بينما كان نائماً بمسجده، يوم الجمعة في العاشر من يونيو من العام الجاري، في منطقة سيوان بولاية بيهار الهندية.

بعد فترةٍ قصيرةٍ على رحيل أنديرا غاندي عام ١٩٨٤ جرت انتخاباتٌ مبكرةٌ، واستغلّ راجيف حادثَ مقتل والدتِه، على غرارِ حالاتِ التعبئة والحشدِ التي تحصلُ في العادة بدولِ جنوب آسيا، في مثل هذه الحالات، كما حدثت بعدها عودةٌ متأخرة لـ(بي نظير بوتو)، بعد مقتلِ والدِها ذو الفقار علي بوتو في باكستان، وكذلك ظهور زوجِها آصف علي زرداري، إثر مقتلِها واستثمارِه انتخابياً من قِبَلِه، فكان أن فاز بالأغلبية مطلع عام ٢٠٠٨.

أما راجيف غاندي فقد تمكن في الانتخابات، من حصد ٤١١ مقعداً، من أصل ٥٤٢ مقعداً. لكن لم تدُم حياته السياسية طويلاً، إذ عاجلته خلال حملته الانتخابية في ١٩٩١/٥/٣١ انتحارية من مليشيات نمور

التاميل المعارضة للحكومة الهندية فقتلته، فكان الشخصية الثانية من عائلة غاندي التي تذهب قتلاً في أقل من عقد، ليتركَ حزبَ المؤتمرِ وحده في مهبّ الريح، بل الهند كلها على كفّ عفريت، ولم يُفلح اختيارُ زوجتِه الإيطاليةِ الأصلِ زعيمةً للحزب، نظراً لصعوبةِ تَقَبُّلِ الحاضنةِ المجتمعيةِ للحزبِ الهندي لشخصيةٍ إيطاليةٍ مثل سونيا غاندي، على الرغمِ من إطلاق اسم غاندي على عائلتِها، كما أنه فشل في شدّ العصبِ الهندي القائم بالأصل على زعامةٍ عائليةٍ، تماماً كباكستان، وسريلانكا وبنغلاديش.


راجيف غاندي

فراغٌ سهّل على القوى المتطرفةِ القفز إلى الساحة، ومن بينها حزب جاناتا بارتي الهندوسي المتطرف، الذي ظهر للعلن عام ١٩٧٧، وينتمي إليه اليوم رئيسُ الوزراء مودي، فبدأَ صعودَه السياسي على استحياءٍ، خلال فترة حكمِ أنديرا غاندي، حين شقّ طريقه بِكَسبِ مقعدين في البرلمان الهندي، خلال انتخاباتِ أكتوبر/تشرين الأول من عام ١٩٨٤. ومع رحيل آل غاندي (الأم والابن) عن الحياة السياسية، برزَ هذا الحزب في انتخابات ١٩٩٦ كأقوى كتلةٍ برلمانيةٍ هنديةٍ. تَمكّنَ في البدايةِ من تشكيل حكومةٍ لـ ١٣ يوماً، ثم شكّل تحالفاً مع أحزابٍ أخرى، وتولّى رئاسةَ الحكومة أتال بيهاري فاجباي المتطرف لمدةِ عامٍ كاملٍ، مما عنى للمهتمين بالشأنِ الهندي أن الهندَ المعروفة بعلمانيتها، قد انتهت أو ماتت، وأن الهند العنصرية المتطرفة، قد وُلدت مع فاجباي، ومِن بعدِه مُودي، وحزبِهما جاناتا بارتي المتطرف.

• تعود جذور التطرف والقومية الهندوسية إلى القرن التاسع عشر، يوم وضعت أسس الدولة الهندية الحديثة عبر دستورها كدولة علمانية، إذ رأت الأغلبيةُ الهندوسيةُ ممن تشكّل نسبة ٨٠٪ يومها أن الدستور يعد خذلاناً لهذه الأغلبية، الطامحةِ برغباتٍ وأهدافٍ لا تتفقُ ولا تتسق مع دولةٍ علمانيةٍ هندية، طرحها الدستورُ الهنديُ الجديد.

لم يألُ الحزبُ جهداً في الحشد الجماهيريّ والشعبي لحاضنتِه، فكان هدفُه المسجدَ التاريخيّ المعروف بالمسجد البابريّ، الذي بناه ظهيرُ الدين بابر مؤسّس الإمبراطوريةِ المغوليةِ في المنطقة، وذلك عام ١٥٨٢م، وتجمَّعَ في السادس من ديسمبر/كانون الأول من عام ١٩٩٢ أكثر من ١٥ ألف من أتباع الحزب، لهدمِ المسجد بحجةِ وجود قبرٍ لمعبودهم الهندوسيّ في المكان نفسِه، لكن وقف المسلمون في الهند بقوةٍ، ومِن خلفِهم إخوانُهم المسلمون في العالم الإسلامي، حتى تمكنّوا لاحقاً عبر المحكمةِ العليا الهندية من وقف الهدم.

●● مودي.. حارق مسلمي كوجرات

وُلد مودي ١٩٥٠/٩/١٧ في منطقة فاندناغار بولاية كوجرات الهندية، ودرسَ العلومَ السياسيةَ في جامعةِ الولاية، ونالَ شهادةَ الماجستير، ثم التحق مبكراً في شبابه بحركةٍ هندوسيةٍ متطرفة تُدعى آر إس إس، وهي النواةُ الحقيقيةُ لحزب جاناتا بارتي الذي يقوده الآن، وأسّس للحركةِ الجناحَ الطلابيّ عام ١٩٧٧.



وفي عام ١٩٨٧ التحق بالحزب، وبعدها بعامٍ واحدٍ فقط اختير أميناً عاماً للحزب بالولاية، مما فسّر مدى نشاطه وولائه وحماسه وقدراته، لدى قادةِ الحزب في حينِه. ولعب مودي دوراً محورياً في تعزيز قوةِ الحزب في الولاية، فكان أحدَ الركائز الأساسية بفوز الحزب في انتخاباتِ عام ١٩٩٥، التي أدت إلى وصولِه للسلطة لأول مرةٍ، وحكمِه الهندَ لعامٍ كامل. واصل مودي صعودَه الصاروخي في الحزب، ففي العام نفسِه عُيّن أميناً عاماً للحزب في نيودلهي، ثم أميناً عاماً للحزب على مستوى الهند كلِها، وبرز بقوةٍ في انتخابات ٢٠٠١ عن ولاية كوجرات. ثم أتى زلزال الهند يومَها، الذي أودى بحياة ٢٠ ألفاً من أهالي كوجرات فرصةً استغلّها في صعودِه المتسارع، لاسيما بعد

أن أخفق كبيرُ وزراء الإقليم حينَها في الاستجابةِ لهذه الكارثة، فحلَّ مودي بديلاً عنه في رئاسة حكومةِ الإقليم، للفترة الواقعة بين ٢٠٠١-٢٠١٤، وهي الفترة الأطول لأي كبير وزراءٍ لهذه الولاية في تاريخها.



" مع احتدام الصراع الديني بين المسلمين والهندوس في الولاية، وتحديداً في منطقة غودهارا، ظهر تواطؤٌ، بل تشجيعٌ من مودي كرئيس لحكومة الولاية، في قتلِ وحرقِ المسلمين، وتحديداً حين أقدم متطرفون هندوس على إضرام النار بقطار فيه مئات المسلمين، وتحدثت التقارير يومها عن مقتل ١٠٠٠-٥٠٠٠ آلاف مسلم، معظمهم قضى حرقاً، وهو ما دفع الولايات المتحدة الأمريكية بعدها إلى عدم منحه تأشيرة دخول دبلوماسية عام ٢٠٠٥، كما انتقدت بريطانيا تقاعسَه في وقف الصراع بين المسلمين والهندوس. ومع هذا كله نجح مودي في الإفلات من الملاحقات القانونية الدولية، على الرغم من إدانةِ كثيرٍ من قيادات الحزب الذين كانوا حوله، بل حُكم على بعضهم بالسجن لفترة طويلة. "

•• حرق المسلمين طريقٌ للصعود

الحزب الذي اتخذ من مقاومة المسلمين في الهند مبرراً لوجوده وتأسيسه، طارحاً نظرية الهندوتفا، التي تمتد جغرافيتها حتى الجزيرة العربية، والدول المحيطة بالهند، لا بد لقادته أن يكون صعودُهم وبروزُهم على جثثِ مسلمي الهند أنفسِهم، فكان صعودُ مودي الحقيقي بعد مجزرةِ كوجرات. حيث رأى الحزب أن شخصيةً مثل مودي لا يمكن الاستغناء عنها، لاسيما أنه قد لعب دوراً مهماً في الانتخابات اللاحقة، بتعزيز مكانة الحزب، وسط تراجع القوى التقليدية الهندية العلمانية، وعلى رأسها حزب المؤتمر الهندي.

في عام ٢٠١٣ بينما كان الحزب يتهيأ لانتخابات مايو ٢٠١٤، اختير مودي رئيساً للحزب، ليقود حزبه في انتخابات ٢٦ مايو/أيار ٢٠١٤ لفوز كبير، وأغلبية تمكنه من تشكيل حكومة بمفرده، وهي من الحالات النادرة، لا في الهند فحسب، بل في سياسات دول جنوب آسيا بشكل عام. وعلى الفور تمكن مودي من تسجيل انتصارين دبلوماسيين، كان الأول باستضافة الرئيس الصيني جي جينبينغ، لأول مرة في الهند منذ ثماني سنوات، والثاني بحصوله على زيارة رسمية لأمريكا، بعد أن مُنعها بسبب تواطئه في مجزرة كوجرات، والتقى حينها الرئيس الأمريكي باراك أوباما.

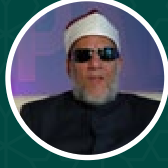


كان التحدي في انتخابات عام ٢٠١٩ من وجهين، الأول: أن مودي يواجه حزب المؤتمر بزعامة راهول غاندي حفيد أنديرا، ونجل راجيف، وهو الذي يمثل الجيل الجديد من الغاندية، والثاني: أنه سيكون حال إعادة انتخابه، أولَ رئيس وزراء يعاد انتخابه بعد آل غاندي، وقد كان له ذلك، ربما بفضل المواجهة الهندية الباكستانية يومها، وتصاعد الصراع بين البلدين بشأن كشمير، فاستغلّ ذلك بشكل كبير، وتمكن من حشد الرأي العام لصالحه ولصالح حزبه ضد باكستان.

خلال الفترة الماضية تصاعدت حملات العنصرية ضد المسلمين وضد الأقليات الأخرى من السيخ والمسيحيين، وتُوّج ذلك بنيل المتحدثين الرسميين باسم الحزب من الرسول ﷺ، وهو ما أدّى إلى انتفاضة المسلمين في الهند، ترافق مع حملة مضايقات وقتل وتعذيب وسحل، للمسلمين والمسلمات، وهو ما فجّر الوضع الداخلي الهندي، وتعاطَف المسلمون في العالم العربي والإسلامي مع مسلمي الهند، الأمر الذي كشف أسوأ ما يعتمل في تضاعيف الهند من عنصرية وحقد، ووضع الهند وعلمانيتها على كفّ عفريت، ولم تعد الهند أكبر دولة علمانية في العالم، بقدر ما بدت تعني للكثيرين أنها أكبر دولة عنصرية في العالم.

كيف ننصر رسول الله ﷺ ؟

د. رجب زكي



عضو مجلس الأمناء بالهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ



في زماننا كثرت سهام الأعداء التي تُصوّب إلى مقام النبوة، وهيهات أن تنال من جناب الرسالة فهو في الذروةِ السامقةِ، والقمةِ الشاهقةِ، مَحوطٌ بالحمايةِ الإلهيةِ، تكتنفه الحراسةُ الصمدانيةُ، وتكلّلُه العنايةُ الربانيةُ، فمن يعاديه يصيبُه الخبالُ، ويجرُّ على نفسه الوبال، ولا يضرُّ السحابَ نبحُ الكلاب.

ونصرةُ النبي ﷺ لا بد وأن تبدأ من محبته، وتنبع من مودَّته، ومحلُّ المحبةِ هو القلب، وموضعُها الفؤاد. ومحبةُ النبي ﷺ فرضٌ وواجبٌ، ودينٌ وعبادةٌ، وإيمانٌ ويقينٌ، وذخيرةٌ يدَّخرُها العبد ليومِ الميعاد، وشفاعةٌ إذا ظفر بها نجا من بئس المهاد. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدَيْهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[١].

والإيمان له حلاوةٌ يتذوقُهَا القلب، كما يتذوق اللسانُ العسلَ، وهذه الحلاوة الإيمانية لا يجدها إلا من خالطت محبةُ رسول الله ﷺ شَغاف قلبه، وملكت عليه مجامعَ نفسه، وتخلَّلت مسامَ روحه. عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النارِ»[٢].

ورسول الله ﷺ أحبُّ الخلق إلى الله تعالى، فَمَن يُحِبُّ اللهَ تعالى، فليحبَّ رسوله ﷺ، وآل بيته الكرام. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَحِبوا اللهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَحِبُّونِي بِحُبِّ اللهِ، وَأَحِبوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي»[٣].



ومحبةُ النبي ﷺ تنفع العبد، حتى وإن أسرف على نفسه في الآثام، واسترقَّتْهُ شهواته، وأَسَرتْه ذنوبه، وغلبته سيئاتُه، فمحبةُ النبي ﷺ تَعْتِقَه من رقِّ المعاصى، وتُحرِّرُه من عبوديَّة الأوزار، بفضل الله تعالى. عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ: أُتِيَ بِابْنِ النُّعَيْمَانِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مِرَارًا، أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعٍ، فَجَلَدَهُ فِي كُلِّ ذَلِكَ، فَقَالَ رَجُلٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ: اللَّهُمَّ الْعَنْهُ مَا أَكْثَرَ مَا يَشْرَبُ! وَمَا أَكْثَرَ مَا يُجْلَدُ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا تَلْعَنْهُ، فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَه»[٤].

---

١. وإسناده صحيح على شرط الشيخين. مسند أحمد (٢٠/ ٢٠٢)، ط: الرسالة.

٢. صحيح البخاري (١/ ١٤) ت: البغا.

٣. سنن الترمذي (٦/ ١٢٦) وقال: هذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

٤. أخرجه البُخَاري ٨/ ١٩٧ (٦٧٨٠).

١ «ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جعل يَرْمق صحابَةَ النَّبِيِّ ﷺ بِعَيْنَيْهِ، قَالَ: فَوَاللهِ مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي يَدِ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وإِذَا تَكَلَّمُوا خَفَضُوا أَصواتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ تَعْظِيمًا لَهُ، قَالَ: فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ! وَاللهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا، وَاللهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وإِذَا تَكَلَّمُوا خَفَضُوا أَصواتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا»[٥].



٢ «واجتمع رهطٌ قريش، فيهم أبو سفيان ابن حرب، فقال له أبو سفيان حين قُدِّمَ ليقتل: أنشدك الله يا زيد! أتحب أن محمدًا عندنا الآن مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك؟ قال: والله ما أحب أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالسٌ في أهلي. قال: يقول أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحدًا يحب أحدًا كحب أصحاب محمدٍ محمدًا»[٦].

٣ ومن شعر حسان بن ثابت رضي الله عنه، في مدحه ﷺ:

وَأَحسَنُ مِنكَ لَم تَرَ قَطُّ عَيني .. وَأَجمَلُ مِنكَ لَم تَلِدِ النِساءُ

خُلِقتَ مُبَرَّءً مِن كُلِّ عَيبٍ .. كَأَنَّكَ قَد خُلِقتَ كَما تَشاءُ

ونُوَرِّثُ الأجيالَ حُبَّ نَبِيِّهِم .. مَن جاء فينا رحمةً وتعففا

٥. جزء من حديث في مصنف عبد الرزاق (٦/ ٢٠)، ط: التأصيل الثانية.
٦. الجامع الكامل في الحديث الصحيح الشامل المرتب على أبواب الفقه، (٨/ ٢٨٤).

وما أحسن ما قال القائل:

مُلِئ الفؤاد محبةً وتلهُفاً .. شوقاً وتوقاً للنبي المصطفى
إنا لتهفو للرسول قلوبُنا .. والقلبُ تتبعه الجوارحُ إن هفا
ليس الذي أبدى هواه مغالياً .. كلا ولا من ذاب حباً مسرفا
إن المحب لمن يحب لتابعُ .. فإذا رأى أثراً لمن يهوى اقتفى
مُدت أيادينا لهدي محمدٍ .. وتلقفتْ ما جاء منه تلقُفا
ومَن أحب ومَن يحب نحبه .. صدقاً وليس تنطعاً وتكلفا
جئنا جميعاً نستقي من وِردِه .. ونردُّ عنه ما يكون مخالفا
ونُوَرِّثُ الأجيالَ حُبَّ نَبِيِّهم .. مَن جاء فينا رحمةً وتعففا

وما أجمل ما قال الأعرابي، الذي وقف عند قبر النبي ﷺ:

يا خير من دُفِنَتْ بالقاع أعظُمه .. فطاب من طيبهن القاعُ والأكَمُ
نفسي الفداء لقبرٍ أنت ساكنه .. فيه العفاف وفيه الجود والكرمُ
أنت الشفيع الذي ترجى شفاعته .. على الصراط إذا ما زلّت القدمُ

وما أحلى ما قال البوصيري:

ومن تكن برسول الله نصرتُه .. إنْ تَلقَه الأُسدُ في آجامها تجم

ويمكن إجمال وسائل نصرته ﷺ في العناصر الآتية

١ اتباع هديه، وإحياءُ سنته، والتخلقُ بأخلاقه، والاتصافُ بشمائله ﷺ.

يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال عز وجل في حق الأنبياء عامة: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

ويقول عز وجل في حق نبينا خاصة: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].



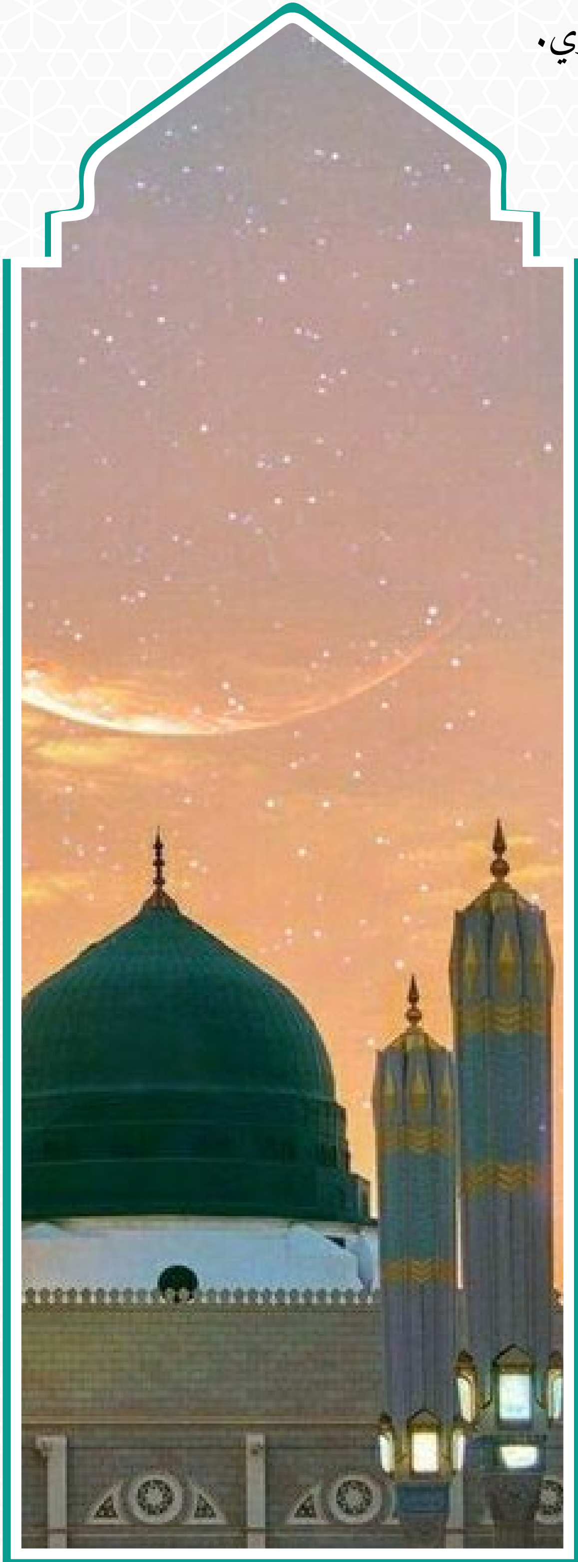
وقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا بُنَيَّ مَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ»[٧].

٧. سنن الترمذي (٤/ ٤١٠)، ت: بشار. قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

٢ مدارسةُ سيرته، ومطالعةُ قصة حياته من المولد وحتى الوفاة ﷺ، والكتب في ذلك كثيرة ما بين البسيط والوسيط والوجيز.

فمن الوجيز: الرحيق المختوم للمباركفوري، والسيرة النبوية للغزالي، والشفا للقاضي عياض.

ومن الوسيط: السيرة النبوية للصلابي، وإمتاعُ الأسماعِ للمقريزي.



ومن البسيط: سبلُ الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، للصالحي الدمشقي، وموسوعة نضرة النعيم في أخلاق سيد المرسلين، لمجموعة علماء

٣ التزامُ شريعته، وطاعةُ أوامره، وتعظيمُ شعائرِ دينه، والوقوفُ عند الحدودِ التي حدها، قال ﷺ: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا، وَمَا أَمَرْتُكُمْ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»[٨].

٤ الدفاع عنه ﷺ ضد مَن يُسيئون إليه من أعداء الخارج ومنافقي الداخل، الذين ينتسبون إلى الإسلام زوراً وهم حربٌ عليه، ويا فوز مَن انتصب لردِّ الشبهاتِ، ودفع الافتراءاتِ عن خير الكائنات ﷺ.

فكيف بالمسلم الغيور أن لا يَتَمَعَّر وجهُهُ إذا أُوذيَ رسولُ الله ﷺ، وهل يَضِنُّ على النبي ﷺ بالذبِّ عنه من أجل مالٍ فانٍ، أو جاهٍ زائلٍ؟!

وبعضُ الناس يصفون النبي ﷺ بالعبقرية، وأخصُّ أوصافِ الرسول ﷺ: هي النبوة، فقد كان مسدداً بالوحي، محفوفاً بالعصمة، فينبغي إبرازُ تلك الصفة، التي هي واسطةُ العِقد في شمائله الكريمة، وجوهرةُ التاج في خصاله العظيمة.

---

٨. مسند أحمد (١٢/ ٣٢٥) ط: الرسالة.

وآخرون يُميّعون الدين، يداهنون الكفار، ويخطبون ودَّ المشركين، فَيُشيعُون أن العقائد كلَّها سواءٌ، وأهلها أجمعين من الناجين، ولا ضير على الإنسان أن يختارَ أيَ دينٍ، ولا يملك أحدٌ أن يُكَفِّرَ غير المسلم، إلى آخر تُرَّهاتِهم التي بها يَهْرِفون!



والحق أن مَن لم يؤمن برسول الله ﷺ، ويصدّق بنبوته، فلا يطمع أن ينجو في الدار الآخرة، ولا أن يكون من الفائزين؛ فعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نفسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»[٩].

وبعض الماكرين من المستشرقين يُغدِقُون على النبي ﷺ صفات العظمة، ويُضمرون في أنفسهم أن يَسلبوه رداءَ الرسالةِ، وكِساءَ النبوة، وأن يبثُّوا في رَوْعِ الناسِ أنه كان إنساناً عظيماً، لا نبياً كريماً، فلنكن منهم على حذرٍ، ولا نُستَدرجُ إلى تلك المزالق، ونفرحُ بهذا الثناء، فنبينا ﷺ في غنىً عن مدح هؤلاء، وقد أثنى عليه ربه، وتولاه بعنايته وحراسته. ومن العجيب أن أشدَّ الناسِ عداوةً للرسول ﷺ، وأعظمهم طعناً في الإسلام، إذا تكشفت له حقيقةُ هذا الدين، وانزاحت عن عينيه الغشاوة، يشرح الله تعالى صدره للإسلام، ويعتنق هذا الدين الحنيف.

ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر: الهولندى (أرنود فان دورن) الذي أنتج فيلم (فتنة) المُسيء للنبي ﷺ، ثم قرأ عن الإسلام، حتى دخل فيه ونطق بالشهادتين. قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [المائدة: ٦٧]. وقال عز وجل: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣].

---

٩. صحيح مسلم (١/ ١٣٤)، ت: عبدالباقي.

وأحب أن أفصّل في هذا العنصر بعض الشيء في الرد والجواب على أناس في مِسلاخ البشر، ينتمون إلى الإسلام اسماً ونسباً، من بني جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، لكنّ المسلمين منهم براء! لأنهم ارتضوا لأنفسهم أن يكونوا ذيولاً وأذناباً لأعداء الأمة، يُسَوِّغون صنيعَ الكفار في الإساءة إلى سيد الأبرار النبي المختار ﷺ. وأخطرهم الذين يَتَزَيّون بزي العلماء، ويكورون العمائم، ويُوسِّعون الأكمام، ليُلْبِسُوا على البسطاء، ويغروا العوام.

أما أحدهم: فهو (مختار جمعة) وزير الأوقاف المصرى، الذي اؤتمن على مساجد المسلمين، فحصر المسلمين وضيّق على الركَّع السجود، ومنع التهجد والاعتكاف بذريعة (كورونا) وكأن (كورونا) تعتزل الخمارات والمراقص ولا تستوطن سوى المساجد.

والآخر المدعو (خالد الجندي) الذي في زخم الدعوة إلى مقاطعة المنتجات الفرنسية لإيلام فرنسا التي يوجعها المال، ويغيّر سياساتها الخسارة الاقتصادية، أراد المسلمون أن يوجهوا رسالة إلى فرنسا المستكبرة حتى ترتدع عن الإساءة وترعوي عن العدوان على خير الأنام سيدنا محمد ﷺ، وفي خضم وزخم وغمرة حماسة المسلمين لتفعيل وتوسيع المقاطعة، والتي بدأت تؤتي أكلَها وتَظهر ثمارُها، يظهر (الجندي) على البرنامج الذي أفسح له فيه المجال، ليلبس الحق بالباطل، ويدلّس على الخلق، وعَمِل على تثبيط المسلمين قائلاً «لا تقل لى مقاطعة وماذا ستصنع المقاطعة؟ هل ستقاطعون الجبن؟»، ونحو هذا الكلام، فضَّ اللهُ تعالى فاه. لم يغضب لنبيّه ﷺ وانحاز إلى فرنسا، أشد الدول عداوةً للإسلام والمسلمين، والتي تلطخت يدُها بدماء الملايين من المسلمين. وماذا ننتظر من شخص يقول عن نفسه إنه عالم سلطان، فارتضى أن يهوي بنفسه ليسارعَ في هوى الحاكم، يلتمس لأفعاله الذرائعَ، ويفتش لأعماله عن المبررات، ويُطَوِّعُ النصوص لأقواله.

وقد كان العلماء الربانيين يحتلون المكانة الرفيعة في تاريخ الأمة، بالوقوف في وجه الظالمين، والصدع بكلمة الحق أمام الجائرين، فبئس ما اختار لنفسه ومَن على شاكلته.

ومثل هؤلاء أخطرُ ممن يصرّح بالعداوة ويعلن الحرب ويَقْلِبُ لنا ظهر المجن؛ لأن هؤلاء يتزيَّون بزي العلماء، وينتسبون للأزهر العريق، فيخدعون بعضَ البسطاء، وإن كان الكثير ينفر منهم بفطرته السليمة، وسليقته المستقيمة.





ولذلك نجدُ سورةَ البقرة، اقتضبت في الحديث عن الكافرين، وبسطت الحديث عن المنافقين، فخطورتُهم أشدّ، وضررُهم أعظم.

فالأمة تستطيع أن تأخذَ حِذْرَها ممن يُبدي لها العداوة، بخلاف من يَندّس في صفوفها، ويتسللُ إلى أحشائها، فتأمنَ جانبه، وتطمئنَّ إليه، ومن ثم تأتي طعنةُ الغدر من جهته، وضربة الخيانة من ناحيته.

وقد حذرنا القرآن ممن اتخذ علمَه مطيةً لأغراضٍ دنيئةٍ، ومقاصدَ فاسدةٍ. قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥].

وَعَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَا لِأَهْلِهِ، فَذَكَرَ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَغَيْرَهُمَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، مَا لَمْ تَقُمْ عَلَى بَابِ سُدَّةٍ، أَوْ تَأْتِ أَمِيرًا تَسْأَلُهُ»[١٠].

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من أتى أبواب السلطان افتتن، وما ازداد عبدٌ من السلطان قربا، إلا ازداد من الله بعداً»[١١].

والنموذج الثاني هو مَن باع دينه ونفسه بعرض من الدنيا زائل، مثل (إبراهيم عيسى) و(إسلام البحيرى) ومن على شاكلتهما، يستَدِرُّ الأموال ويلفتُ الأنظار ويُضّعُ نفسه تحت الأضواء، ويتخذُ تلك المطاعن سلماً لنَيلِ الجوائز، كنوبل وغيرها، والتي لا تمنح إلا لمن يرضى عنهم أعداء الأمة، وسلفُهم طه حسين صاحب كتاب (في الشعر الجاهلي)، ولويس عوض، وسلامة موسى، ونجيب محفوظ صاحب (أولاد حارتنا)، وسبيلهم في الوصول إلى ذلك الطعن في الدين والنَّيلِ من الإسلام، كأنه يبعث رسالة لأعداء الأمة أني أنا رَجُلُكم وتستطيعون الاعتماد عليّ في تشكيك العوام في دينهم والعبث بمعتقداتهم!

---

١٠. رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٩/ ١٧٣) .

١١. المسند المصنف المعلل (٣٤/ ٤٩٥).



فتجد (إبراهيم عيسى) تارة ينكر الإسراء والمعراج، وتارة يدافع بحماسة عن تقديس الهندوس للبقر، ومرة يغيظه أن يقرأ صيدلي القرآن الكريم... إلخ. أما (إسلام البحيرى) فيلوك الشبهات المكرورة التي قُتِلَتْ رداً، وأُشبِعَتْ جواباً.

ثم هم يُغَلِّفُون أقوالَهم بما قد ينطلي على ضعيفي المعرفة، بأن كلامه هو صحيح الدين، وحقيقة الإسلام، والحق أن حديثه محضُ بهتانٍ وزورٍ، حتى ولو زخرفه بمعسول القول، وحلو الكلام. وهم يتولون كِبَرَ حملاتٍ منظمة، لهدم الدين، والطعن في الثوابت، وتدمير الأصول، فيتدرجون من الطعن في الفقهاء إلى الطعن في الصحابة، ثم الإساءة للنبي ﷺ ثم التشكيك في القرآن الكريم. وتجدُ الأبواقَ الإعلامية تخلع على هؤلاء الحُثالةِ الحقُراءِ، الألقابَ الفخمةَ الضخمةَ؛ مثل المفكر والمثقف والتنويري، ليُغْرُوا البسطاء، ويَلبِسُوا على الناس دينهم. عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ»[١٢].

٥ ومما يُوثِّق محبةَ رسول الله ﷺ حتى ترسخَ في القلب وتتغلغلَ في الفؤاد، كثرةُ الصلاة والسلام عليه بالليل والنهار، وفضائلُها لا تحصى ولا تعد، وأكتفي بحديث واحد عن عبد اللَّه بن أبي طلحة عن أبيه، أن رسول اللَّه ﷺ جاء ذاتِ يومٍ والبِشرُ يُرَى في وجهه، فقلنا يا رسول اللَّه إنَّا لنَرى البشرى في وجهك فقال: «أتاني المَلَكُ فقال: يا محمد إن ربك يقول أمَا يُرضيك ألّا يصلي عليك أحدٌ من أمتك إلا صليتُ عليه عشرًا ولا يُسَلِّمُ عليك أحدٌ إلا سلمتُ عليه عشرًا؟ قال: بلى»[١٣].

١٢. مسند أحمد (١/ ٢٨٩)، ط: الرسالة.

١٣. مصنف ابن أبي شيبة (٥/ ٤١٠)، ت: الشثري.

٦ وقد علَّمنا اللهُ عز وجل الأدبَ مع رسول الله ﷺ، يقول تعالى في سورة الحجرات:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ١-٤].

وكان الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه لا ينتعل ولا يركب دابةً في المدينة المنورة، أدباً مع رسول الله ﷺ، الذي دُفن في تربتها. وإذا حدَّثَ بحديثِ رسولِ الله ﷺ لبس أحسنَ ثيابه وتعمَّم وتطيَّبَ، تعظيماً لكلامه ﷺ.



ومن الأدب إذا كتب اسمه أن يكتب «صلى الله عليه وسلم» كاملة، ولا يكتفي بكتابة «ص» أو «صلعم».

٧ وكلُّ مُيَسَّرٌ لما خُلِق له، والله عز وجل يفتح على كل عبد بما يشاء من المواهب، ويمنحه ما يريد من الملكات. ومن أعظم ما يَشكُرُ به العبدُ النعمَ، ويدفعُ عن نفسه النقم، أن يستغل ما أُوتي، ويستثمر ما أُعْطِي، في الدفاع عن سيدنا رسول الله ﷺ ونصرته، ومن يتقاعس ويتخلى، فقد حَرَمَ نفسَه أعظمَ الخير، والله تعالى ناصرُ نبيه ﷺ. يقول تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٤٠].

فإن كان ذا قلم: فليُدَبِّج المقالاتِ الرائقة، وليُصَنِّف الكتب الماتعة، التي تُعَرِّف العالمين بسيرة سيد المرسلين، وتردُّ عنه الشبهات.

وإن كان شاعراً: فليقْدَح قريحتَه حتى يسعفه القريض بالقصائد المختارة، في مدح المختار ﷺ.

وإن كان مفوه الفم فصيح اللسان: فليَصْدح، وليَصْدع بالخُطبِ والدروسِ، في أخلاق رسول الله ﷺ.

وإن كان ذا باعٍ في التقنية الحديثة: فليجعل من صدقاته الجارية، أن يُعرِّفِ برسول الله ﷺ في المواقع والمنتديات.

وإن كان مُجيداً للغة أجنبية: فليَدعُ أهلَها إلى الإيمان بالنبي ﷺ، وليُترجمَ لهم سيرته الشريفة بلغتهم.

وإن كان ثرياً ذا مال: فليُنفق على الوجوه السابقة كلها، حباً في رسول الله ﷺ.

وإن كان ذا منصبٍ: فليَرفَع قدرَ نفسه ويُشَرِّفُها، بذكر رسول الله والصلاة والسلام عليه على رؤوس الأشهاد.

قال التابعي الجليل أبو مسلم الخولاني: أيظن أصحابُ محمد أن يستأثروا به دوننا، كلا والله لنزاحمنهم عليه زحاماً، حتى يعلموا أنهم قد خلفوا وراءهم رجالاً.



وقيل للقعقاع الأوسي: قل لنا شيئاً يشوقنا إلى الجنة، قال: فيها رسول الله ﷺ.

وأختم: بأن واجب أهل العلم والدعوةِ مع مَن يُسيئون إلى رسول الله ﷺ، فضح باطلِهم وبيان تهافتِ منطقهم وركاكةِ كلامهم، وتحذير المسلمين من طَوامِّهم، والرد على عدوانهم على الشريعة الغراء، وعلى إمام الأنبياء سيدنا محمد ﷺ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

من أنصاري إلى الله



الشيخ مختار بن العربي مؤمن

عضو مجلس الأمناء بالهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام

هكذا كان الاستفهام المحوري، في استجلاء النصرة للنبي ﷺ من أتباعه، فتنادت أرواح المؤمنين المحبين لتُبايع رسولَ الله ﷺ، ولتشكل جنداً يحمل مِشْعَل النور لينصر نبيَّ النور والهدى، فتحولت قلوبُ تلك الفئة المستجيبة لأمر الله القدري والشرعي لتكون الطائفةَ الناصرةَ والمنصورةَ ومن اتَّبعها إلى قيام الساعة.

وكانت جميعُها من المهاجرين الذين تركوا أرضهم وسماءهم وأموالهم وأبناءهم، فرَبِحَ البيعُ، وجاءت البشائر تَطُلُ من وراء سُجُف الغيب، بطابعِ الصدق، الذي كان علامةً مميّزةً لطائفةِ المهاجرين الأبرار، والمحبة والإيثار والنصرة، للخِيَرة من الأنصار، وكلهم أنصار، قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٨-٩].



بل تَنَزّل الرضى الذي يَشدُوه كل مؤمن على ظهر هذه البسيطة، من ربه ليناله عذباً زُلالاً لا سخط بعده: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وكيف لا يحمل وسام الشرف والرضى مَن جعل رُوحه على كفه يبتغي بها الموت مظانَّه، لينصرَ هُدَى اللهِ الذي جاء لعباده، ويكون سهماً يُرمى بها في نحور أعداء نبيه ﷺ.

وقِفْ معي - رعاك الله - عند صهيب الرومي، وهو يلملم أطراف قلبه ينتزعه من أرضٍ نِيطَت بها عليه تمائمه، ومس جلده ترابها، فها هو خارج من مكة مهاجراً ومناصراً، فيلحقه القوم البغاة الأشقياء ليَرُدُوه ليرْدُوه،

فيخاطبهم في عزةِ المهاجر لله ورسوله، الواثقِ من نصرة الله لنبيه وأنصار دينه، كما يحكي عن نفسه فيقول:



لما أردت الهجرة من مكة إلى النبي ﷺ قالت لي قريشٌ: يا صهيب، قدِمتَ إلينا ولا مال لك وتخرج أنت ومالك؟ والله لا يكون ذلك أبدًا. فقلت: أرأيتم إن دفعت إليكم مالي، تخلّون عني؟ قالوا: نعم. فدفعتُ إليهم مالي، فخلَّوا عني، فخرجت حتى قدمت المدينة، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «ربح صهيبٌ، ربح صهيبٌ». مرتين[1].

وفيه وفي أمثاله نزل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

وهذا نموذج آخر من طائفة الأنصار، الذين نصروا النبي المختار، فصار حبهم من الإيمان، وبغضهم من الفسوق والعصيان، ألا وهو الشاعر الأريب عبد الله بن رواحة رضي الله عنه. والذي ما فتئت نبالُ شِعْرِه تمزّقُ نياطَ أفئدةِ الشرك وأهلِه.

يقول رضي الله عنه ليلةَ العقبة: اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال ﷺ: «أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم». قال: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال: «الجنة». قالوا: ربح البيع، ولا نَقِيلُ ولا نَستَقِيلُ[2].

لم تقتصر تلك النصرة على الرجال، بل خالطت قلوبَ رباتِ الحجال، فصنعت من تلك القوارير، جلاميد صماء، تقصم ظهور الصناديد، من أهل الكفر والطغيان. لقد جالدت نُسَيبةُ بنت كعبٍ رضي الله عنها، فأبلت بلاءً حسناً، ونافحت عن سيد الخلق، فكانت مثالاً لبنات الإسلام.

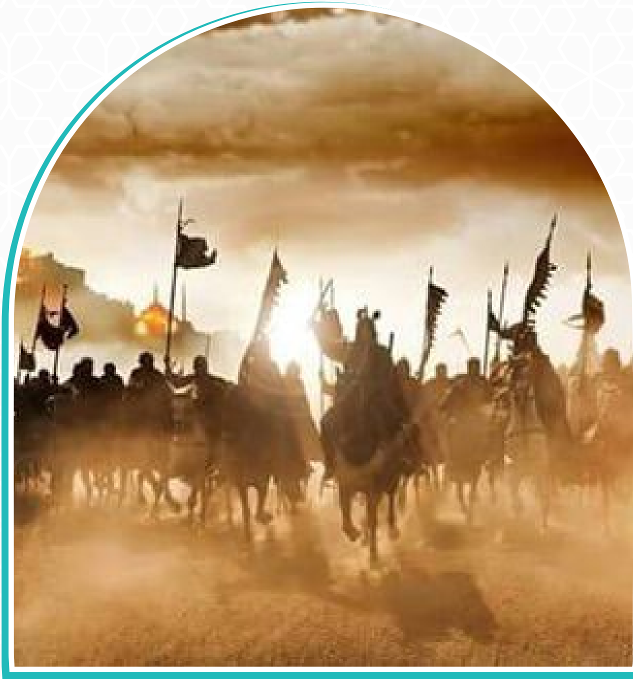
---

١. رواه ابن مردويه.

٢. أبو نعيم، كنز العمال، ١٥٢٥، وللحديث شواهد كثيرة قد يتقوَّى بها.

قال محمد بن عمر: شَهِدَتْ أمُّ عمارة بنت كعب أُحداً، مع زوجها غزية بن عمرو وابنيها، وخرجت معهم بِشَنٍّ لها في أول النهار تريد أن تَسقي الجرحى، فقاتلت يومئذٍ وأبلَت بلاءً حسناً، وجُرِحَتْ اثني عشر جُرحاً بين طعنةٍ برمحٍ أو ضربةٍ بسيف، فكانت أمُّ سعيد بنت سعد بن ربيع تقول: دخلتُ عليها فقلت حدثيني خَبَرك يوم أُحدٍ. قالت: خرجتُ أولَّ النهارِ إلى أحدٍ، وأنا أنظر ما يصنعُ الناس، ومعي سقاءٌ فيه ماء، فانتهيتُ إلى رسول الله، وهو في أصحابه، والدَّولةُ والريحُ للمسلمين، فلما انهزم المسلمون، انحزتُ إلى رسول الله، فجعلتُ أباشرُ القتالَ، وأذُّبَ عن رسول الله بالسيف، وأرمي بالقوس، حتى خَلُصَتْ إليَّ الجِراح.

قالت: فرأيتُ على عاتقها جُرحاً له غورٌ أجوف، فقلت: يا أمَّ عمارة مَن أصابك هذا؟ قالت: أقبل ابْنُ قَمِيئَة، وقد ولّى الناس عن رسول الله، يصيح: دلُّوني على محمدٍ فلا نجوت إن نجا، فاعترض له مصعبُ بن عميرٍ، وناسٌ معه، فكنتُ فيهم، فضربني هذه الضربة، ولقد ضربتُه على ذلك ضرباتٍ، ولكن عدوَّ الله كان عليه درعان»[٣].



وإن أنسى، فلن أنسى صغاراً في إهاب الكبار، حيث صنعوا المجد من أطرافه، وساسوا العالم، فانتزعوا منه عصيانَه وتمرُّدَه، وأَدخلوا في قلبه ديناً يمشي أصحابه على ظهر الأرض، كأنهم ملائكةٌ في طُهرهم، وأشاوسُ مجدٍ وحضارةٍ في سرهم وجهرهم.

فهذا ابن عمرُ رضي الله عنهما، يحكي لنا فيقول: عُرضت على رسول الله ﷺ في جيش، وأنا ابن أربع عشرة فلم يقبلني، فعُرِضْتُ عليه في قابل، وأنا ابن خمس عشرة فقبلني.

ما الذي دفع هذا الصغيرَ ليَعرِضَ نفسه على السيف، وهو يطاول الكبارَ، كان له مندوحةً في اللعب واللهو مع أترابه؟

وإذا كانت النفوس كباراً ** تعبت في مرادها الأجسامُ

٣. الطبقات الكبرى لابن سعد ٨/٤١٣.

أقول وأنا أتنفس الصعداء، شتان بين مَن خُلق للنزال والحروب، ومن صُنع للقصعة والثريد، شتان بين مَن يحملُ الرسالة الخالدة، ومن همُّه الأموال الطارفة والتالدة، إنها النصرة أيها السادة، التي تَرَبى عليها فتيانُ الإسلام، وغير هذا السَّمَيدع من الفتيان كثيرٌ، منهم أبو سعيد الخدري، وخبر موقفه يوم أُحد وهو صبي صغير، مشهورٌ غير مغمور.

بل تزدادُ دهشةً حينما تعلمُ أن امرأةً ماجدةَ الأعراقِ، دفعت إلى ابنها يوم أُحد السيف، فلم يُطِق حملَه، فَشَدَّتْهُ على ساعده بنسعةٍ، ثم أتت به النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، هذا ابني يقاتل عنك، فقال النبي ﷺ: «أي بُنيَّ احمل هاهنا، أي بني احمل هاهنا». فأصابتْه جِراحةٌ فَصُرِع، فأتى النبي ﷺ فقال: «أي بُنيَّ لعلك جَزِعتَ؟». فقال: لا يا رسول الله...

يا لها من مواقف، تذوبُ أمامها الجبال الشُم، وتَجْبُنُ في ساحها الأسود الغطارفة الشداد.



وقف معي متعجباً - في ساح الوغى والموت الزؤام يزحف كأنهم ينظرون إليه - من طفلٍ يتوارى خشية أن يُرد، فيا سبحان الله، فهذا عمير بن أبي وقاص لما سار رسول الله ﷺ إلى بدر، وعُرِض عليه جيشُ بدرٍ، رد عميرَ بن أبي وقاص، فبكى عمير فأجازه، فعقد عليه حمائل سيفه، ولقد كان عمير يتوارى، حتى لا يراه رسول الله ﷺ، فقال سعد: رأيت أخي عمير بن أبي وقاص قبل أن يَعرِضَنا رسول الله ﷺ يوم بدرٍ يتوارى فقلت: ما لك يا أخي؟ قال: إني أخاف أن يراني رسول الله ﷺ فيستصغرني ويردني، وأنا أحب الخروج، لعل الله أن يرزقني الشهادة. وقد استُشهد بالفعل.

وقِفْ معي متأملاً، بين موقفين: طفل يتوارى خشية أن يُرَدّ، ومنافق يتسلل لواذاً، وقد ملأ الحقد قلبه على سيد المرسلين، ودين الله المبين.

فاللهم ثبِّت قلوبَنا على دينك، وانصرنا على عدونا وعدوِّك، واجعلنا من أنصار نبيك سيد الأولين والآخرين.

ولقد صدق (إقبال) حينما قال:

كنا جبالا فوق الجبال وربما .. سرنا على موج البحار بحارا

بمعابد الإفرنج كان أذاننا .. قبل الكتائب يفتح الأمصارا

وكأن ظل السيف ظل حديقة .. خضراء تنبت حولنا الأزهارا

لم نخش طاغوتاً يحاربنا ولو .. صب المنايا حولنا أسوارا

ندعوا جهاراً لا إله سوى الذي .. صنع الوجود وقدر الأقدارا

كما نرى الأصنام من ذهب .. فهدمها ونهدم فوقها الكفارا

فيا معشر أهل الإسلام، ويا مَن أحب نبي خير الأنام، ألا تسمعون النداء لا يزال صداه يتجلى في أذن الدهر، فيسمعه الأصم، ويبصر آثارَ مجدِهِ الأعمى.

إن (مَن أنصاري إلى الله) هي التي صنعت أبا بكرٍ، فصار مُعَلِّمَ الصدقِ، وعمر فأصبح منار العدل، وعثمان فسقى الحياءُ مُحَيّاه أبدَ العصر، وعليّاً فما زالت شجاعته مَضْربَ المثلِ في كل برٍ وبحرٍ، وصَنَعتْ بقيةَ العشرةِ المبشرين، وصَقُلَت أفئدةَ الأنصارِ والمهاجرين، وازدان بها كل مسلم اعتصم بالنصرة لنبي الإسلام ﷺ في كل عصر ومصر.

لئن قال الحواريون لعيسى عليه السلام: نحن أنصار الله، فإن أمة محمد ﷺ في طول الأرض وعرضها أنجبت أنصارَ صدقٍ، يَصدَقُون في اللقاء، ويُوَفُّون في الرخاء، فلا يَسُبُّ أحدٌ نبيَّهم، أو ينتقص من علوِّ رفعته، إلا طاروا كالصقور يجؤون عنق كل باغٍ، ويهدمون مناة وعزى كل طاغية، ويقاطعون من أجل نبيهم ما تُصَدِّرَهُ دول البغي والعهر والعداء، نصرةً لنبيهم وحسبةً لجلال ربهم.

إنها النصرة التي تحتاج منا الغالي والنفيس، وتطالبنا أن نمشي في كل سرية وخميس، إنها النصرة التي تنادينا صباح مساء، أن برْهِنُوا على إيمانكم، وجدّدُوا للعهد قسيا، تمحو الباطل وتقصيه، وتنصر الحق وتدنيه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

فأبشروا بنصر الله لكل من نصر اللهَ ورسولَه، وليسعدَ كلُ موحدٍ بفتح الله القريب، ونصره المبين: ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٣] ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله﴾ [التوبة: ٤٠]

وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين.

النصرة الحقيقية لخاتم الرسل



الشيخ حسن قاطرجي

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

إن أوَّلَ ما يحتاجه المسلمون - للنهوضِ من انحطاطهم وتخلُّفِهم - أن يُحدِثوا تجديداً نوعيّاً في صِلَتِهم برسول الله ﷺ، يُؤصِّلون به نهجَ التجديد الأصيل، في الاقتداء برسول الله، في كل جوانب حياتهم، لا الاتباع التقليدي الفارغ من المضمون، مع الانسياق وراء زعاماتٍ تافهة، كما هو مُشاهد من فئامٍ من المسلمين، وما هذا إلا بسبب ضعف الوعي، والهزيمة النفسية تجاه الواقع الجاهلي، ودعاوى العلمانيّين.

هذا النهجُ الأصيلُ، تتطلَّبُه حركةُ العودة الصادقة الحقيقية إلى الإسلام، التي تتَّسع جعرافياً وأُفقياً وعدديّاً يوماً بعد يوم، بينما لا زالت تحتاج إلى كثيرٍ من جُهْدِ التجديد والإحياء، ومنه في جانبِ النصرة الحقيقيةِ، لسيد الخلق وخاتم الرسل نبينا محمد، في المجالات التالية، خاصةً مع اشتداد موجات الإساءة إليه، وتشويه قدوته - حاشاه عليه الصلاة والسلام -:

١ **تعميقُ مدلول (لا إله إلا الله محمد رسول الله)،** ومقتضياتها من إفراد الله العظيم بالعبادة والتوكّل، والخوف والرجاء والحب، وسواها من الأعمال القلبية، وأن رسولُه محمّداً هو الذي يبلغ عنه، ويجبُ اتباعه، واعتقادُ أن الحاكمية لله وحده، لا ينازعه فيها زعيمٌ ولا رئيسٌ، ولا هيئةٌ ولا مجلسٌ، وأن التشريع هو حقّ الله وحده، وأنه أحدُ أعظم مقتضيات ربوبيته على خلقه، واعتقادُ أن رسولَه - صلى الله عليه وسلم - هو وحده المُبيّنُ لشريعته، والزائدُ عليها بإذن منه في سنّته القولية والعملية.



٢ **البراءةُ من كل صور الشّرك وخاصة الشائعة في عصرنا، والتي من أخطرها اللامبالاة بتحكيم غير شريعة رسول الله.**

٣ **تجديدُ معنى (قدوة رسول الله صلى الله عليه وسلم) الشاملة لجوانب الحياة كلها، علماً وسلوكاً.**

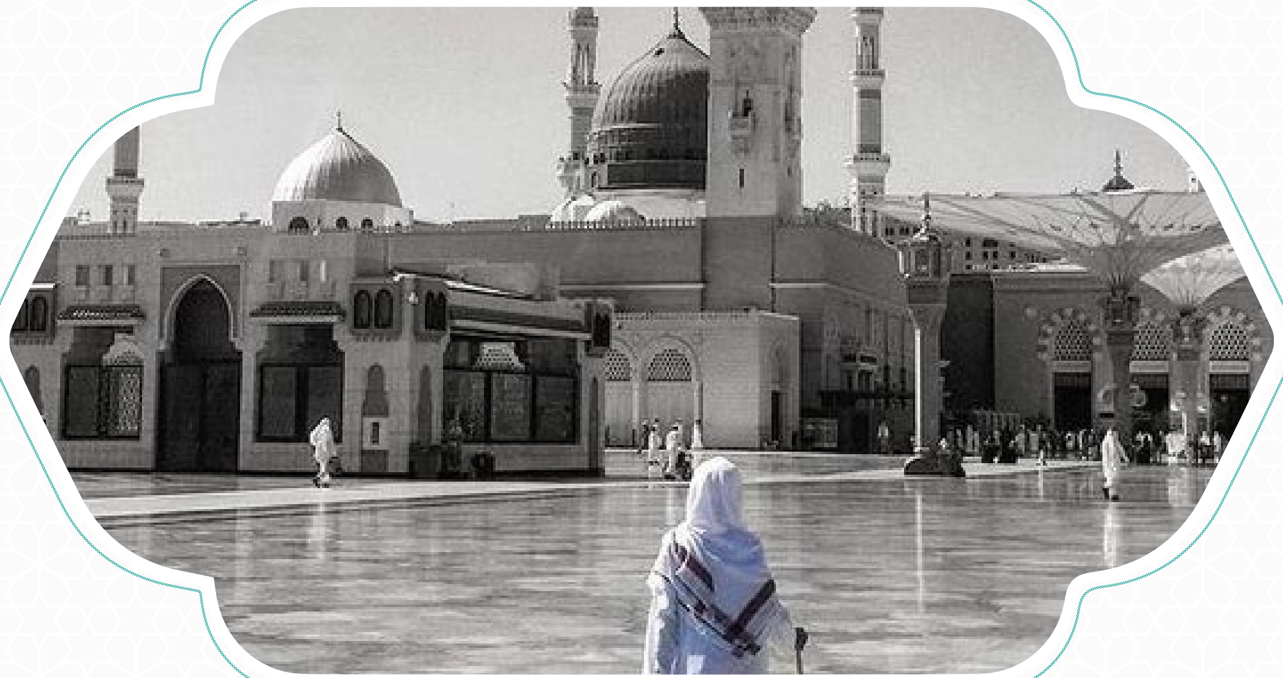
٤ إحياءُ «نهج النبوّة» في الولاء والبراء، وإحياء فقه اجتناب الطّاغوت الوارد في القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

٥ **إحياءُ «نهج النبوّة» في العبادة، والتبتُّل والزهد في الدنيا،** والشوق إلى الآخرة، وقوّة الإقبال على الله بالطاعات، وكثرة فعل الخيرات.

٦ إحياءُ «نهجِ النبوّة» في تزكيةِ النفوس، لتعميق أصالةِ التديُّن في القلب والخُلُق، بالإضافة إلى تديُّن الظاهر، الذي يَغلبُ الاكتفاءُ به على جماهير المسلمين.

٧ إحياءُ «نهجِ النبوّة»، في نوعية تربية الأمّة، والبناء العقائدي والإيماني والسلوكي لها، وفي إعدادها ليصير الإسلامُ وفق الهَدْي النبوي المبارك، وقِيَمه الكبرى أكبرَ همِّها ونشرُ دعوتِه، وإعلاءُ كلمته أعظمَ شُغْلِها.

٨ تجديدُ التربيةِ على الإعداد، والجهاد، فهماً وتفاعلاً، وفقهاً وتطبيقاً.



٩ تَجديدُ فهْمِ سُنَنِ الله في قيام المجتمعات وانهيارها، وفي الصراع بين الإسلام والشرّ والطغيان.

١٠ تجديد فقه توحيد صفوف الأمّة وشرائحها على نهج النبوّة.

” وكذلك يجب أن نُضيفَ إلى هذا التجديد، ضرورةَ تسخير كل حديث نافع من التقنيّات الجديدة، والمعارف النافعة - الإنسانية أو الطبيعية -، لخدمة الدعوة الإسلامية. “


جوستاف لوبون

ولا شك في أن فَهْمَنا لأهداف بعثة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، ولسِمَات رسالته، يشكّلان الإطارَ الذي ينبغي أن تتحرك فيه حركةُ التجديد، مع الارتكاز إلى أن النبي عليه الصلاة والسلام نبيُّ المرحمة، فقد وصف نفسه بأنه نبيُّ الرحمة في أكثر من حديث صحيح، بل قال ربُّه عن غاية إرساله الكبرى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾

[الأنبياء: ١٠٧]، فهو - بأبي وأمي - رحمةٌ من الله للعالمين، وشريعته كلُّها رحمةٌ، وهدفُ إنقاذهِ للناس من النار رحمةٌ، وحرصُه على أسباب سعادتهم في الدنيا رحمةٌ، فضلاً عن أنه دعا إلى التراحم بين الخلق، وكان مثالاً لهم في ذلك، فقد أضنى جسده وعافيته لرحمة الخلق. وصِنوُ ذلك هو نبيُّ الملحمة، فهو القائل: «إنما أنا رحمةٌ مُهْداة»[1]، إما على معنى أنه: رحمةٌ أهداها الله للخلق على أن الميم مضمومة، وإما على معنى أنه - رحمةٌ أرسله الله ليَهدي الخلق، ويُنقذهم من الهلاك في الدنيا، والعذاب في الآخرة - على أن الميم مكسورة.

وأحدُ جوانبِ النصرةِ الكبيرة في عصرنا -، لكثرةِ التشويشات، والتشويهات البشعة التي يجتهد الإعلام الغربي والمحلي العلماني على بثّها -، التركيز على تفوّق واختصاص شريعة الرسول عليه الصلاة والسلام برحمة النساء: في تكريمهنّ، والتوصية بهنّ، والحثّ على حُسن معاشرتهنّ، وإقرار حقوقهنّ بما لم تُسْبَقْ إليه تعاليمُه في القديم ولا في الحديث، وقد شَهِد عالم الاجتماع والفيلسوف الفرنسي غوستاف لوبون في كتابه المهم - حضارة العرب- الذي ترجمه عادل زعيتر فقال: (العالم مَدينٌ في نُبل معاملة المرأة، لنبي الإسلام)، وهذا بخلاف ما تُذيعه الجاهلية المعاصرة، وتيارتُها العلمانية عن نظرة الإسلام إلى المرأة، ضمن مسار حربها المكشوفة ضدّ الإسلام.

١. رواه الحاكم في «المستدرك» بسند صحيح.

وما كَثْرةُ المؤتمرات الدولية التي تتناول موضوع المرأة، واتفاقيةُ سيداو، واتفاقياتُ مناهضة العنف ضد المرأة، - التي ظاهرها الرحمة والشفقة بالمرأة، وباطنها العذاب والشقاء، والاستغلال البشع لها -، إلا حلقة من حلقات التآمر على الدين والقِيَم، والمرأة نفسِها.

ولكن رحمته ﷺ ليست رحمة استكانةٍ وهوانٍ، وإنما هي رحمةُ قوةٍ وعُنفوانٍ، لذا هو نبيُّ الملحمة أيضاً، فقد وصف نفسه بأنه نبي الملاحم:

(أَنَا مُحَمَّدٌ، وأَحْمَدُ، والْمُقَفِّي، والْحَاشِرُ، ونَبِيُّ الرَّحْمَةِ، قَالَ يَزِيدُ، ونَبِيُّ التَّوْبَةِ ونَبِيُّ الْمَلْحَمَةِ)[٢]، وهذا لا ينافي ذلك - كما قرر العلماء، منهم الإمامان الخَطَّابيُّ والبَغَوِيّ - لأن القوة في الإسلام ليس غايتها التشفّي بسفك الدماء، وتخريب البلاد، وإهلاك العباد، وإنما الدعوةُ إلى عبادة الله دون سواه، وإزالةُ العقبات أمام الدعوة، وإقصاءُ الطّواغيت عن حكم الأرض، لإعلاء كلمة الله، وصدق الله حيث يقول: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال: ٣٩].

من هنا توالى التأكيد في هذا الدين، على فريضة الجهاد، وأنه ذروة سَنامه، وفي أعلى مراتبه، واصطبغت هذه الأمّة بصبغة الجهاد، ولكنه جهادٌ في سبيل الله، لا تنحرف به الأهواء السياسية، ولا ينأى عن اتصاله بالأحكام الشرعية والإجراءات الأخلاقية، وعن تأدية الأهداف الدعوية، ولا ينفكّ عن الولاء للحق ونُصرته، وحماية حامليه، والبراءةِ من الباطل والمداهنة له والتحالف مع أصنامه ومحازبيه، ضماناً للوصول إلى نتيجته من إنقاذ البشرية ورحمتها.

"هذا هو الإطار لحركة التجديد في النصرة الفاعلة، والمنتجة الصادقة لرسول الله، وهي ما آلت على القيام به الهيئة العالمية المباركة، التي انطلقت بحضور حشدٍ كبيرٍ علمائي في شهر أكتوبر ٢٠٢١: «الهيئة العالمية لنصرة نبيّ الإسلام صلى الله عليه وسلم»، وتلك النقاط هي أهمّ ركائز رسالتها."

---

٢. رواه أحمد والبزار والترمذي فس الشمائل وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح.

شعراء نصارى

مدحوا النبي ﷺ (١)



الشيخ عبد السلام البسيوني

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده:

أعتقد جازمًا أن كل مسلمٍ - مهما كان حاله - يحب النبيّ ﷺ، ويغار عليه، ويضعه في أفقٍ سامٍ، لا يرقى إليه راقٍ، ولا يبلغه أملُ آمل.

وأعتقد أن هذا الحب ضرورةٌ شرعيةٌ، لا يكون أحدُنا مسلمًا بدونها، وأنَّ قدْرَ الحب يكون بقدر المعرفة، فكلما عرفته ﷺ أكثر، وتتبعت سيرتَه الزاكيةَ أكثر، زادت محبته، وارتفع منسوبها في نفسك، ثم إذا أحببته ﷺ وعرفته اتبعته، وأحببتَ أن تحذو حذوه، لتحشر معه يوم القيامة، اللهم اجعلنا من رفقائه في الجنة يا كريم!



فإذا جاء من يسُبُّ النبي ﷺ، أو يتنقص قدْرَه، فلا يلامُ المسلمُ أن يغضبَ وينفعلَ، لأنه يغضب لحبيبه ﷺ ودينه وشرعه وعقيدته.

لكني ألومه إذا جاءت غيرته وغضبته هوجاء حمقاء، أو شفوية لفظية، أو دفقة مؤقتة انفعالية، ليس لها مضمونٌ ولا أثرٌ، كحال كثيرٍ من غضباتِنا العربيةِ المجيدةِ التي تُسفِر - عادةً - عن... لا شيء! كحال هذا العربي الذي أوسع اللصوص ذمًّا، وأودوا بالإبل.



وفي مقابل ذلك، لا يفاجئني مَن لم يعرف النبي ﷺ من غير المسلمين - إذا سَبَّ أو أساءَ - فهذا كثيرٌ، ومتتابعٌ، وتاريخيٌّ، منذ اللحظة الأولى للجهر بالإسلام، حين قال الأحمقُ أبو لهب للمصطفى ﷺ: (تبًّا لك! ألهذا جمعتنا)؟!

ثم تتابعت الإهانات والافتراءات، حتى قالت العرب عنه بأبي هو وأمي: كاهن/ ساحر/ شاعر، مجنون/ طالب ملك/ طالب مال، وأشد من ذلك، حين تآمروا عليه فداه أبي وأمي ليقتلوه، أو يُثبِتوه، أو يُخرجِوه.

ويستمر التقبيح عبر التاريخ، ليتركز في القرن العشرين من خلال السينما والراديو، والصحافة وأفلام ورسوم الكرتون، حتى أيام التعيس سلمان رشدي، والأتعس تسليمة نسرين، والإخوة الأشاوس علاء حامد، ونوال

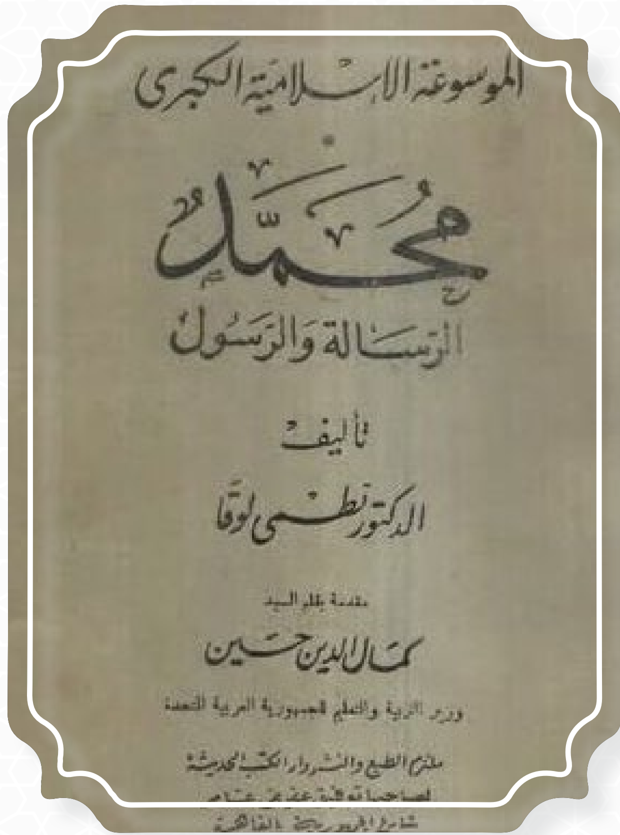
السعداوي وحيدر حيدر، الغبي الذي كتب: اخرأ باسم ربك! وصولًا إلى كاريكاتيرات الصحف الأوروبية المتطاولة على المقام المحمدي السامق، في السنين (الثلاثين) الأخيرة.

شهادات المنصفين:

لكن هذا السرد لا ينسيني - ولا يجوز - شهاداتِ مجموعةٍ من المنصفين من النصارى وغيرهم لصالح الإسلام والنبي ﷺ، حين أسبغوا عليه من صفات العظمة والنبل والرحمة والفضل ما هو به جدير.. وشاعت في الناس شهاداتُ كثيرٍ من المفكرين والعظماء الغربيين في هذا الباب، ربما أتناولها في ملفٍ لاحقٍ، كما أُلِّفت كتبٌ، ودُبجت مقالاتٌ، بأقلام عددٍ من النصارى العرب، في فضائله ومناقبه ﷺ،

وجدير بالذكر هنا أن الناقد والأكاديمي والمفكر الإسلامي الكبير الأستاذ الدكتور حلمي القاعود كتب رسالته في الدكتوراه حول هذا الموضوع: (محمد ﷺ في الشعر الحديث) وتناول هذا الموضوع في أحد أبوابه، وقد استفدت منه في كلامي هذا.

لقد كتب الدكتور نظمي لوقا ثلاثةَ كتب في الإسلام شهيرة هي: وامحمداه، ومحمد: الرسالة والرسول الذي قرَّرتُه وزارة التربية والتعليم على مدارس الجمهورية العربية المتحدة في مصر وسوريا، وأنا والإسلام. كما كتب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وله دراسات إسلامية أخرى.



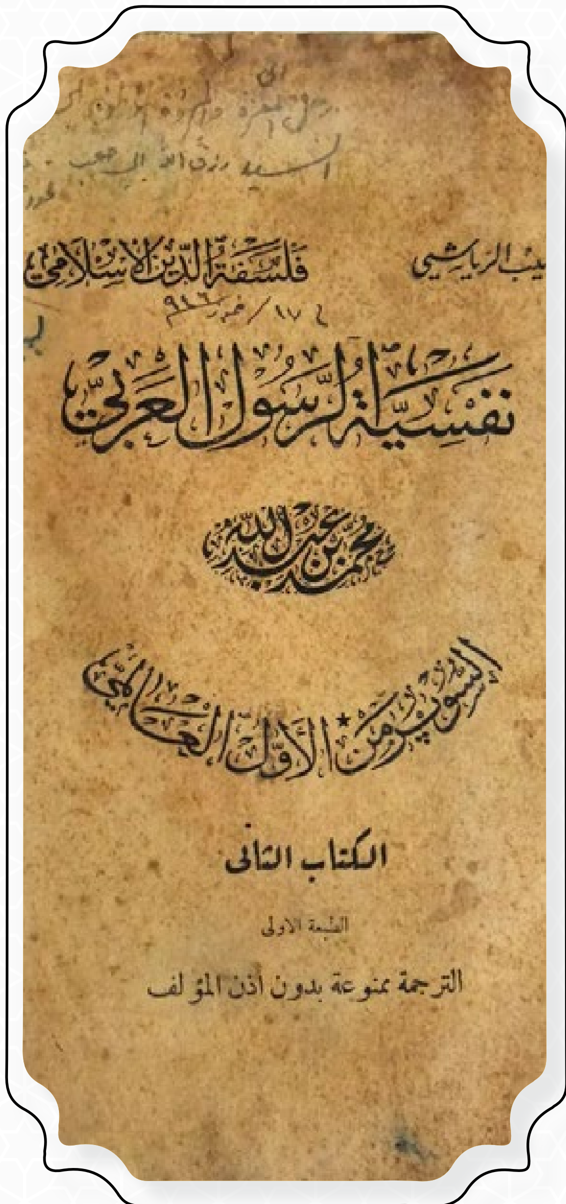
ود. نظمي لوقا - كما تَرجَمت له إسلام أونلاين - مَسيحَيٌّ من مصر، يتميز بنظرته الموضوعية، وإخلاصه العميق للحق. ورغم إلحاح أبويه على تنشئته على المسيحية منذ كان صبيًّا، فإنه كثيرًا ما كان يحضرُ مجالسَ شيوخ المسلمين، ويستمع بشغف إلى كتاب الله تعالى، وسيرة الرسول عليه السلام؛ بل إنه حفظ القرآن الكريم ولم يتجاوز العاشرة من عمره.

وكتبَ بعضُ نصارى الشام كُتباً مشابهة، كما فعل الأستاذ نصري سلهب في كتابه: على خطى محمد ﷺ، وكما كتب الأستاذ خليل إسكندر (دعوة نصارى العرب للإسلام) والأستاذ خليل الطوال (تحت راية الإسلام) ولبيب الرياشي (نفسية الرسول العربي) وهي كلُّها كتبٌ مُنصِفَة، تصف النبي ﷺ بما فيه من الحق والخير. كما أن ربنا تبارك وتعالى مدحَ طائفةً من القسّيسين المنصفين، الذين عرفوا قدر النبي ﷺ وفضله، فقال سبحانه:

﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ
وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ [المائدة: ٨٢-٨٤]

والحق أنني لا أريد الكلام عن هذا الجانب الآن، ولا أتوسع فيه، فقد تكلم كثيرون فيه، بل أريد أن أقف أمام رؤية أخرى أكثر رهافة ورقة، هي رؤيةُ بعضِ الشعراء والمبدعين، من العرب غير المسلمين للنبي صلى الله عليه وآله وصحبه، إذ كتب كثير منهم - خصوصًا نصارى الشام - قصائدَ تنضحُ حبًّا، ومودةً، وإعجابًا بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وسأسوق هنا نخبة من الأشعار المعبرة الرقيقة التي قيلت، لأعكس جانبًا قد تُغطِيه الفورةُ العاطفيةُ القائمة، التي لا تعجبني كثيرًا، لأنها لا تكفي إطلاقًا للدفاع عنه ﷺ، إذ يحتاج الأمر إلى تصحيحٍ واسع للصورة من خلال قنوات التأثير كلها: الدبلوماسيةِ، والأكاديميةِ، والإعلاميةِ، والشعبيةِ، والاقتصادية، والفنية، وغيرها، مع التخطيط لذلك، والتنسيق له، وطول النفس فيه، ودعمه بصورة رسمية وشعبية مؤثرة.. فأما الاكتفاءُ بفورة انفعاليةٍ وقتيةٍ بهذه الشكل، فهو أُدخل في باب (الخيبة القوية) والأداء السلبي الذي اشتهرنا به بين الأمم، إذ تَزيد من استفزاز الآخرين، وتحرضُهم ضد الإسلام، وتَزيدهم سعارًا على سعار، وسوءًا على سوء!



لبيب الرياشي
فلسفة الدين الإسلامي
نفسية الرسول العربي
محمد بن عبد الله
السوبرمن الأول العالمي
الكتاب الثاني
الطبعة الأولى
الترجمة ممنوعة بدون أذن المؤلف

ورقة بن نوفل رحمه الله تعالى ورضي عنه أول نصراني محب:

على كل حال! لتكن وقفتنا مع الشعر والشعراء المعجبين بسيد الخلق محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، والذي بدأ مع أول نصراني ساند الإسلام على الإطلاق، وهو سيدنا ورقة بن نوفل رضي الله عنه، أول نصراني أسلم، والذي وعد أن يدافع جهدَه عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، حين اصطحبت أمُّنا العظيمة خديجة رضي الله عنها رسول الله ﷺ أول الوحي إليه. وكان ورقةُ قد تنصر، وقرأ الكتب، وسمع من أهل التوراة والإنجيل، فأخبرته العظيمة أمُّ المؤمنين خديجة بما أخبرها به رسول الله ﷺ أنه رأى وسمع، فقال ورقة بن نوفل: قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ ، والذي نفس ورقة بيده: لئن كنتِ صدقتِني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر، الذي كان يأتي موسى، وإنه لنبيُّ هذه الأمة، فقولي له فليثبت. وجعل ورقة يستبطئ الأمر، ويتحرق شوقًا لمزيد من دلائل النبوة، وفيوض الوحي، ويقول حتى متى!؟ وكان مما قال في ذلك :

لجِجتُ وكنتُ في الذكرى لجوجا •• لهمٍّ طالما بعثَ النشيجا

ووَصفٍ من خديجةَ بعد وصفٍ •• فقد طال انتظاري يا خديجا

ببَطن المكَّتين على رجائي •• حديثكِ أن أرى منهُ خروجا

بما خبرَّتِنا من قول قس •• من الرهبان أكره أن يعوجا

بأنّ محمداً سيسودُ فينا •• ويَخصِم مَن يكونُ له حجيجا

ويظهر في البلاد ضياءَ نورٍ •• يُقيم به البريّة أن تموجا

فيلَقى مَني محاربُه خساراً •• ويلَقى من يُسالمُه فُلوجا

فيا ليَتني إذا ما كان ذاكم •• شَهدتُ فكنتُ أوَّلَهم وُلوجا

وُلوجاً في الذي كَرِهت قريشُ •• ولَو عجّت بمكّتها عَجيجا

وله أشعارٌ أخري غير هذه لا داعي لإيرادها، لأفسح المجال للشعراء المعاصرين من غير المسلمين، ورأيهم في سيدنا المصطفى ﷺ.

الشاعر الألماني الكبير: يوهان فولفجانج فون جوته

ومن الذين أُعجبوا كل الإعجاب بمحمدٍ ﷺ وكتبوا عنه، الشاعر الألماني الكبير جوته (٢٨ أغسطس ١٧٤٩ - ٢٢ مارس ١٨٣٢) الذي ظهر إعجابه الشديد بالدين الإسلامي وبالرسول الكريم من خلال أشعاره، وأعماله الأدبية مثل «تراجيديا محمد» ذلك الكتاب الذي انقسم إلى فصلين:


الكاتب إلى جوار تمثال جوته

الأول تحدث فيه عن بعثة محمدٍ ﷺ، **أما الفصل الثاني** فصوّر معاناة الرسول أثناء تبليغه الرسالة، وما قاساه من المشركين خلال ذلك.

كما اختص جوته الرسول محمدًا ﷺ بقصيدة مدح طويلة، مشبهًا إياه بالنهر العظيم، الذي يَجُرُّ معه الجداول والسواقي في طريقه إلى البحر، كما قام بكتابة مسرحيةٍ أيضًا عن الرسول، ولكنها لم تكتمل بسبب وفاته، وقد وُجد بعضُ المخطوطات لهذه المسرحية التي عمد فيها إلى التأكيد على أن محمدًا ﷺ، جاء بأفكار جديدة لنشر الإسلام، وروح المساواة والإخاء في العالم.

ولقد كنت في مسقط رأسه فرانكفورت أوائل سبتمبر ٢٠٢٠، فما كان يُعقل ألّا أزور دارَه ومتحَفه؛ ذلك الرجل الذي أسلم لسانه، وهفا قلبه، وغرّد شعرًا عن النبي ﷺ، وعن الإسلام والقرآن، وهو رابع العظماء الأربعة في الأدب الغربي: صاحب الإلياذة الإغريقي هوميروس، أقدمُ نصٍّ أدبي مكتوب في الأدب الغربي، والإيطالي صاحب الكوميديا المقدسة دانتي أليجيري، وأخلد شعراء بريطانيا، الشاعر الشهير وليم شكسبير!

وهو بالتأكيد مختلف مميز عن أولئكم جميعًا، فإلياذة هوميروس ملأى بالوثنية، والآلهة التافهة التي تتصارع وتغار وتخطف نساء بعض! ودانتي أليجيري وضع النبي محمدًا ﷺ في سواء الجحيم، للعذاب الأبدي! وشكسبير مسرحي فانتازي بدرجةٍ كبيرة، وقد اتُّهم بالانتحال وسرقة أعماله، (فرغم أنه كتب عشرات المسرحيات والسونيتات (الشعر الغنائي)، فإن نسبة هذه الأعمال إليه ظلت محل شكٍ ومثار جدلٍ، منذ العثور على رسالةٍ في أرشيف معاصرِه الكاتب البريطاني روبرت غرين (١٥٥٨- ١٥٩٢)، تضمنت هجومًا شرسًا على شكسبير، واتهمته بالسطو على نصوصٍ أدبيةٍ للغير. ونُسبت أعماله لكتّاب أمثال: فرانسيس بيكون، وكريستوفر مارلوي، بل وإلى الملكة إليزابيث الأولى!

"وسر اختلاف جوته عن أولئكم، أنه ممن افتتنوا بالقرآن، ومن الذين أُعجبوا كلَّ الإعجاب بمحمدٍ ﷺ وكتبوا عنه! وقد أظهر إعجابه الشديد بالدين الإسلامي، وبالرسول الكريم، من خلال أشعاره، وأعماله الأدبية مثل «تراجيديا محمد» ذلك الكتاب الذي انقسم إلى فصلين: تحدث في الأول عن بعثته ﷺ، أما الفصل الثاني ففيه تصوير لمعاناة الرسول عليه السلام أثناء تبليغه الرسالة، وما قاساه من المشركين خلال ذلك!"

كما اختص جوته الرسول محمدًا ﷺ بقصيدةِ مدحٍ طويلة، مشبهًا إياه بالنهر العظيم، الذي يجر معه الجداول والسواقي في طريقه إلى البحر، كما كتب مسرحية أيضًا عن الرسول ﷺ، توفاه الله قبل إتمامها! وقد وُجدت بعض المخطوطات لهذه المسرحية، التي عمد فيها إلى التأكيد على أن محمدًا ﷺ جاء بأفكارٍ جديدةٍ لنشر الإسلام، وروح المساواة والإخاء في العالم!


روبرت جرين

ومما قاله في الإسلام في ديوانه الشعري (الديوان الشرقي)، الذي ترجمه الدكتور عبد الرحمن بدوي: «إذا كان الإسلام معناه أن نُسْلِمَ أمرنا لله، فعلى الإسلام نعيش ونموت جميعًا».

وقد اعتقد أناس أنه أسلم، حتى إن أستاذة الأدب الألماني كاترينا مومزن قالت: «إن علاقة جوته بالإسلام ونبيه الكريم ظاهرة، مدعاة للدهشة في حياته، فكل الشواهد تدل على أنه في أعماقه شديد الاهتمام بالإسلام، وكان يحفظ عشرات من آيات القرآن الكريم»!

وكتبت الأستاذة مي كمال الدين عنه في موقع محيط:

في قصيدته التي جاءت في أول كتاب «المغني» تحت عنوان «الهجرة» أشار الشاعر إلى رغبته في أن يهاجر كما هاجر محمد ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة! يقول:

„ الشمال والغرب والجنوب تحطم وتتناثر/ والعروش تُثل، والممالك تتزعزع وتضرب/ فلتهاجر إذن إلى الشرق في طهره وصفائه/ كي تستروح جو الهُداة والمرسلين/ هنالك، حيث الحب والغناء/ سيعيدك ينبوعُ الخضر شابًّا من جديد/ إلى هنالك، حيث الطهر والحق والصفاء/ أود أن أقود الأجناس البشرية/ فأنفذ بها إلى أعماق الماضي السحيق/ حين كانت تتلقى من لدن الرب وحي السماء بلغة الأرض/ دون تحطيم الرأس بالتفكير! “



وقد نظم جوته في سن الثالثة والعشرين قصيدة رائعة أشاد فيها بالنبي محمد ﷺ، وحينما بلغ السبعين من عمره أعلن على الملأ أنه يعتزم أن «يحتفل في خشوع بتلك الليلة المقدسة، التي أنزل فيها القرآن على النبي ﷺ».

• وفي إعلانه عن صدور كتابه «الديوان الشرقي» قال إنه «لا يكره أن يقال عنه إنه مسلم»، كما يقول عن القرآن الكريم إن أسلوبه «محكم، سامٍ، مثير للدهشة، وفي مواضع عديدة يبلغ قمة السمو حقًّا» ويشير الكتاب إلى أن المعتقدات الإسلامية الواردة في القرآن كانت تتفق مع معتقدات جوته الدينية والفلسفية، ومنها فكرة التوحيد،

والاعتقاد بأن الله تبارك وتعالى يتجلى في الطبيعة، وأنه سبحانه يخاطب البشر على لسان الرسل.

ومن الدلائل التي تسوقها كاترينا مومزن على ارتباط جوته بالقرآن الكريم الرسالة التي بعث بها إلى هردر عام ١٧٧٢ حيث كتب جوته من مدينة فتسلار قائلًا: «إني أود أن أدعو الله كما دعاه موسى عليه السلام في القرآن: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [طه: ٢٥]

كل الطرق تؤدي لجوته

وكان جوته يقتبس معاني بعض آيات القرآن الكريم في مقطوعاته الشعرية الحكمية، فيقول في أحد أشعاره التي جاءت في شكل رباعيات أضفى عليها صيغة الدعاء:

يريد الضلال أن يربكني/ لكنك تعرف كيف تهديني/ فإن أقدمتُ على عملٍ أو أنشدتُ شعرًا/ فأنر أنت لي جادّةِ الطريق!

ومن أشعار جوته أيضًا، التي تأثر بها بالقرآن الكريم: هو الذي جعل لكم النجوم/ لتهتدوا بها في البر والبحر/

ولكي تنعموا بزينتها، وتنظروا دائمًا إلى السماء!

بطاقة شخصية

شهدت مدينة فرانكفورت الألمانية ولادة الشاعر الألماني العظيم يوهان فولفغانغ فون غوته johonn goethe nov woflgang في ٢٨ أغسطس ١٧٤٩ /٢٢ وتوفي مارس ١٨٣٢! وهو أحد أشهر أدباء ألمانيا المتميزين، ترك إرثًا أدبيًا وثقافيًا ضخمًا للمكتبة الألمانية والعالمية، وكان له بالغ الأثر في الحياة الشعرية والأدبية والفلسفية،. وما يزال التاريخ الأدبي يتذكره بأعماله الخالدة التي تحفل بها أرفف المكتبات في العالم كواحدة من ثرواتها، وقد تنوع أدب غوته ما بين الرواية، والكتابة المسرحية، والشعر، وأبدع في كل منها، واهتم بالثقافة والأدب الشرقيين، واطلع على العديد من الكتب؛ فكان واسع الأفق، مقبلًا على العلم، متعمقًا في دراساته!

• ونظرًا للمكانة الأدبية التي مثلها غوته أُطلق اسمه على أشهر معاهد لنشر الثقافة الألمانية في شتى أنحاء العالم معهد غوته الذي يعد المركز الثقافي الوحيد لجمهورية ألمانيا الاتحادية، الذي يمتد نشاطه، في العالم كله.



كان جوته من أسرة بروتستانتية، وعمل والده مستشارًا للقيصر، حيث كان متعلمًا وطموحًا، ودرس اللغة الإنجليزية في وقتٍ مبكرٍ من حياته، ثم التحق بجامعة ليبزيج سنة ١٧٦٥ لدراسة القانون، ثم واصل دراسته ١٧٧٠م في مدينة ستراسبورج، ثم استقرَّ في منصب قانوني بالقصر الإمبراطوري بالمدينة، في عام ١٧٨١م درس جوته علم التشريح والعظام، بينما درس الجيولوجيا عام ١٧٨٢م، ولكنه ترك دراستها بعد أن عيَّنه الإمبراطور جوزيف الثاني وزيرًا، ثم رقَّاه إلى رتبة نبيل، وزار مدينة البندقية ١٧٨٦م، وتعرَّف فيها على زوجته كرتسيان فولبيوس التي أنجب منها ابنه الوحيد!

استقر فيلسوفنا في هايدلبرج عام ١٧٧٥م؛ ليكون مستشارًا مفوضًا لدى وريث عرش فايمر الألمانية الشرقية، شارل أوجست، الذي رقاه إلى وزير مكلف بالشؤون الثقافية والمعادن والغابات، وكانت هذه هي آخر كلمات نطق بها جوته: (انقطعت الأنوار)، وفاضت روحه إلى بارئها يوم ٢٢ مارس ١٨٣٢م.

" لم يكن جوته مجرد شاعر عادي يسجل خواطره وأفكاره من خلال قصائده الشعرية، وكتبه الأدبية، بل مال إلى التبحر في مختلف العلوم، فانكب دارسًا العلوم والفنون المختلفة وعكف على تعلم اللغات بمساعدة والده؛ فدرس اللاتينية، واليونانية، والإيطالية، والفرنسية، والإنجليزية، والعبرية، كما سعى للتعرف على ثقافات أخرى، فتعمق في الأدب الشرقي، مطلعًا على الأدب الصيني والفارسي والعربي، بالإضافة لتعمقه في الفكر الإسلامي، ولم يكتف غوته في مجمل اطلاعه على الثقافة العربية والشعر العربي، فقط بل اطلع على كتب النحو والصرف متلهفًا وساعيًا نحو المعرفة، ما أهلته ليكون شاعرًا متمكنًا، واسع الثقافة، مطلعًا على العديد من العلوم. "

تنوعت مؤلفات جوته بين الرواية والقصيدة والمسرحي، ومنها: آلام الشاب فرتر، ونزوة عاشق، والمتواطئون، وجوتس فون برليخنجن ذو اليد الحديدية، وكلافيجو، وإيجمونت، وشتيلا، وإفيجينا في تاورس، وتوركواتو تاسو، ومن قصائده بروميثيوس، وفاوست «وهي ملحمة شعرية من جزأين»، والمرثيات الرومانية، وسيرة ذاتية بعنوان من حياتي: الشعر والحقيقة، والرحلة الإيطالية، والأنساب المختارة. كما قدم واحدة من أروع أعماله وهي «الديوان الغربي والشرقي» والذي ظهر فيه تأثره بالفكر والإسلامي، ولعل غوته هو أول شاعر أوروبي يقوم بتأليف ديوان عن الغرب والشرق مجسدًا قيم التسامح والتفاهم بين الحضارتين!

اللغة العربية في حياة جوته

مما قاله جوته في وصفه للغة العربية:

ربما لم يحدث في أي لغة هذا القدر من الانسجام بين الروح والكلمة والخط، مثلما حدث في اللغة العربية، وإنه تناسق غريب في ظل جسد واحد»، وقد عكف جوته على دراسة الشريعة الإسلامية دراسة متعمقة، واطلع على الأشعار والملاحم العربية، وتأثر بعدد من الشعراء مثل المتنبي، وأدرج بعض من ملامح أشعاره في روايته «فاوست»، كما تأثر بأبي تمام، والمعلقات السبع، فترجم عدد منها إلى اللغة الألمانية عام ١٧٨٣ م بمساعدة معلمه هيردر، وقرأ لفحول الشعراء مثل امرئ القيس، وطرفة بن العبد، وعنترة بن شداد، وزهير بن أبي سلمى وغيرهم، وكانت للأشعار والمفردات العربية تأثير بالغ على أشعار وأدب جوته.



مدخل بيت جوته ومتحفه

• وفي سياق اهتمامه باللغة والآداب المشرقية أصدر جوته عام ١٨١٩ ديواناً شعرياً بعنوان (الديوان الغربي الشرقي)، أراد من خلاله تقريب المسافات بين الغرب والشرق، واطْلاع الغربيين على الآداب الشرقية. صدر الديوان في ١٢ كتابًا وموضوعًا، تأثر فيه جوته بديوان حافظ الشيرازي. وإلى جانب القصائد احتوى الديوان على ملاحظات وتعليقات تساعد في الفهم، وتلقي الضوء على تاريخ الآداب العربية والفارسية والعبرانية.

توفي في الثاني والعشرين من مارس ١٨٣٢ بفايمار، في الثانية والثمانين من عمره، بعد أن أثرى المكتبة الألمانية والعالمية بالعديد من المؤلفات الأدبية القيمة، وقد كان له أثرٌ كبيرٌ في الحياة الأدبية في عصره، ما أهله لأن يظل التاريخ يردد اسمه كواحد من أعظم الأدباء. ومن شعره:

باسمِ الذي (أوجدَ نفسه!)/ ويعيشُ مهنةَ الخلق منذُ الأزَل!/ باسمه هو الذي يُبدع الإيمانَ/ والثقةَ والحبَّ والنشاط والقوةَ!/ باسمِ ذلك الذي، غالبًا ما يُذكرُ/ لكنَّ جوهرَه يظلُّ غَامضًا أبدًا/ على امتدادِ السمْع والبصر/ لا تجدُ شيئًا معرُوفًا يماثله!/ وأسمى تعالٍ ناري لعقلك/ يكتفي بالرَّمز، ويكتفي بالصورة/ يجتذبك ويقودك في بِشْر!/ فيزهو لك الطريق والمكان أنى اتجَهْتَ!

ومن شعره:

لله المشرق.. لله المغرب

والأرض شمالًا.. والأرض جنوبًا

تسكن آمنة.. بين يديه

هو العدل وحده

يريد الحق لعبده

من مائة اسم من أسمائه

تقدس اسمه هذا

آمين

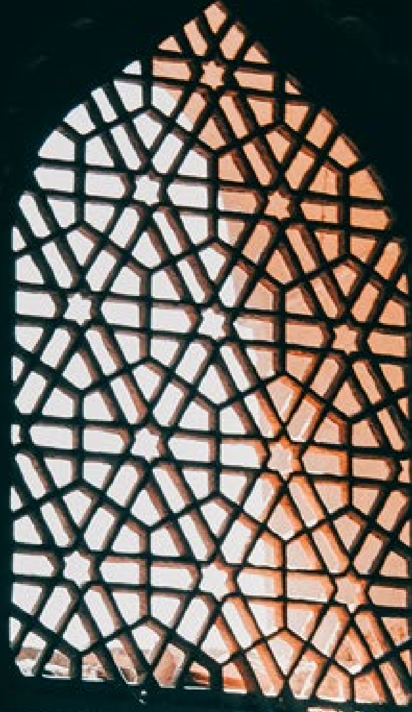

متحف جوته

الحياة مع سيد الخلق ﷺ لحظة بلحظة



د. بسام محمد صهيوني

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ



هل هناك مبالغة في هذا العنوان؟ فهل من الممكن أن نكون مع النبي ﷺ في كل لحظة؟ ونعلم عن حياته كل شيء؟

هل يمكن أن نعلم كيف كان ينام؟ كيف كان يستيقظ من نومه؟ ماذا يفعل عندما يستيقظ؟ كيف يتكلم؟ ما هو وصف بيته؟ ماذا يأكل؟ ماذا يشرب؟ كيف يمشي؟ أي طريق يسلك في سفره؟ ماذا كان يركب؟ ماذا كان يلبس؟ ما هي أوصافه الجسمانية؟ هل يمكن أن نعلم ما يجري في بيته ﷺ، في حين أن الملوك والرؤساء تحاط تفاصيل حياتهم الشخصية، بشكل كبير من السرية؟

والكثير الكثير من الأسئلة المبينة لتفاصيل حياة النبي ﷺ.

للجواب عن هذا السؤال: لابد لنا من الاطلاع على كتب السنن والسير، ونقلب الروايات التي نقلت حياة النبي ﷺ، وقبل أن نستعرض هذه الروايات، لابد أن نشير إلى أمور هامة جداً وهي:

١. صدق الروايات التي تنقل تفاصيل حياة سيد البشر

فهي ليست روايات ألفها من يريد المدح المجرد لزعيم ما، وإنما هي توصيف ووصف لحالات مختلفة، فليست كلها مما يجلب السرور، كرواية سقوطه ﷺ في غزوة أحد، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، «أن رسول الله ﷺ شج في وجهه، وكسرت رباعيته، ورمي رميةً على كتفه، فجعل الدم يسيل على وجهه، وهو يمسحه ويقول: كيف تفلح أمة فعلوا هذا بنبيهم، وهو يدعوهم إلى الله؟»[١].



٢. شدة محبة أصحاب النبي ﷺ

جعلتهم ينقلون عنه كل صغيرة وكبيرة، كل خطوة يمشيها، وكل فعل، وكل حركة، وكل كلمة، حتى عدوا الشعر الأبيض في لحية أكرم الخلق ﷺ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: «وقبض -ﷺ- وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرةً بيضاء»[٢].

٣. تواضعه ﷺ ورحمته بالخلق

فكان معلماً رحيماً، ولم يكن جباراً متكبراً، فكان يعيش مع الناس، وبين الناس بقرب شديد، ما مكنهم من معرفة تفاصيل حياته ﷺ، «فعن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أتينا النبي ﷺ ونحن شببة متقاربون،

---

١. سنن الترمذي ت شاكر (٥/ ٢٢٧).
٢. صحيح البخاري - البغا (٣/ ١٣٠٢).



فأقمنا عنده عشرين ليلةً، وكان رسول الله ﷺ رفيقًا، فلما ظن أنا قد اشتهينا أهلنا - أو قد اشتقنا - سألنا عمن تركنا بعدنا فأخبرناه، قال: ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم، وعلموهم ومروهم، وصلوا كما رأيتموني أصلي، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، وليؤمكم أكبركم»[٣].

نعود الآن لنستعرض الإجابة على الأسئلة السابقة باختصار وإيجاز مستدلين على ذلك بأحاديث صحيحة وروايات ثابتة.

هل يمكن أن نعلم كيف كان ينام؟ كيف كان يستيقظ من نومه؟ ماذا يفعل عندما يستيقظ؟

هذا عبد الله بن عباس يروي لنا ما شاهده وشهده في بيت النبي ﷺ عندما كان صغيراً:

عن كريب مولى ابن عباس «أن عبد الله بن عباس أخبره: أنه بات ليلةً عند ميمونة زوج النبي ﷺ وهي خالته فاضطجعت في عرض الوسادة، واضطجع رسول الله ﷺ وأهله في طولها، فنام رسول الله ﷺ، حتى إذا انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل، استيقظ رسول الله ﷺ، فجلس يمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران، ثم قام إلى شن معلقة، فتوضأ منها فأحسن وضوءه، ثم قام يصلي. قال ابن عباس: فقمت فصنعت مثل ما صنع، ثم ذهبت فقمت إلى جنبه، فوضع يده اليمنى على رأسي، وأخذ بأذني اليمنى يفتلها، فصلى ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم أوتر، ثم اضطجع حتى أتاه المؤذن، فقام فصلى ركعتين خفيفتين، ثم خرج فصلى الصبح»[٤].

ففي هذه الرواية تفاصيل عن ليلة في بيت النبي ﷺ: كيفية النوم، على ماذا نام، كيفية الاستيقاظ، وماذا فعل عندما استيقظ، وماذا قرأ، وكيف توضأ، ومما توضأ، وكيف صلى، وماذا قرأ، وماذا فعل عندما انتهى من القيام. تفاصيل مصورة بدقة بالغة، ووصف دقيق لأفعاله، وحركاته، وكلماته ﷺ.

---

٣. صحيح البخاري - البغا (٥/ ٢٢٣٨).
٤. صحيح البخاري - البغا (١/ ٧٨).

كيف كان يتكلم ﷺ؟

كان أصحاب النبي ﷺ، يراقبون سكناته، وسكتاته ﷺ، وليس كلامه فقط، فعن أبي هريرة قال: «كان رسول الله ﷺ يسكت بين التكبير وبين القراءة إسكاتةً - قال أحسبه قال: هنيةً - فقلت: بأبي وأمي يا رسول الله، إسكاتك بين التكبير والقراءة ما تقول؟

قال: «أقول: اللهم باعد بيني وبين خطاياي، كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من الخطايا كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد»[٥].

فإذن لم يكتفِ الصحابة بما يسمعونه من الكلام، بل يسألون عن سكوته ﷺ في مواطن العبادة، حتى يتعلموا دينهم. وكذلك يراقبون أي حركة منه ﷺ، فعن أبي معمر قال: «قلنا لخباب أكان رسول الله ﷺ يقرأ في الظهر والعصر؟ قال: نعم، قلنا: بم كنتم تعرفون ذاك؟ قال: باضطراب لحيته»[٦].



حتى ما يقوله في سجوده في قيام الليل نُقل إلينا، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: «كنت نائمةً إلى جنب رسول الله ﷺ ففقدته من الليل فلمسته فوقعت يدي على قدميه وهو ساجد وهو يقول:

«أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»[٧].

وعن عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ، كان يحدث حديثًا لو عده العادّ لأحصاه»[٨].

٥. صحيح البخاري - البغا (١/ ٩٥٢).
٦. صحيح البخاري - البغا (١/ ٢٦٤).
٧. سنن الترمذي ت شاكر (٥/ ٥٢٤).
٨. صحيح البخاري - البغا (٣/ ١٣٠٧).

ما وصف بيته ومكان سكنه؟

هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصف غرفة كان النبي ﷺ يجلس فيها:

« فدخلت على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على حصير، فجلست، فأدنى عليه إزاره وليس عليه غيره، وإذا الحصير قد أثر في جنبه، فنظرت ببصري في خزانة رسول الله ﷺ، فإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع، ومثلها قرظًا[٩] في ناحية الغرفة، وإذا أفيق[١٠] معلق. قال: فابتدرت عيناي، قال: ما يبكيك يا ابن الخطاب؟ قلت: يا نبي الله، وما لي لا أبكي وهذا الحصير قد أثّر في جنبك، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى، وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار، وأنت رسول الله ﷺ، وصفوته، وهذه خزانتك، فقال: يا ابن الخطاب، ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟ قلت: بلى»[١١].

ما الذي كان يحبه من الطعام

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «إن خياطًا دعا رسول الله ﷺ لطعام صنعه، قال أنس بن مالك: فذهبت مع رسول الله ﷺ إلى ذلك الطعام، فقرب إلى رسول الله ﷺ خبزًا ومرقًا، فيه دباء وقديد، فرأيت النبي ﷺ يتتبع الدباء من حوالي القصعة، قال: فلم أزل أحب الدباء من يومئذ»[١٢].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: « كان رسول الله ﷺ يحب الحلواء والعسل»[١٣].

وفي النهاية لست أقصد في هذه المقالة استقراء كل تفاصيل حياة النبي ﷺ، وذِكر كل ما يتعلق بها، فهذا أمر يطول بيانه، ويحتاج إلى مجلد ضخم.

إنما المقصود بيانه أن رجلاً في تاريخ البشرية لم تُنقل تفاصيل حياته، ودقائق حركاته وسكناته، وخطواته وكلماته، ونومه ويقظته، ومسكنه وممشاه، وملبسه ومطعمه، وهيئته ومخبره، كما نُقل في ذلك كله عن سيد الخلق صلوات ربي وسلاماته عليه، ما يدل على عظم شأنه وعلو مكانته، ورفعة قدره، وفضله على سائر الخلق أجمعين.

---

٩. (قرظ) نوع من الشجر يدبغ به الجلود.
١٠. (أفيق) هو الجلد الذي لم يدبغ، وجمعه أفق، كأديم وأدم وقد أفق أديمه يأفقه.
١١. صحيح مسلم (٢/ ١١٠٦).
١٢. صحيح البخاري - البغا (٢/ ٧٣٧).
١٣. صحيح البخاري - البغا (٥/ ٢٠٧١).

أعظم نصر لرسول الله ﷺ



د. عطية عدلان

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم.. الحمد لله.. والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد..

فكثيرةٌ هي الوسائلُ والأساليب التي نَنْصُرُ بها رسول الله ﷺ ونَنْتَصِرُ بها له، كثيرة ووفيرة، ومتعددة ومتنوعة، ومستغرقة للمناشط المختلفة، ومستوعبة للطاقات العظيمة، لكنّ أعظم ما ننصر به رسول الله ﷺ وننتصر به له شيء آخر غير ما يمارسه كثير من المسلمين - بردة الفعل - يُحْمَدُون عليه ويُؤْجَرون به، شيء آخر هو الأكثر إغاظة لأعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم المسيئين إليه، هذا الشيء هو العمل في هذه الآونة لإخراج الأمّة الإسلامية من الذل والقهر إلى العزّ والتمكين، ودفعِها لتنطلق وتفارق عنق الزجاجة الذي حُبست فيه دهراً طويلاً، ذلكم هو أعظم الانتصار وأكمله.





أين مشروعنا وأين رؤيتنا؟

ما الذي يجدر أن نقدمه ونبدأ به وما الذي يجدر أن نؤخره إلى حين؟ ما هي الثوابت والمُحكمات التي يجب أن نجتمع عليها وما هي موارد الاجتهاد التي يتوجب علينا أن نجتهد في تقريب وجهات النظر فيها مع احترام آراء المخالفين؟

كيف يمكن أن نمارس فن إدارة الاختلاف وفن استثمار المشترك؟ وكيف نحقق الوحدة الإسلامية أولاً في حدها الأدنى ثم نرتقي بها لتتحقق في المستقبل في ذروتها بإقامة الخلافة الجامعة؟ متى يمكن أن تتوافر لدينا الشجاعة لنقد الذات واستماع النصح وممارسة الشورى الحقيقية؟



هل من سبيل إلى التنسيق بين العاملين للإسلام ليكونوا جميعًا - رغم تعدد مواقعهم وتباين تخصصاتهم واختلاف مواقع سهامهم - واقفين في خندق واحد؟ ما آليات التغيير والتثوير الحقيقية وكيف يمكن تطبيقها عملياً على الأرض؟ وما تحديات الحركة الإسلامية التي تواجهها وما هي المحفزات والروافع؟ من أين نبدأ وإلى أين ننتهي وما المراحل التي نمر بها؟ ما مشروعنا في السياسة وفي الاقتصاد وتوزيع الثروة وفي بناء مؤسسات الأمة؟

أسئلة كثيرة ومثيرة تنتظر منّا نحن أن نجيب عنها بحرية واستقلال، وبشجاعة وإفصاح وحسن بيان، كما تنتظر منّا أنّ نوجد السبيل للإجابة عنها في الواقع العمليّ؛ فإنّ الإسلام يدير معركة كبيرة مع الجاهلية، يقف فيها وحده، بما يتمتع به من قوة ذاتية، وبما أنعم الله تعالى على الخليقة من فطرة تميل لهذا الدين وتسكن إليه، ولو أنّنا بذلنا جهداً منظماً وممنهجاً وفق رؤية واضحة ومشروع مدروس لأمكن الخروج بالأمة من هذا النفق المظلم، وبالبشرية من هذه الحيرة القاتلة، وبالإنسانية كلها من هذا الضلال البعيد، وحسبنا أنّ القرآن لا يزال غضاً كما أُنزل، يعطي ولا يبخل ويمنح ولا يمنع.

إنّ دين محمد ﷺ ينادينا: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [الأنفال: ٢٤]، وإنّ أمّة محمد ﷺ تنادينا، فقد طال بها البلاء وتكالب عليها الأعداء، وانتهكت كرامتها ومقدساتها، وقُتل وسُجن وعُذب وطُورد أبناؤها، كم من أسير مسلم موحد في القيود والأغلال يرسف! وكم من مسلمة محصنة عفيفة قد عدا عليها علج أقلف أغلف! وكم من أسرة مسلمة صالحة تطاردها كلاب الأرض الضالة فلا تجد لها مأوى إلا في كنف مَن يمكرون بالليل والنهار ليردوهم عن دينهم ويفسدوا عليهم ذراريهم، فمن للإسلام والمسلمين؟!

إنّها لعظيمة تلك الجهود التي تُبذل عبر فعاليات ومؤتمرات ولقاءات تَرمي إلى الضغط على الجهات التي تصدر منها الإساءة للنبيّ ﷺ؛ لترتدع وينزجر أمثالها، لكنّها لا يمكن أن يكون لها الأثر المبتغى منها حتى يتواكب معها ويتوازى معها عمل للإسلام ينتظم طاقات الأمة في مشروع جامع أو في مشاريع متضامنة متكاملة.

أين الدور الكبير للعلماء؟ نريد إحياء وتفعيل دور أهل الحل والعقد في أمة الإسلام، ذلك الدور الذي يتوجب على العلماء القيام به عند شغور الزمان من الخلافة أو السلطان العام للقيام على شئون الإسلام، فأين مَن يتصدى لهذه الأدوار الكبرى؟ هلّا تَنادينا وتداعينا وتعاهدنا وتواثقنا على أنّ نقيم دين الله في أمتنا ليقوم في العالمين؟!

إنّ أعداء رسول الله ﷺ لا يحصرون نشاطهم في الإساءة إليه، فما بالنا نحن نندفع إلى هذه الزاوية ونحصر فيها لتنحسر جهودنا عن كثير من الواجبات التي لا تقل عن واجب المواجهة للمسيئين؟! إنّ العقل والحكمة يحتمان أن نستثمر هذه الحالة التي تلتهب فيها المشاعر حبا لرسول الله ﷺ وغيرة عليه وحمية له؛ لندفعها دفعاً إلى العمل الخلّاق المثمر، ليتحول الهتاف إلى توحد والتفاف، وليؤول السخط والغضب إلى ينبوع من العمل والعطاء لا يجف ولا ينضب، فأين الفطناء الذين ينظرون إلى هذه الطاقات العظيمة ويحسنون التخطيط والترتيب والتوجيه؟!

كل هذا عظيم ولكنه يسير على مَن يسّره الله عليه، المهم أن تتوافر الهمة مع النية، وأن نخرج من الأَسر الذي نطوق به أنفسنا، وأن نسعى متوكلين على الله، والله غالب على أمره.

النصرة الحقيقية لصاحب المسرى ﷺ

•• التخطيط الاستراتيجي لتحرير المسجد الأقصى ••

د.عبد الفتاح العويسي



عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ



من النصرةِ، بل ربما من أعظمِ صور وجهاتِ النصرةِ، للحبيب محمد ﷺ في زماننا الحالي، ما تناسته/أغفلتْه أمةُ المليار ونصف المليار مسلم، والمتمثل في العمل الاستراتيجي الجاد والممنهج، على جميع المستوياتِ والثّغور لتحرير مسراه ومعراجِه «مركز البركة» المسجد الأقصى المبارك.

ذلك المسجد المحتل منذ أكثر من نصفِ قرن، والذي يشهدُ بشكلٍ دائمٍ ومستمرٍ ويوميٍ، الإساءاتِ الصهيونية المتكررةِ لجنابِ رسولنا الكريم ﷺ، من قِبلِ الصهاينةِ المعتدين، منذُ اليومَ الأول لاحتلالهم له قبل ٥٥ سنة، عندما سُلّم المسجدِ الأقصى المبارك لهم في مسرحيةِ حرب ١٩٦٧، وردّدوا في قمة نشوتهم وهم يرقصون في ساحاته: «حط المشمش على التفاح.. دين محمد ولّى وراح.. محمد مات خلف بنات»، ولم يتوقفوا منذ ذلك التاريخ عن الإساءة والسب لرسول الله ﷺ.

أليس من الإساءاتِ المغلّظة لمقامِه الشريف ﷺ أن يُترِكَ مسراهُ ومعراجهُ طوال أكثر من نصف قرنٍ أسيراً في يد الصهاينةِ المحتلين، الذين يقتحمون الأقصى يومياً، ويُدَنّسوه ويعتدون عليه، ويَشتُمون مقامَه العالي ﷺ بداخله، وفي المدينةِ المقدسةِ المباركة، تحت سمْعِ وبَصَرِ الأمة المسلمة، التي تعايشت بكل أسفٍ مع هذا الواقع الأليم، وأقصى ما تقوم به، هو تَطفِأةَ الحرائقِ التي يُشعلها العدو، وتدور في فلكِ ردودِ فعلٍ وقتيةٍ وموسميةٍ، ثم تعود إلى نومِها وسباتِها الطويل! فهل يُعقل أن أمتَنا - بعد مرور أكثر من مائةِ عامٍ على احتلال هذه الأرض المقدسة المباركة منذ الاحتلال البريطاني في ١٩١٧ -، لا يوجد لديها خطةٌ استراتيجةٌ للتحريرِ القادم؟!

> أين علماءُ الأمة من القيام بعملٍ بِنائيٍّ إبداعيٍ وخلاقٍ، للإسهام المعرفي في التحرير القادم، وصناعةِ تاريخنا المستقبلي، نصرةً لصاحبِ المسرى ﷺ، ونصرةً للمسرى وقضيته، من خلال إعطاء أولويةٍ قصوى، لصناعةِ الفعل وصناعة الأمل، بدلاً من الوقوع في شَرَكِ الأسر للطرف الآخر، ودوَّامةِ رِدّة الفعل التي تُشَتِّتُ الجهود، وتُضَيّعُ الوقتَ والإمكانياتِ، وتتيح للطرف الآخر التخطيط الإستراتيجي، لتحقيق أهدافه.



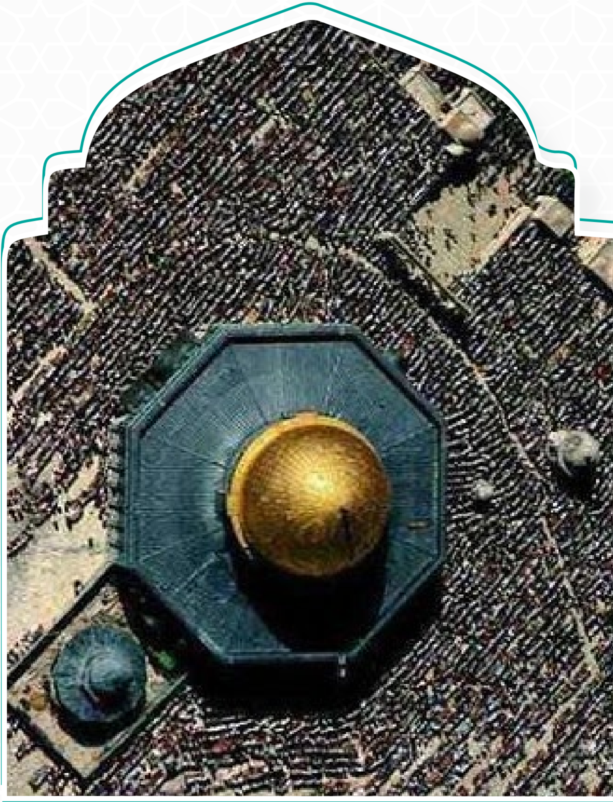
فلقد حوّل واقعُنا المريرُ جهودَ بعض المخلصين من أبناء أمتنا وطاقاتهم، إلى مواقع الدفاع، فوقعوا أسرى ردود الفعل، وانفرد الطرف الآخر بالتخطيط الاستراتيجي التدريجي لتحقيق أهدافه، فكلما حاولنا الانتباه إلى قضية يثيرها «الآخر»، تحوّل بهم إلى مشكلة، وموقعٍ دفاعيٍ آخر، وهكذا دواليك، فلا شك أن حجر الأساس لصناعة الفعل وبث الأمل يتمثل في المعرفة - بمعنى الإدراك - التي هي العملية الممنهجة المنظمة الخامسة، فالإدراك يمد الإنسان بالطاقة التي تؤدي إلى صناعة الفعل: وهذه سنة نبوية، وصناعة الأمل: وهذه كذلك سنة نبوية، لا سيما في الظروف الصعبة واللحظات العصيبة كالتي تمر بها الأمة المسلمة اليوم.



فالأمةُ المسلمةُ في زماننا الذي نَعِيشه، وهي تسعى لتحريرِ الأرض المقدسة - بيت المقدس - ومسجدِها الأقصى المبارك، نصرةً لصاحب المسرى ﷺ، ونصرةً للمسرى وقضيتِه، بحاجةٍ ماسةٍ إلى العلمِ النافع، والمعرفةِ النافعةِ، لننتقلَ من التفكيرِ الاستراتيجيّ، إلى التخطيطِ الاستراتيجي، وبالتالي، في زماننا، نحن بحاجةٍ ماسةٍ إلى أن يتقدم العلماءُ لرسمِ خارطةِ طريقٍ معرفية، وبناءِ خطةٍ استراتيجيةٍ للتحرير القادم، تُبنى على العلم النافع الذي يدفعُ الإنسان للعمل، والمعرفةِ النافعةِ التي تدفع للتغيير، وهنا يجب التنبيه إلى أن العلم ليس من أجلِ العلمِ، بل العلم الذي يوصل للفهم - المرتبة الثالثة - والذي يُؤدي للعمل «العلم إمام العمل»، والمعرفةُ: ليس أن تعرف، بل المعرفة التي توصلك إلى الإدراكِ - المرتبة الخامسة - والتي تؤدي للتغيير.

كما أن الدراسة المعمقة لآيات القرآن الكريم، والسيرة النبوية الشريفة، وحركة التاريخ، توضح للأمة المسلمة أن المعرفة – بمعنى الإدراك – هي البداية والنهاية، والقاعدة الأساسية لمثلث أو هرم التغيير والتحرير والعمران. وأن الإعداد المعرفي يمثل الأساس الذي يجب أن تُبنى عليه جميع الإعدادات الأخرى. فالفتح المعرفي يجب أن يسبق الفتح والتحرير السياسي والعسكري.

وحيث إنَّ التحرير هو جَنْيُ ثمرةِ الإعداد الجادِّ والممنهج الدائم، على جميع المسارات لا سيما الإعدادُ المعرفيُ الذي يمر عبر عدةِ أجيال، ويقوده علماءُ الأمةِ للإسهام في إساءةِ وجهِ العدو الصهيونيّ عالمياً، وضمن هذا التخطيط للتغيير، بل وقيادةِ التغييرِ والتحريرِ والعمران، نصرةً لصاحب المسرى نبي الإسلام ﷺ، ونصرةً للمسرى وقضيته، فإن تحرير العقولِ والإعدادَ المعرفيّ، يُوجِبُ على علماء الأمة المسلمة أن يقوموا - بدايةً وكخطوةٍ أوليةٍ أساسية - إلى رسم معالمِ خارطةِ الطريق المعرفيةِ للتحرير القادم، وتحريكِ المياهِ الراكدةِ نحو بناء خطة استراتيجية للتحرير القادم، من خلال التشخيص، والوصف الدقيق لواقِعها وعلّتِها، بدون مجاملاتٍ أو تبريراتٍ أو مكياجٍ أو ألوان، ثم يتّبعُه بقيةُ العناصرِ المنهجيةِ، للإسهام في صناعة تاريخِنَا المستقبليَّ، لتوجيه ما سيجري في السنواتِ القادمة، والتأثيرِ في مجرى الأفكار والأحداثِ المتعلقةِ ببيتِ المقدسِ، لا سيما في هذه الظروف التي تمر بها الدائرة الأولى والثانية والثالثة، في وقتٍ تتعرَّضُ فيه قضيةُ بيتِ المقدسِ لصراعٍ حضاريٍ عنيف، وأخطرِ مؤامرةٍ في تاريخها الحديث والمعاصر، خاصة بعد فشلِ الموجةِ الأولى للتغيير في المنطقة، والاستعدادِ للموجةِ الثانية.



وفي هذا المقام، أودُّ أن أتوقفَ عند خارطة الطريق المعرفية، في صدر سورة الإسراء، التي ترسم للأمة المسلمة ثلاثَ خُطُواتٍ/مراحل مستقبليةٍ مهمة:

- إساءةُ وجهِ بني إسرائيل.
- ودخول المحرِّرينَ من الأمة المسلمة للمسجد الأقصى المبارك - كما دخله الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعه صحابة رسول الله ﷺ في الفتح الأول، الذي كان تتويجاً للخطة النبويةِ الاستراتيجيةِ التي وضعها رسول الله ﷺ، ورسم خارِطَتَها السياسيةَ والجيوبولتيكية.
- تتبيرُ المحرِّرينَ من الأمة المسلمة لعُلوِّ بني إسرائيل: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: ٧]

فمرحلةُ إساءةِ وجهِ بني إسرائيل، التي تسبقُ دخولَ الفاتحين للمسجد الأقصى المبارك، وتسبقُ تتبيرهم لعلو بني إسرائيل، توضِّحُ للأمةِ المسلمةِ أن المرحلةَ المستقبليةَ الأولى لتحريرِ الأرضِ المقدَّسةِ -بيت المقدس- ومسجدِها الأقصى المبارك، هي مرحلةُ إساءةِ وجهِ بني إسرائيل، والمشروعَ الذي يُمثِّله الكيانُ الصهيونيُّ عالمياً، وفَضْح الوجهِ القبيح للاحتلال، من خلالِ العملِ الجادِّ والممنهجِ والمستمر، ولا شك أن مِن أهمِّ وسائلِ مرحلةِ إساءةِ وجهِ بني إسرائيل، القوةَ الناعمة: العلم والمعرفة.



ففي خضم معاناتهم الشديدة في مكة المكرمة بدايةً، ثم وهم يبنون الدولة الإسلامية الأولى في المدينة المنورة، ربط رسول الله ﷺ الصحابة رضوان الله عليهم ببيت المقدس بروابط عديدة – قبل وبعد حادثة الإسراء والمعراج - ووجّه العاطفة والمشاعر والعواطف التي برزت نحو بيت المقدس، فأسّس لمفهومٍ ومصطلحٍ نبوي جديد «بيت المقدس»، وزرع الأمل، وأعطى البشائر- باستمرار وتشويق - بحتمية فتح بيت المقدس، ورسم صورةً جديدة له أوضحت أنه هدف استراتيجي مركزي نحو العالمية.

"حتى كانت من آخر وصاياه ﷺ إنفاذُ بعثِ أسامةَ بن زيد رضي الله عنهما، وإصرارُه على ذلك وهو في فراش الموت ﷺ. فأصبح بيتُ المقدس قضيةً معرفيةً حِوارِيَّة، بل قضيةً محليةً لمجتمع الصحابة رضوان الله عليهم، وفَهِموا بل أدركوا أهمية بيت المقدس ومكانته في حاضرهم ومستقبلهم، وتَرَسَّخَ لديهم يقينٌ تامٌّ، بل عينُ اليقين بأن الفتح لبيت المقدس واقعٌ لا محالة، وأنه سيكون بعد الفتح مركزاً للعالمية."

وبالإضافة إلى ما تعلمناه من رسول الله ﷺ في الفتح الأول، فإن دراسةَ حركةِ التاريخ تُعلمنا الدورَ المحوريَّ الذي لعبه العلماء في الإعداد المعرفي في التحرير الثاني لبيت المقدس، حيث نلاحظ أن الخطتين السابقتين لتحرير الأرض المقدسة من الاحتلالين: البيزنطي والصليبي، قد تضمنتا بالإضافة إلى الإعداد السياسي والإعداد العسكري، الإعدادَ المعرفيّ، بل وجدنا أنَّ الإعدادَ السياسيَّ والعسكريَّ قد بُنيا على الإعداد المعرفي، هذا يعني أن على الأمة أن تتعلمَ من الخطتين السابقتين، سيما الخطوة الأولى والأساسية والأولوية المنسية في زماننا التي تمثل في تحرير العقول والإعداد المعرفي. فلا يمكن لأمة أن تحرر أرضها، وعقولُ أبنائها وبناتها محتلةٌ ومستعمرة من القوة التي تحتل أرضها وتسرق خيراتها، وهذه مهمة علماء الأمة.

وهو ما حدث في زمن حروب الفرنجة (الصليبيين) عندما بدأ الإعداد بالعلماء وعماد الدين، مروراً بنور الدين، وتُوج بالتحرير الثاني زمن الناصر صلاح الدين الأيوبي، الذي قال مخاطباً جنوده يوم جمعة التحرير (٢٧ رجب ٥٨٣، ٢-١٠-١١٨٧م): «لا تظنوا أني فتحت البلاد بسيوفكم، إنما فتحتها بقلم القاضي الفاضل». وفي هذه العبارة يشير الناصر صلاح الدين إلى عبدالرحيم البيساني - الذي كانت شهرته «القاضي الفاضل» - الرجل الثاني في الدولة بعد الناصر صلاح الدين الأيوبي. وهذا يكشف بوضوح التحالف الوثيق بين: المعرفة الممثلة بقلم القاضي الفاضل - الذي لُقب بمحي الدين - والسلطة الممثلة بالقائد السياسي والعسكري صلاح الدين الأيوبي - الذي لُقب بالناصر.

وفي الإعداد للعالمية الثانية القادمة، وأستاذية العالم من بيت المقدس، لابد من نقلةٍ نوعيةٍ تقوم على التفكير والتخطيط الاستراتيجيَين، ووضع خطةٍ استراتيجيةٍ، ورسمِ خارطتها السياسية والجيوبولتيكية، تتضمن الإعدادَ بجميع مستوياته المعرفية والسياسية والعسكرية، والذي يبدأُ بربطِ أرواح مسلمي العالم وقلوبهم وعقولهم ببيت المقدس، وبيته المقدس -المسجد الأقصى- من خلال الإعداد المعرفي.

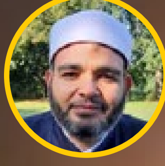


فهل تَفيقُ أمةُ المليار ونصف المليار مسلم إلى النصرة الحقيقية، لجنابه الشريف ﷺ، وتنصُر وتنتصِرُ بصدقٍ لمسرى الحبيب محمد ﷺ ومعراجه، بالعمل الاستراتيجي الجاد والممنهج لتحريره، وتدركُ أنه لا عزة للمسلمين بدون تحرير وعمران بيت المقدس، ومسجده الأقصى المبارك، فهو المقياسُ الحقيقيُّ لعزهم أو ذلهم، وهو المرآة التي تعكس أوضاع المسلمين، وله تأثيرٌ على بقية العالم في الماضي والحاضر والمستقبل، فدراسةُ حركةِ التاريخ، وعلم الجيوبولتكس يعلمنا أن من يحكم بيت المقدس يسيطر على العالم، فَمِنَ الأرض المقدسة المباركة -بيت المقدس- سينطلق الانبعاث الإسلامي العالمي الثاني، والفتوحات الإسلامية العالمية الثانية، وتشرقُ شمسُ الإسلام والرحمة للعالمين، على العالم مرة أخرى، ونصلُ هذه المرة إلى أستاذية العالم من الأرض المقدسة -بيت المقدس-.



فهذا وعدُ الله تبارك وتعالى، وبشارةُ سيدنا محمد ﷺ، وما تؤكده لنا دراسة التاريخ وحركته: ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ٤ بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ٥ وَعْدَ اللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ٦ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ٧﴾ [الروم: ٤-٧].

حول زواج النبي ﷺ
من السيدة عائشة رضي الله عنها



الشيخ/ إسماعيل محمد رفعت

إمام مسجد المركز الثقافي التربوي بمدينة فورمس - ألمانيا

استهلال

قبل سِن المدرسة كنت أذهب صحبة أخي وبعض مُدرسي المدرسة الابتدائية التي كنت أتعلم فيها لإقامة شعائر الجمعة في قرية مجاورة لقريتنا؛ لمساعدة أهل هذه القرية على إعمار مسجدهم الذي كانوا قد أنشأوه حديثاً، ومما لاحظت أثناء مرورنا بشوارع هذه القرية أننا إذا لاقتنا امرأة جلَسَت القرفصاء تجمع نقابها على وجهها ماسكة به بيدها واضعة رأسها بين ركبتيها حتى نمر ونجتازها، فإذا جاوزناها تقف وتكمل سيرها في حين أنها منتقبة ومتجلببة بالسواد، ذلك لأن نساء هذا البلد في ذلك الوقت يعدّون مثول ووقوف المرأة بمرأى من الرجال من العيب الذي يأباه الحياء وهكذا كن يفعلن!

وما مرت الأيام حتى أدخل الناس التلفاز بيوتهم وتبدلت العادات وتغيرت الأعراف وجلسنا في الشارع بانتظار جنازة، فمرت بين أيدينا الفتيات يلبسن الشفوف الملونة وصك آذاننا قرع نعالهن!

والشاهد من هذا الاستهلال:

أن الأعراف والتقاليد قد تتغير في البلد الواحد في غضون عشرين عاماً، ويصبح عرفاً اليوم ما كان مستقبحاً بالأمس بل وأمراً عادياً ومقبولاً ولا مراء فيه! فإذا جرى على الناس تغيرات على مدى أربعة عشر قرناً على مستوى الزمان والمكان، فالذي ينبغي أن يُعاب من العادات والتقاليد المستحدثة أو القديمة ما خالف الشرع أو ما أحدث ضرراً محققاً!

وزواج النبي ﷺ من السيدة عائشة رضي الله عنها وهي صغيرة بنت تسع سنوات! من الشبهات والافتراءات التي تبدو (منطقية)، وقد صدرت عمن يدّعون معرفة الحديث والسيرة الشريفة، ونحن نضع هذه الشبهة أمام البحث العلمي ولا تحملنا شدة غيرتنا على النبي ﷺ أن نقدم النتيجة أولاً قبل الدراسة والبحث؛ نحلل الشبهة تحليلاً علمياً نصل من خلاله إلى نتيجة واضحة ومقنعة ومجردة عن التعصب أو الأهواء!



وللسيدة عائشة رضي الله عنها فضائل منها أن رسول الله ﷺ أَحَبَّها حُبّاً شَدِيْداً كَانَ يَتَظَاهَرُ بِهِ، بِحَيْثُ إِنَّ عَمْرَو بنَ العَاصِ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ يَا رَسُوْلَ اللهِ؟ قَالَ: عائشة، قَالَ: فَمِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: أَبُوْهَا، وكانت تُكنى أم عبد الله. وقالت رضي الله عنها: لم ينكح النبي ﷺ بكراً غيري ولا امرأة أبواها مهاجران غيري، وأنزل الله براءتي من السماء، وكان ينزل عليه الوحي وهو معي، وكنت أغتسل أنا وهو من إناء

واحد، وكان يصلّي وأنا معترضة بين يديه، وقُبض بين سحري ونحري في بيتي وفي ليلتي، ودُفن في بيتي[١].

وروت عَائِشَةُ رضي الله عنها «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَزَوَّجَهَا وَهِيَ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، وَأُدْخِلَتْ عَلَيْهِ وَهِيَ بِنْتُ تِسْعٍ، وَمَكَثَتْ عِنْدَهُ تِسْعًا»[٢].

لكل زمان ومكان معاييره التي قد تتغير



إلا أن الثابت منها الذي لا جدال حوله ما يخضع للقاعدة الشرعية المنطقية: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»[٣]. واتخاذ معيار واحد لقضايا العادات مع اختلاف زمانها ومكانها ليس من الإنصاف، خاصة مع تغير المقدمات والتوالي التي تتغير معها النتائج حتماً، ففي العصر الأخير تمكن الغرب من تأسيس حضارة أرسى قوانينها بناء على تجارب وافق في كثير منها شرائع الإسلام ولكن مشكلة المستشرقين أن يستل أحدهم من الإسلام موضوعاً خارجاً عن سياقه وملابساته ثم يحكم عليه بحسب ملابسات زمانية ومكانية مختلفة، فيخرج الموضوع المستل غير موافق للذوق السليم فيعيبونه ويعيبون به الإسلام، والإنصاف يقتضي على من أراد أن يحكم على أمر في تاريخ الإسلام ألا يستثني منه ملابساته وظروفه التي فرضته وجعلت منه أمرًا لا مانع منطقي منه في عصره، ليس عند المسلمين فقط بل وعند غير المسلمين مسالمين أو متربصين بهم ومتصيدين لأخطائهم!

---

١. يُنظر: المعجم الأوسط للطبراني ١/ ١٢١، معرفة الصحابة لأبي نعيم ٦/ ٣٢٠٨، الاستيعاب ٤/ ١٨٨١، أسد الغابة ٦/ ١٨٨، الإصابة ١٤/ ٢٧.

٢. صحيح البخاري ٧/ ١٧ ط السلطانية.

٣. موطأ مالك - رواية يحيى ٢/ ٧٤٥، ت: عبد الباقي.



وفي سياق مناقشة زواج النبي ﷺ من السيدة عائشة رضي الله عنها، أذكر هنا نقاطاً عشرة ثابتة حديثياً وتاريخياً ومعروفة ولا نزاع عليها؛ لنصل إلى حقيقة الأمر هل هو سعار شهوة أم عادة جارية لا تتعارض مع مقومات الأجساد وصلاحياتها بحكم النضوج المبكر في ذلك الزمان بحسب البيئة والطقس؟ حتى يرتفع الارتياب ويزال البأس بما لا إنكار فيه!

أولاً: إن كانت السيدة عائشة بنت ست سنين حين خِطبتها، فقد طلبها قبل الرسول ﷺ المطعم بن عدي لابنه جبير بمعنى أنها كانت ناضجة صالحة للزواج يتقدم لها الخطاب وتُخطَب، ودخل أبو بكر رضي الله عنه على المطعم بن عدي، فقالت امرأة المطعم أم الفتى: يا ابن أبي قحافة لعلك مُصْبِئُ هذا الفتى وَمُدْخِلَهُ في دينك الذي أنت عليه إن أنت زوجته، ووجد أبو بكر على المطعم على نفس رأي زوجته فخرج أبو بكر وقد أخرج الله ما كان في نفسه من الْعِدَةِ التي وَعَدَهُ»[٤].

ثانياً: كان تزويج السيدة عائشة رضي الله عنها بأمر من الله، فقد جاء بصورتها جبريل عليه السلام للنبي ﷺ؛ فعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ جِبْرِيلَ جَاءَ بِصُورَتِهَا فِي خِرْقَةِ حَرِيرٍ خَضْرَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: هَذِهِ زَوْجَتُكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ[٥]، وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: رَأَيْتُكِ فِي الْمَنَامِ، يَجِيءُ بِكِ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ[٦] مِنْ حَرِيرٍ، فقال لي: هذه امرأتك، فكشف عن وجهك الثوب فَإِذَا هِيَ أَنْتِ، فَقُلْتُ: إِنْ يَكُ هَذَا من عند الله يمضه»[٧].

---

٤. مسند إسحاق بن راهويه ٢/ ٥٨٨، مسند أحمد ٤٢/ ٥٠٢، ط: الرسالة.

٥. سنن الترمذي ٦/ ١٨١، ت: بشار، كتاب المناقب، باب فضل عائشة رضي الله عنها واللفظ له، وذكره المباركفوري في تحفة الأحوذي ١٠/ ٣٧٩، الحديث (٣٩٦٧)، وعزاه للآجري من وجه آخر عن عائشة رضي الله عنها. [مصابيح السنة ٤/ ٢٠٣ هامش التحقيق].

٦. سَرَقَة: بفتحتين أي قطعة من جيد الحرير.

٧. متفق عليه.

ثالثاً: كان هذا الزواج في مكة ولم ينكره أهلها الذين لم يدعوا مسلكاً للطعن على النبي ﷺ إلا خاضوه لتأليب الناس عليه وعلى دعوة التوحيد، بل استقبلوا خبر المصاهرة هذا بالقبول!

رابعاً: خولة بنت حكيم[٨] رضي الله عنها هي التي رشحت للنبي ﷺ السيدة عائشة رضي الله عنها وخطبتها له، مما يعني أن المبادرة لم تكن منه ﷺ ولم ينكر والداها هذا الزواج إلا من جهة تحريم المصاهرة لأخوّة الإسلام التي بين أبيها أبي بكر رضي الله عنه وبين النبي ﷺ، فلما علم أبو بكر أن هذه الأخوة لا تحرّم المصاهرة، بادر ورحب؛ وكان قد قال: وهل تصلح له إنما هي ابنة أخيه؟ فرجعت خولة إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال: ارجعي إليه فقولي له أنا أخوك وأنت أخي في الإسلام وابنتك تصلح لي[٩].



خامساً: تزوج عبد المطلب جد النبي ﷺ هالة بنت وهيب[١٠] بنت عم آمنة بنت وهب وهي بنت سبع سنين، وتزوج ابنه عبد الله بآمنة وكانت هي الأكبر، مما يعني أن عائشة رضي الله عنها لم تكن أول صبيّة تُزفّ في تلك البيئة إلى رجل في سنّ أبيها، ولن تكون كذلك أُخراهنّ!

سادساً: تزوج عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، ولا يخفى ما بين عمر/الزوج، وعليّ/الحمو، من فارق السن بينهما؛ فعمر وُلِد حوالي سنة ٤٠ ق.هـ، وعليّ رضي الله عنه وُلد سنة ٢٣ ق هـ، وأم كلثوم بنت على هناك خلاف في عام مولدها ما بين ٦هـ - ١٠هـ!

---

٨. خولة بنت حكيم بن أمية السلمية جدها التاسع امرئ القيس، صحابية من المهاجرات، يُروى أنّها وهبت نفسها للنبي قبل زواجها من عثمان بن مظعون وقيل: بعده! «فمات عنها» [الطبقات الكبير ١٠/ ١٥٢ ط الخانجي].

٩. مسند أحمد ٤٢/ ٥٠٢ ط الرسالة.

١٠. هالة بنت وهيب وقيل: أهيب بن عبد مناف بن زهرة القرشية، ابنة عم آمنة بنت وهب أم النبي تزوجها عبد المطلب بن هاشم جد الرسول فولدت له حمزة بن عبد المطلب وصفية بنت عبد المطلب وجدة الزبير بن العوام.

سابعاً: عرض عمر بن الخطاب على أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أن يتزوج بحفصة، وبينهما من فارق السن مثل الذي بين المصطفى ﷺ وبين عائشة جميعاً! وذلك قبل أن يتزوج النبي ﷺ حفصة رضي الله عنها.

ثامناً: فارق السن بين عمرو بن العاص وبين ابنه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، ولم يكن بينه وبين أبيه في السن إلا إحدى عشرة سنة[١١] وقيل اثنتا عشرة سنة وأسلم قبله وكان أحد فقهاء الصحابة وفضلائهم والمكثرين من الحديث[١٢] على المشهور إحدى عشر سنة ومعلوم أن عمراً تزوج وأنجب قبل البعثة الشريفة وسبق عبد الله أباه إلى الإسلام الذي تأخر إسلامه حتى عام سبع من الهجرة الشريفة.

تاسعاً: قبل بعثة النبي ﷺ وبعدها كان الزواج المبكر للبنين والبنات في الناس كثيراً، بل كان عادة جارية لا نكير عليها، حتى كَرَّه أبو حنيفة في العقوبات التعزيرية تأديب القاضي لابن الخامسة والعشرين عاماً بالضرب، مبرراً ذلك بأن هذا السن صاحبه في منزلة الجد، وقال الحسن بن حي: رأيت جدة بنت إحدى وعشرين سنة، قال: وأقل أوقات الحمل تسع سنين[١٣]. وقال الشافعي: رأيت بصنعاء جدة بنت إحدى وعشرين سنة، حاضت ابنة تسع وولدت ابنة عشر، وبنتها كذلك[١٤].



١١. تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ ابن الزكي المزي (ت ٧٤٢هـ) ١٥/ ٣٥٨، المجموع شرح المهذب للنووي (ت ٦٧٦هـ) ٣/ ٧٣.

١٢. الحلة السيراء لابن الأبار، ابن أبي بكر القضاعي (ت ٦٥٨هـ) ١/ ١٧.

١٣. المجالسة وجواهر العلم للقاضي أبي بكر الدينوري (ت ٣٣٣ هـ) ٣/ ١٥٨.

١٤. السنن الكبير للبيهقي ٢/ ٤٣٣ ت التركي.

وفي تزوج النبي ﷺ بأمنا عائشة رضي الله عنها فائدة فقهية يُعرف به أقل سن يجوز الحكم فيها ببلوغ الصغيرة، وكان محمد بن مقاتل الرازي[١٥] يقدر ذلك بتسع سنين؛ لأن النبي ﷺ بنى بعائشة رضي الله عنها، وهي بنت تسع سنين، والظاهر أنه بنى بها بعد البلوغ، وكان لأبي مطيع البلخي[١٦] ابنة صارت جدة، وهي بنت تسع عشرة سنة حتى قال فضحتنا هذه الجارية! ومن مشايخنا من قدر ذلك بسبع سنين لقوله ﷺ «مروهم بالصلاة إذا بلغوا سبعاً» والأمر حقيقة للوجوب وذلك بعد البلوغ.. وأكثر المشايخ على ما قاله محمد بن مقاتل[١٧]. وهذا وغيره كثيره يدل على شيوع زواج الصغار من الفتيان والفتيات في الجاهلية والإسلام.

وقد تسمح القوانين الوضعية بالزواج لأحد الجنسين لمجرد بلوغه سناً معيناً كالثامنة عشرة، في حين تمنع الشريعة قطعاً نفس حالة الزواج هذه، إذا تحقق حدوث ضرر جراء ملابسات مصاحبة لهذا الزواج، أو غلب على ظن الأطباء حدوثه، وأيما كان هذا الضرر - صحياً أو اجتماعياً - كالضرر الأخلاقي من ظالم سيء العشرة لا يُحسن التعامل! أو كون المقبل على الزواج مستقبل حرب وهو يُخفي عليها أمره، ويحتمل مع الحرب تعرض المتزوج بها للتأيم، أو عزم على سفر قد تتضرر معه زوجته، أو حتى كونه بخيلاً لن يعطيها كفايتها من النفقة!

ولذلك فإن حكم الزواج - عند فقهاء المالكية - يعتريه الأحكام الشرعية الخمسة: الفرض والسُّنَّة والإباحة والكراهة والتحريم، فقد يكون الزواج مباحاً في حق رجل وفرضاً في حق آخر ومحرماً في حق ثالث، وهكذا بالنسبة لحُكَمي السُّنَّة والكراهة! وذلك بحسب ما يغلب على الظن من حال كل واحد من الناس، والمقصود أن الشريعة لم تطلق العنان في إباحة الزواج للكل بل جعلته بحسب ما يترتب عليه من آثار قد تكون كلها في دائرة الاحتمال ولكن يحكمها غلبة الظن، حفاظاً على التوازن المجتمعي بين أفراد أسرة قبل أن تنشأ!

عاشراً: حرصت الشريعة على إعفاف المسلم، وقدمت ذلك على واجبات أخرى فلو خاف رجل الفتنة إن لم يتزوج وقد ملك مالا يكفيه إما للحج أو للزواج فإن الإمام أحمد قال بتقديم الزواج على الحج ومعلوم أن الحج متفق على كونه ركنا من أركان الإسلام، ولكن مع خوف الفتنة «يتزوج ولا يحج»[١٨].

---

١٥. محمد بن مُقاتل الرَّازِيّ، قاضي الرَّيّ، من أصحاب محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة، حدث عن وكيع وطبقته. [الجواهر المضية ٣/ ٣٧٢؛ معجم المؤلفين لكحالة ١٢/ ٤٥]

١٦. أبو مُطِيع الحكم بن عبد الله البَلْخِيّ، صاحب أبي حنيفة، وصاحب كتاب الفقه الأكبر، ولي قضاء بلخ، كان جهميًّا تركوا حديثه، وهو من كبار الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر. [الجَوَاهِر المُضِيَّة ٤/ ٨٧؛ شَذَرَات الذَّهب ١/ ٣٥٧].

١٧. المبسوط للسرخسي ٣/ ١٤٩.

١٨. مسائل الإمام أحمد رواية ابنه أبي الفضل صالح ١/ ٢٦٥.

كما حرصت على التماسك المجتمعي، فمن تزوج أَمَةً (غير حرة) حال وجوب تربصه انقضاء عدة حرة مطلقه منه، ولو كان الطلاق بائناً لم يجز له ذلك في قول أبي حنيفة[١٩] وإن أباح ذلك غيره لبينونة المطلقة! لكن لا يخفى حرص الشريعة على تلاشي الضرر، من الجمع بأكثر من أربعة ولو بعد طلاق إحداهن واحترام ذلك حتى تخرج المطلقة من العدة!



لأجل حرص الشريعة على حالة من الوفاق المجتمعي بين أفراد الأسرة حرم الإسلام أن يجمع الرجل بين الأختين في الزواج أو حرم الزواج بالربيبة (بنت الزوجة المدخول بها) لثبوت الخلطة والألفة، وحصول المودة والرحمة، والحال خليقة بأن تعتبر الربيبة اعتبار بنات الزوج، فأنزل الربيبة منزلة البنت الصُلبية ولهذا حرّم العقد على بنات الزوجات[٢٠].

والزواج وإن كان سُنَّة جارية في البشرية إلا أنه لا يجري على نسق واحد من حيث دوافعه، فمنه ما يكون دافعه سد حاجة ليتيمة ليس لها من يعولها إلا بالتزوج منها، ومنه ما يقع به مصالح سياسية كالصلح بين قوتين متخاصمتين، وقد وقع هذا وسيقع كثيراً بين أبناء الأعيان والملوك في كل الديانات والطوائف والأجيال! ومنه زواج النبي ﷺ بالسيدة صفية بنت حيي بن أخطب الذي كان بركة على قومها وسبباً في إعتاقهم وعدم استرقاقهم بعدما وجب عليهم بالأسر، فلما تزوج النبي ﷺ بها أعتق الصحابة أسرى قومها احتراماً لهم كونهم أصبحوا أصهاراً للرسول الكريم ﷺ!

١٩. شرح مختصر الطحاوي للجصاص ٤/ ٤٤٦.
٢٠. تفسير الزمخشري الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ١/ ٤٩٥.

روت أمنا عائشة رضي الله عنها أنواع الزواج في الجاهلية ولو كان التزويج المبكر للبنين أو البنات يقع منه ضرر لذكرت ذلك بل رُوي عنها أنها قَالَتْ: إِذَا بَلَغَتِ الجَارِيَةُ تِسْعَ سِنِينَ فَهِيَ امْرَأَةٌ[٢١]، ولا يعني هذا أنها تُجبر على الزواج بغير رضاها فالصحيح أن الصغيرة إذا بلغت تسع سنين لها إذن معتبر، ومن ثم إذا بلغت تسع سنين جاز لأوليائها أن يزوجوها برضاها[٢٢].

تلك عشرة كاملة!

وفي واقعنا المعاصر كثير من الناس في البلاد العربية مَن تزوجت أمه أو جدته في هذا السن أو قريب منه، وعلى المستوى الشخصي هنا في ألمانيا شاب يمني في العقد الثالث من عمره تزوج وهو في الرابعة عشر، وكان سن زوجته إحدى عشرة عاماً، وحالات الولادة لبنات دون العاشرة مشهورة ومعروفة في مستشفيات أمريكا وأوروبا ولا تخفى على النشر ويُتندر بها دون نكير رغم وقوعها بشكل غير قانوني، ولكن تحت غطاء رضا الطرفين تخرس الأسنة! والبنت عندهم تتقلب بين الجمع من الرجال، ثم لا تنبس ألسنتهم إلا على حضرة صاحب الجناب العالي ﷺ وأُمنا الحصان الرزان رضي الله عنها.



ولا يفوتنا أن ننبه على أن رواة السُّنَّة أعملوا قواعد توثيق للرواية الحديثية ولا يقع عليهم إلا مسئولية تطبيق هذه القواعد وإعمالها، ولا يليق أن يُلام أميرهم البخاري رحمه الله - أو غيره - على هذا مطلقاً؛ بل هو مأجور إن شاء الله على دقته وتحريه، وواجب الأئمة الدعاء لهم والترحم عليهم! فليس من المعقول ولا من المنطق أن يقال إن البخاري يقول كذا، ثم نلصق به شبهة معروف أن المروجين لها متواطئون على اتهام الشريعة وبُغض الدين الحنيف!

٢١. سنن الترمذي ٣/ ٤١٠ ت شاكر.
٢٢ . مسائل الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه ٤/ ١٤٧٤.

فضل نصرة النبي صلى الله عليه وسلم

الشيخ عبد الله الطبلوهي

باحث شرعي درعمي

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.. وبعد؛

فقد أخذ الله جل وعلا من النبيين الميثاق أن ينصروا الرسول ﷺ ويدافعوا عنه، وأخذ النبيون من أممهم العهد به، قال تعالى:(وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) [آل عمران : ٨١ - ٨٢].



ونصرته ﷺ من الحقوق المؤكدة للنبي ﷺ على هذه الأمة كذلك، قال تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح : ٩]، وأخبر جل وعلا أن الفاسقين هم الذين يتولون عن تلك النصرة، ومن تولى عن النصرة فلن يضر إلا نفسه فالله جل وعلا ناصر رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ [التوبة : ٤٠].

وهذه النصرة للنبي ﷺ لها فضائل كثيرة تشمل خيري الدنيا والآخرة؛ فهي من ركائز الإيمان وصور الجهاد وأنواع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله تعالى؛ وقد ورد التنصيص على بعض تلك الفضائل الحاصلة لمن نصر النبي ﷺ للترغيب والتذكير؛ ومن تلك الفضائل:

١ سبب لدخول الجنة والنجاة من النار

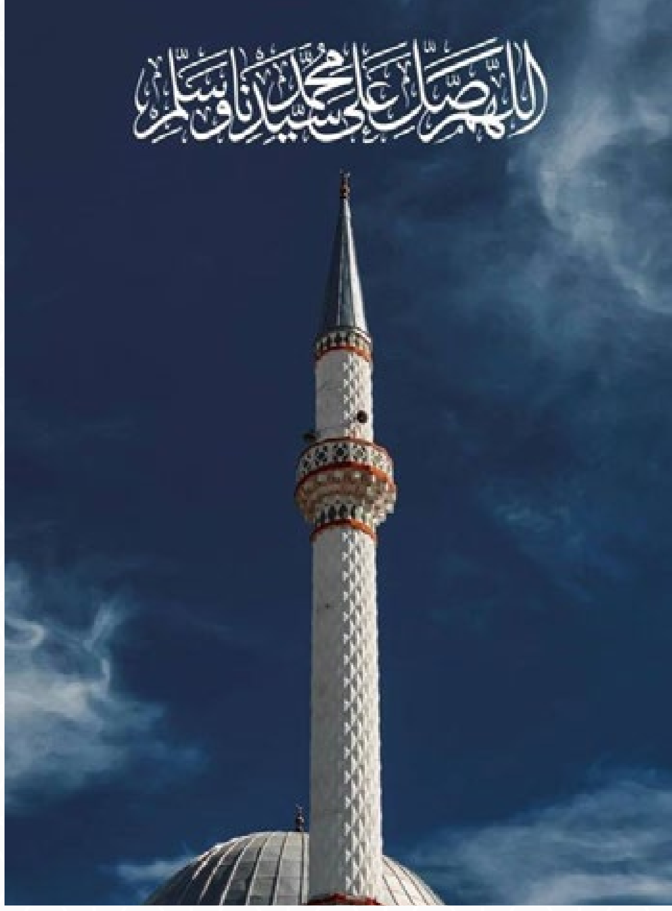
فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ لبث عشر سنين يتبع الحاج في منازلهم في الموسم وبمجنة وبعكاظ، وبمنازلهم بمنى، يقول: من يؤويني، من ينصرني؛ حتى أبلغ رسالات ربي، وله الجنة» رواه أحمد.



ونصر الأنصار النبي ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام: «اللهم اغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار» متفق عليه.

ويوم أحد لما تكاثر المشركون على النبي ﷺ، قال ﷺ: «من يردهم عنا وله الجنة؟» رواه مسلم.

ويوم حنين قال ﷺ: «من يحرُسنا الليلةَ؟» فقال أنس بن أبي مرثد الغنوي: أنا يا رسول الله، وفي الصباح قال له ﷺ: «قد أَوْجَبْتَ» رواه أبو داود.



وإذا كانت النار ترد عمن رد عن عرض أي أخ مسلم، فكيف بمن رد ودافع عن رسول الله ﷺ، قال ﷺ، «من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة» رواه الترمذي.

وترك الصلاة على النبي ﷺ عند ذكره دليل البخل والخسران، قال ﷺ: «البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل علي» رواه الترمذي، وقال عليه الصلاة والسلام: «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي»، فإذا كان ترك الصلاة عليه ﷺ عند ذكره بالخير دليل خسران، فإن ترك الدفاع عنه ﷺ أمام شانئيه أشد خسرانا، ونصرته ﷺ أشد فضلا.

٢ تؤدي للغلبة والنصر على الأعداء

فموالاة المؤمن ونصرته لله ورسوله ﷺ من أهم أسباب الغلبة والنصر على الأعداء، قال تعالى: (وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) [المائدة : ٥٦].

وبين جل وعلا أن مقاتلة من طعن في الدين وآذى الرسول ﷺ سبب لتعذيب الله الكافرين وخزيهم ونصرة المسلمين، قال تعالى: (وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ * أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [التوبة : ١٢ - ١٥].

وقال ﷺ عندما تكلم المشركون بالهجاء: «يا حسان، أجب عن رسول الله، اللهم أيده بروح القدس» متفق عليه.

٣ بها ترفع الدرجات في الدنيا والآخرة

فكلما عظمت نصرة المرء لرسول الله ﷺ عظمت منزلته ومكانته، ولذلك كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أعظم منزلة وأرفع مكانة من غيره لعظم نصرته النبي ﷺ، قال ﷺ: «إن الله بعثني إليكم، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي» رواه البخاري.

وقال ﷺ عن خديجة رضي الله عنها: «ما أبدلني الله عز وجل خيرا منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء» رواه أحمد.

وقال ﷺ لسعد بن أبي وقاص يوم أحد: «ارم فداك أبي وأمي» متفق عليه.

٤ هي من علامات الإيمان وصدق الموالاة

نصرة النبي ﷺ علامة على خيرية المناصر له ﷺ، فمن ينصر رسول الله ﷺ حق النصرة هو الصادق، قال تعالى: (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) [الحشر: ٨].

وهو المفلح، قال تعالى: (فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [الأعراف: ١٥٧].



وهو المؤمن، قال تعالى: (يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) [الأنفال: ٦٤].

وقال جل وعلا: (وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ) [التحريم: ٤].

فالمؤمن الصادق يقدم حق النبي ﷺ في النصرة والدفاع على راحة نفسه، قال تعالى: (وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ) [التوبة : ١٢٠]، وقال جل وعلا: (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) [الأحزاب : ٦]، فهو ﷺ أولى بالمؤمن من نفسه وزوجاته ﷺ أمهات للمؤمنين، وهذا يدل على أن حقه عليه الصلاة والسلام أعظم كذلك من حق الوالد، قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين» متفق عليه، بل المؤمن الصادق يحب رؤية الرسول ﷺ ويقدمها على وجود الأهل والمال، فكيف بالنصرة التي هي آكد في الشرع من رؤيته ﷺ؟، قال عليه الصلاة والسلام: «ليأتين على أحدكم زمان لأن يراني أحب إليه من أن يكون له مثل أهله وماله» متفق عليه.



٥ تنفع حتى الكفار، فكيف بنفعها للمؤمنين؟

عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، أنه قال: يا رسول الله، إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفعه ذلك؟ قال: «نعم، وجدته في غمرات من النار، فأخرجته إلى ضحضاح» متفق عليه.

وقد أجار المطعم بن عدي وكان كافرا النبي ﷺ بمكة، فقال النبي ﷺ في أسارى يوم بدر: «لو كان المطعم بن عدي حيا، ثم كلمني في هؤلاء النتنى، لتركتهم له» رواه البخاري.

اللهم استخدمنا لنصرة دينك ونبيك ﷺ، نصرة ترضى بها عنا وتخز بها الكافرين المستهزئين.

والحمد لله رب العالمين.

ينفرد هذا العدد بتخصيص قسم "أئمة الهدى" لمقالات علماء الهند

أئمة الهدى

(قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ ربهم)

من تراث علمائنا الراحلين

أحوال الهند قبل مبعث رسول الله ﷺ



الشيخ أبو الحسن الندوي*

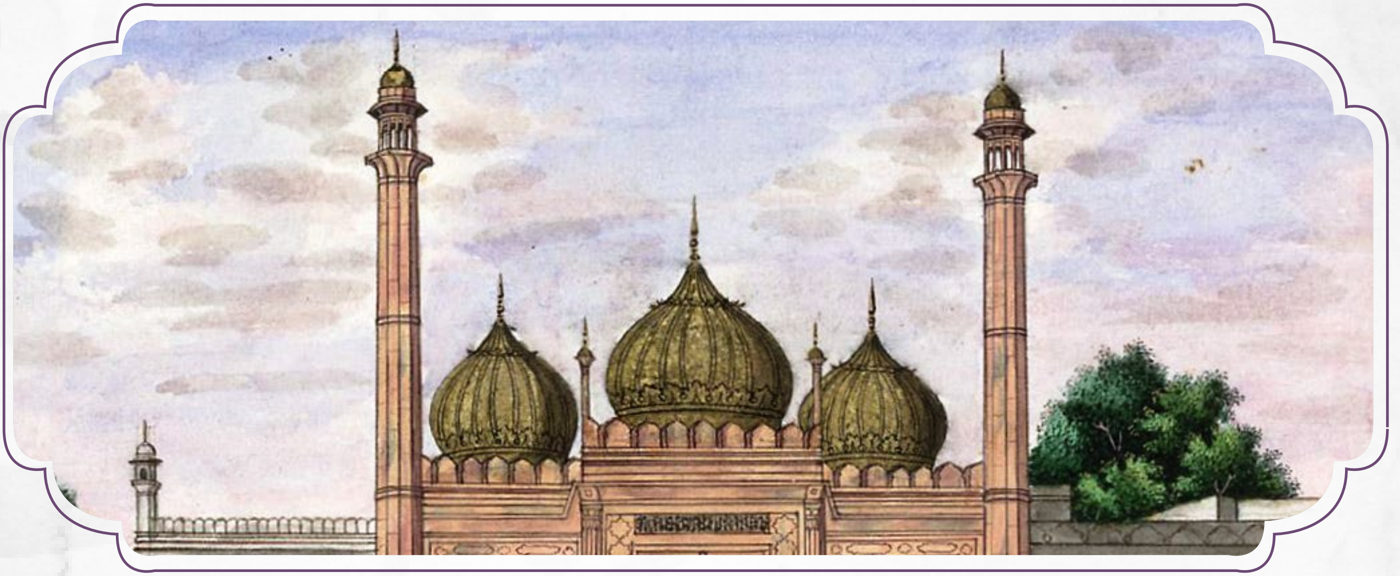
من كبار علماء الهند (رحمه الله)

لم يكن انحطاط المسلمين أولاً، وفشلهم وانعزالهم عن قيادة الأمم بعد، وانسحابهم من ميدان الحياة والعمل أخيراً، حادثاً من نوع ما وقع وتكرر في التاريخ من انحطاط الشعوب والأمم، وانقراض الحكومات والدول، وانكسار الملوك والفاتحين، وانهزام الغزاة المنتصرين، وتقلص ظل المدنيات. والجزر السياسي بعد المد. فما أكثر ما وقع مثل هذا في تاريخ كل أمة. وما أكثر أمثاله في تاريخ الإنسان العام! ولكن هذا الحادث كان غريباً لا مثيل له في التاريخ. مع أن في التاريخ مثلاً وأمثلة لكل حادث غريب.

* أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، بتصرف (اختصار ودمج)، ينظر (ص٣١، وص٨٤-٥٣، وص٧٧-٧٨)، ط: مكتبة الإيمان - مصر.

لم يكن هذا الحادث يخص العرب وحدهم، ولا يخص الشعوب والأمم التي دانت بالإسلام، فضلاً عن الأسر والبيوتات التي خسرت دولتها وبلادها، بل هي مأساة إنسانية عامة لم يشهد التاريخ أتعس منها ولا أعم منها. فلو علم العالم حقيقة هذه الكارثة، ولو عرف مقدار خسارته ورزيته، انكشف عنه غطاء العصبية، لاتخذ هذا اليوم النحس - الذي وقعت فيه يوم عزاء ورثاء، ونياحة وبكاء، ولتبادلت شعوب العالم وأممه التعازي، ولبست الأمة ثوب الحداد، ولكن ذلك لم يتم في يوم، وإنما وقع تدريجياً في عقود من السنين، والعالم لم يحسب إلى الآن الحساب الصحيح لهذا الحادث، ولم يقدره قدره، وليس عنده المقياس الصحيح لشقائه وحرمانه.

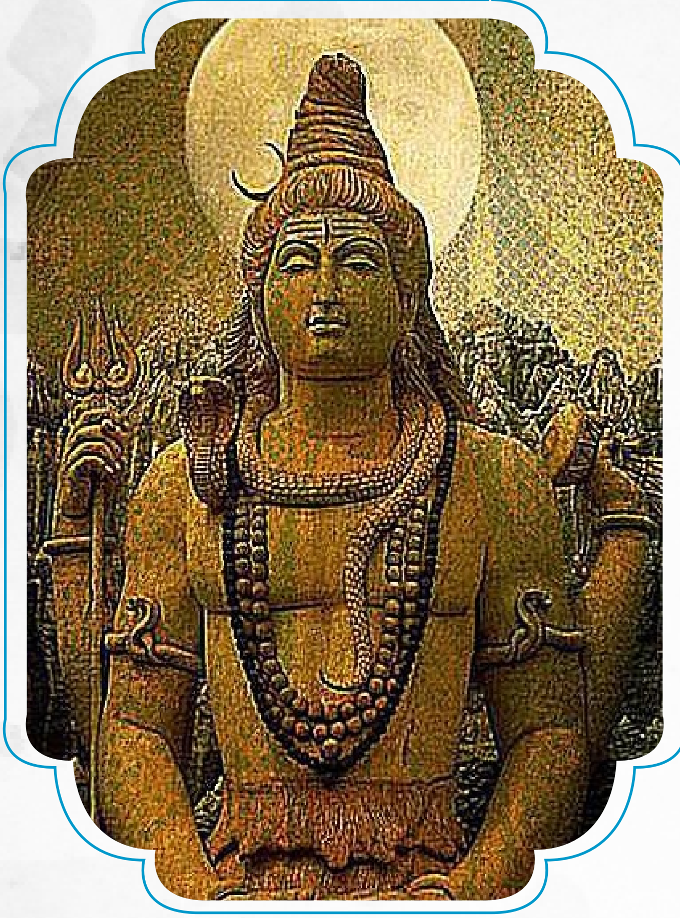
إن العالم لم يخسر شيئاً بانقراض دولة ملكت حيناً من الدهر. وفتحت مجموعاً من البلاد والأقاليم. واستعبدت طوائف من البشر. ونعمت وترفهت.



نظرة في الأديان والأمم

أصبحت الديانات العظمى فريسة العابثين والمتلاعبين، ولعبة المحرفين والمنافقين، حتى فقدت روحها وشكلها، فلو بعث أصحابها الأولون لم يعرفوها، وأصبحت مهود الحضارة الثقافة والحكم والسياسة مسرح الفوضى والانحلال والاختلال وسوء النظام، وعسف الحكام، وشغلت بنفسها، لا تحمل للعالم رسالة ولا للأمم دعوة، وأفلست في معنوياتها، ونضب معين حياتها، لا تملك مشرعاً صافياً من الدين السماوي، ولا نظاماً ثابتاً من الحكم البشري...

الهند: ديانة، واجتماعاً، وأخلاقاً



أما الهند فقد اتفقت كلمة المؤلفين في تاريخها على أن أحط أدوارها ديانة وخلقاً واجتماعاً ذلك العهد الذي يبتدئ من مستهل القرن السادس الميلادي، قد ساهمت الهند جاراتها وشقيقاتها في التدهور الخلقي والاجتماعي، الذي شمل الكرة الأرضية في هذه الحقبة من الزمن وأخذت نصيباً غير منقوص من هذا الظلام الذي مد رواقه على المعمورة، وامتازت عنها في ظواهر وخلال يمكن أن نلخصها في ثلاث: (١) كثرة المعبودات والآلهة كثرة فاحشة.(٢) الشهوة الجنسية الجامحة. (٣) التفاوت الطبقي والمجحف والامتياز الاجتماعي الجائر[١].

الوثنية المتطرفة

قد بلغت الوثنية أوجها في القرن السادس، فقد كان عدد الآلهة في «ويد» ثلاثة وثلاثين، وقد أصبحت في هذا القرن ٣٣٠ مليون. وقد أصبح كل شيء رائع وكل شيء جذاب وكل مرفق من مرافق الحياة إلهاً يعبد.. وهكذا جاوزت الأصنام والتماثيل والآلهة والإلاهات الحصر وأربت على العد، فمنها أشخاص تاريخية، وأبطال تمثل فيهم الله-زعموا- في عهود وحوادث معروفة، ومنها جبال تجلى عليها بعض آلهتهم، ومنها معادن كالذهب والفضة تجلى فيها إله، ومنها نهر الكنج الذي خرج من رأس «مهاديو» الإله، ومنها آلات الحرب وآلات الكتابة وآلات التناسل وحيوانات أعظمها البقرة والأجرام الفلكية وغير ذلك، وأصبحت الديانة نسيجاً من خرافات وأساطير وأناشيد وعقائد وعبادات ما أنزل الله بها من سلطان، ولم يستسغها العقل السليم في زمن من الأزمان.

١.اقرأ مقالة (بوذا) في دائرة المعارف البريطانية(٨٤/١).

وقد ارتقت صناعة نحت التماثيل في هذا العهد، وبلغت أوجها في القرن السادس والسابع، حتى فاق هذا العصر في ذلك العصور الماضية. وقد عكفت الطبقات كلها وعكف أهل البلاد من الملك إلى الصعلوك على عبادة الأصنام، حتى لم تجد الديانة البوذية والجينية منها بُداً، وتذرعت هاتان الديانتان بهذه الوسيلة للاحتفاظ بحياتهما وانتشارهما في البلاد. ويدل على ما وصلت إليه الوثنية والتماثيل في هذا العصر ما حكاه الرحالة الصيني الشهير «هوئن سوئنج» الذي قام برحلته بين عام ٦٣٠ وعام ٦٤٤ عن الاحتفال العظيم الذي أقامه الملك هرش الذي حكم الهند من عام ٦٠٦ إلى ٦٤٧: «وأقام الملك احتفالاً عظيماً في قنوج اشترك فيه عدد كبير جداً من علماء الديانات السائدة في الهند، وقد نصب الملك تمثالاً ذهبياً لبوذة على منارة تعلو خمسين ذراعاً، وقد خرج بتمثال آخر لبوذة أصغر من التمثال الأول في موكب حافل قام بجنبه الملك «هرش» بمظلة وقام الملك الحليف «كامروب» يذب عنه الذباب»[٢].

ويقول هذا الرحالة عن أسرة الملك ورجال بلاطه: «إن بعضهم كان من عباد «شو» وبعضهم من أتباع الديانة البوذية، وكان بعضهم يعبد الشمس وبعضهم يعبد «وشنو» وكان لكل واحد أن يخص من الآلهة أحداً بعبادته أو يعبدهم جميعاً»[٣].



الشهوة الجنسية الجامحة

وأما الشهوة فقد امتازت بها ديانة الهند ومجتمعها منذ العهد القديم، فلعل المواد الجنسية والمهيجات الشهوية لم تدخل في صميم ديانة بلاد مثل ما دخلت في صميم الديانة الهندية، وقد تناقلت الكتب الهندية وتحدثت الأوساط الدينية عن ظهور صفات الإله وعن وقوع الحوادث العظيمة وعن تعليل الأكوان روايات وأقاصيص عن اختلاط الجنسين من الآلهة وغارة بعضها على البيوت الشريفة تستك منها المسامع ويتندى لها الجبين حياء.

---

٢. رحلة هوئن سوئنج (فوكوي كي) الدولة الغربية (٤٩/١).
٣. أيضاً.

وتأثير هذه الحكايات في عقول المتدينين المخلصين المرددين لهذه الحكايات في إيمان وحماسة دينية وفعلها في عواطفهم وأعصابهم واضح، زاد إلى ذلك عبادتهم لآلة التناسل لإلههم الأكبر «مهاديو»، وتصويرها في صورة بشعة، واجتماع أهل البلاد عليها من رجال ونساء وأطفال وبنات، زد إليه كذلك ما يحدث به بعض المؤرخين أن رجال بعض الفرق الدينية كانوا يعبدون النساء العاريات والنساء يعبدن الرجال العراة[٤].

وكان كهنة المعابد من كبار الخونة والفساق الذين كانوا يرزءون الراهبات والزائرات في أعز ما عندهن، وقد أصبح كثير من المعابد نواخه يترصد فيها الفاسق لطلبته، وينال فيها الفاجر بغيته، وإذا كان هذا شأن البيوت التي رفعت للعبادة والدين فما ظن القارئ ببلاط الملوك وقصور الأغنياء؟ ! فقد تنافس فيها رجالها في إتيان كل منكر وركوب كل فاحشة، وكان فيها مجالس مختلطة من سادة وسيدات، فإذا لعبت الخمر برؤوسهم خلعوا جلباب الحياء والشرف وطرحوا الحشمة فتوارى الأدب وتبرقع الحياء. هكذا أخذت البلاد موجة طاغية من الشهوات الجنسية والخلاعة، وأسفّت أخلاق الجنسين إسفافاً كبيراً.



أما نظام الطبقات فلم يعرف في تاريخ أمة من الأمم نظام طبقي أشد قسوة وأعظم فصلاً بين طبقة وطبقة وأشد استهانة بشرف الإنسان من النظام الذي اعترفت به الهند دينياً ومدنياً، وخضعت له آلافاً من السنين ولا تزال، وقد بدت طلائع التفاوت الطبقي في آخر العهد الويدي بتأثير الحرف والصنائع وثوراتها، وبحكم المحافظة على خصائص السلالة الآرية المحتلة ونجابتها، وقبل ميلاد المسيح بثلاثة قرون ازدهرت في الهند الحضارة البرهمية، ووضع فيها مرسوم جديد للمجتمع الهندي، وألف فيه قانون مدني وسياسي اتفق عليه البلاد وأصبح قانوناً رسمياً ومرجعاً دينياً في حياة البلاد ومدنيتها وهو المعروف الآن بـ «منوشاستر».

٤. ستيارته بركاش لديالند سرسوتي الهندكي ص ٣٤٤.

يقسم هذا القانون أهل البلاد إلى أربع طبقات ممتازة وهي (١) البراهمة، طبقة الكهنة ورجال الدين. (٢) شتري رجال الحرب. (٣) ويش رجال الزراعة والتجارة. (٤) شودر رجال الخدمة. ويقول « منو» مؤلف هذا القانون:

«إن القادر المطلق قد خلق لمصلحة العالم البراهمة من فمه، وشتري من سواعده، وويش من أفخاذه، والشودر من أرجله، ووزع لهم فرائض وواجبات لصلاح العالم. فعلى البراهمة تعليم ويد أو تقديم النذور للآلهة وتعاطي الصدقات، وعلى الشتري حاسة الناس والتصدق وتقديم النذور ودراسة «ويد» والعزوف عن الشهوات، وعلى ويش رعي السائمة والقيام بخدمتها وتلاوة ويد والتجارة والزراعة، وليس لشودر إلا خدمة هذه الطبقات الثلاث» [٥].

امتيازات طبقة البراهمة

وقد منح هذا القانون طبقة البراهمة امتيازات وحقوقاً ألحقتهم بالآلهة فقد قال إن البراهمة هم صفوة الله وهم ملوك الخلق، وإن ما في العالم هو ملك لهم فإنهم أفضل الخلائق وسادة الأرض[٦] ولهم أن يأخذوا من مال عبيدهم شودر- من غير جريرة - ما شاؤوا، لأن العبد لا يملك شيئاً وكل ماله لسيده[٧].

وإن البرهمي الذي يحفظ رك ويد «الكتاب المقدس» هو رجل مغفور له ولو أباد العوالم الثلاثة بذنوبه وأعماله[٨]، ولا يجوز للملك حتى في أشد ساعات الاضطرار والفاقة أن يجبي من البراهمة جباية أو يأخذ منهم إتاوة، ولا يصح لبرهمي في بلاده أن يموت جوعاً[٩] وإن استحق برهمي القتل لم يجز للحاكم إلا أن يحلق رأسه، أما غيره فيقتل[١٠].

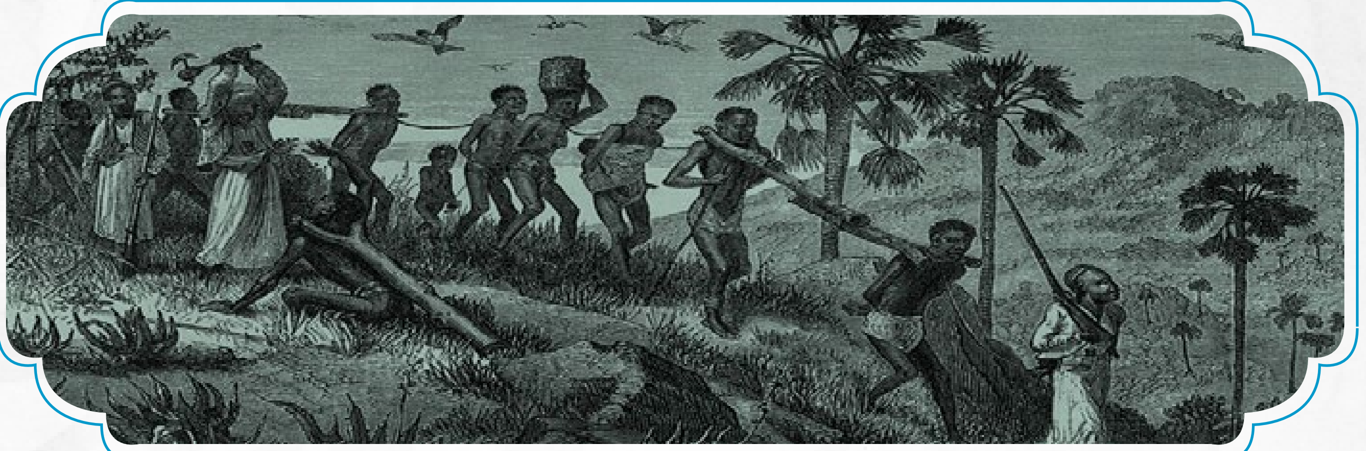
أما الشتري فإن كانوا فوق الطبقتين «ويش وشودر» ولكنهم دون البراهمة بكثير فيقول «منو «: إن البرهمي الذي هو في العاشرة من عمره يفوق الشتري الذي ناهز مائة كما يفوق الوالد ولده[١١].

---

٦. أيضاً.
٧. الباب الثامن.
٨. الباب التاسع.
٩. الباب التاسع.
١٠. الباب الثاني.
١١. منوشاستر الباب الحادي عشر.

المنبوذون الأشقياء

أما شودر «المنبوذون» فكانوا في المجتمع الهندي- بنص هذا القانون المدني الديني- أحط من البهائم وأذل من الكلاب، فيصرح القانون بأن «من سعادة شودر أن يقوموا بخدمة البراهمة وليس لهم أجر وثواب بغير ذلك[١٢]. وليس لهم أن يقتنوا مالاً أو يدخروا كنزاً فإن ذلك يؤذي البراهمة[١٣]، وإذا مد أحد من المنبوذين إل برهمي يداً أو عصاً ليبطش به قطعت يده، وإذا رفسه في غضب فدعت رجله[١٤] وإذا هم أحد من المنبوذين أن يجالس برهمياً فعلى الملك أن يكوي إسته وينفيه من البلاد[١٥]، وأما إذا مسه بيد أو سبه فيقتلع لسانه، وإذا ادعى أنه يعلمه سقي زيتاً فائراً[١٦]، وكفارة قتل الكلب والقطة والضفدعة والوزغ والغراب والبومة ورجل من الطبقة المنبوذة سواء[١٧].

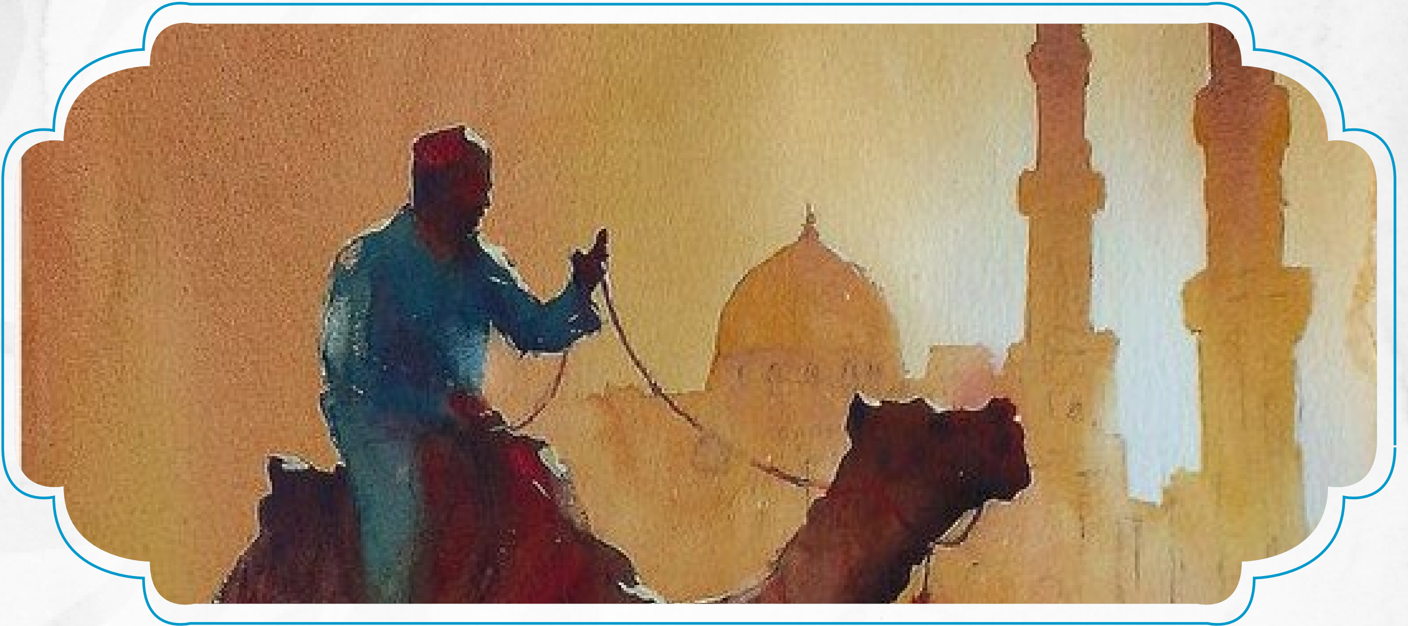


مركز المرأة في المجتمع الهندي

وقد نزلت النساء في هذا المجتمع منزلة الإماء[١٨]، وكان الرجل قد يخسر امرأته في القمار، وكان في بعض الأحيان للمرأة عدة أزواج[١٩] فإذا مات زوجها صارت كالموءودة لا تتزوج، وتكون هدف الإهانات والتجريح،

١٢. أيضاً.
١٣. الباب العاشر.
١٤. أيضاً.
١٥. الباب الثامن.
١٦.منوشاسر.
١٧.R. C. Dutt 342-343
١٨.اقرأ استهلال قصة مها بهارات (الملحمة الهندية الكبرى).
١٩.R. C. Dutt 331

وكانت أمة بيت زوجها المتوفى وخادم الأحماء وقد تحرق نفسها على إثر وفاة زوجها تفادياً من عذاب الحياة وشقاء الدنيا. وهكذا صارت هذه البلاد المخصبة أرضاً وعقولاً، وهذه الأمة- التي وصفها بعض مؤرخي العرب بكونها معدن الحكمة وينبوع العدل والسياسة وأهل الأحلام الراجحة والآراء الفاضلة[٢٠] لبعد عهدها عن الدين الصحيح وضياع مصادره وتحريف رجال الدين وإمعان الناس في القياس والتخمين واتباع هوى النفوس ونزعات الشهوات.. أصبحت هذه البلاد مسرحاً للجهل الفاضح والوثنية الوضيعة والقسوة الهمجية والجور الاجتماعي الذي ليس له مثيل في الأمم ولا نظير في التاريخ...



خاتمة

بعث محمد بن عبد الله ﷺ والعالم بناء أصيب بزلزال شديد هزه هزاً عنيفاً، فإذ كل شيء فيه في غير محله، فمن أساسه ومتاعه ما تكسر، ومنه ما التوى وانعطف، ومنه ما فارق محله اللائق به وشغل مكاناً آخر، ومنه ما تكدس وتكوم.

نظر إلى العالم بعين الأنبياء فرأى إنساناً قد هانت عليه إنسانيته، رآه يسجد للحجر والشجر والنهر، وكل مالا يملك لنفسه النفع والضر.

٢٠. صاعد الأندلسي م ٤٦٢، طبقات الأمم ص١١.

رأى إنساناً معكوساً قد فسدت عقليته، فلم تعد تسيغ البديهيات، وتعقل الجليات، وفسد نظام فكره، فإذا النظري عنده بديهي وبالعكس، يستريب في موضع الجزم، ويؤمن في موضع الشك. وفسد ذوقه فصار يستحلي المر ويستطيب الخبيث، ويستمرئ الوخيم، وبطل حسه فأصبح لا يبغض العدو الظالم، ولا يحب الصديق الناصح.

رأى مجتمعاً هو الصورة المصغرة للعالم، كل شيء فيه في غير شكله أو في غير محله، قد أصبح فيه الذئب راعياً والخصم الجائر قاضياً، وأصبح المجرم فيه سعيداً حظيا، والصالح محروماً شقياً لا أنكر في هذا المجتمع من المعروف، ولا أعرف من المنكر، ورأى عادات فاسدة تستعجل فناء البشرية، وتسوقها إلى هوة الهلاك.

رأى معاقرة الخمر إلى حد الإدمان، والخلاعة والفجور إلى حد الاستهتار، وتعاطي الربا إلى حد الاغتصاب واستلاب الأموال ورأى الطمع وشهوة المال إلى حد الجشع والنهامة ورأى القسوة والظلم إلى حد الوأد وقتل الأولاد.

رأى ملوكاً اتخذوا بلاد الله دولاً، وعباد الله خولاً، ورأى أحباراً ورهباناً أصبحوا أرباباً من دون الله، يأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدون عن سبيل الله.

رأى المواهب البشرية ضائعة أو زائغة لم ينتفع بها ولم توجه التوجيه الصحيح، فعادت وبالا على أصحابها وعلى الإنسانية، فقد تحولت الشجاعة فتكاً وهمجية، والجواد تبذيراً وإسرافاً، والأنفة حمية جاهلية، والذكاء شطارة وخديعة، والعقل وسيلة لابتكار الجنايات، والإبداع في إرضاء الشهوات.

رأى أفراد البشر والهيئات البشرية نحامات لم تحظ بصانع حاذق، ينتفع بها في هيكل الحضارة، وكألواح الخشب لم تسعد بنجار يركب منها سفينة تشق بحر الحياة.

رأى الأمم قطعاناً من الغنم ليس لها راع، والسياسة كجمل هائج حبله على غاربه، والسلطان كسيف في يد سكران يجرح به نفسه، ويجرح به أولاده وإخوانه.

البشارة بالرسول في كتب الهندوس



صفي الرحمن المباركفوري[1]

رحمه الله

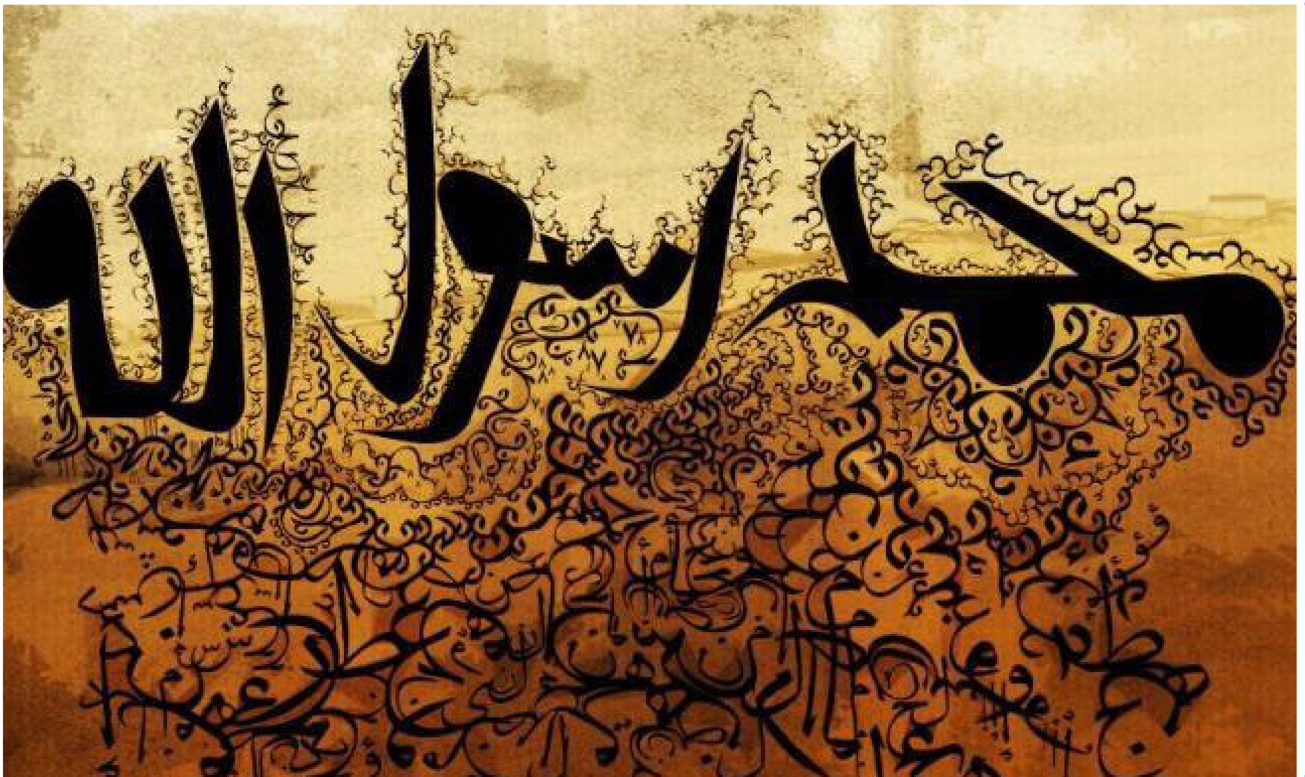
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد المبعوث إلى الأحمر والأسود والمبشر به عندهم أجمعين وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين. وبعد:

فهذه جملة من البشارات عن نبينا محمد ﷺ توجد في كتب الهندوس، لم تخرج حتى الآن إلى عالم العرب فيما أعلم، بينما هي أقوى مما يوجد عند اليهود والنصارى، فاقترح بعض الإخوان جمعها وترتيبها حتى يمكن تقديمها إلى المسلمين وغير المسلمين فقمت بذلك وبالله التوفيق .

١. جمع المؤلف بشارات كتب عديدة للهندوس بالنبي محمد ﷺ في كتاب (وإنك لعلى خلق عظيم)، وإنما انتقينا ما ورد في هذا المقال كمثال لا أكثر. للمزيد يُنظر (وإنك لعلى خلق عظيم) للشيخ صفي الرحمن المباركفوري وآخرين، ص٣٧١ وما بعدها. ط: كندة للإعلام، جدة، ٢٠٠٦م. [إدارة التحرير].

نبذة عن الديانة الهندوسية

يعترف المتخصصون في الديانات- وفيهم كبار الباحثين من الهندوس- بأن الديانة الهندوسية ديانة عسيرة الفهم جداً، يصعب- بل لا يمكن- التعريف بها وبيان حدودها بالضبط، فإنها لا توجد لها مبادئ ولا معتقدات يمكن أن يقال إن هذه الديانة تُبتنى عليها، ولا يُعرف لها رسول ولا نبي معين، ولا هادٍ، ولا مرشد خاص يمكن أن ينسب إليه تأسيس هذه الديانة وبداية الدعوة إليها، كما لا يُعرف لها مصدر ولا كتاب اتفق الهندوس على أنه الحجة والمرجع الأخير فيها، بل الحقيقة أن هذه الديانة مجموعة هائلة من الأوهام والمعتقدات المتناقضة، ومن الطرق العملية المتضاربة التي توارثها الهندوس واستقوها من منابع شتى في مجال تزكية الروح وتنميتها، ومحاولة الصعود بها إلى مدارج الكمال، حسب هؤلاء المعتقدين المتوهمين وأصحاب الطرق.



هذا جانب كونها فلسفة اجتماعية تضبط حياة الإنسان ضبطاً يبتني على الجور والحيف، وعلى استغلال مواهب وقدرات الضعفاء والمنبوذين- باسم الديانة- استغلالاً بشعاً قلّما يوجد له نظير.



إذ تبتني هذه الديانة أو الفلسفة على تفرقة عنصرية شديدة، وتقسم الإنسان خلقاً على أربع طبقات، أعلاها برهمن ثم الكشتري أوراجفوت ثم ويش وآخرها شودر، وهم الأنجاس المناكيد، والمنبوذون الأرازل، لم يخلقوا إلا لخدمة من فوقهم من الطبقات.

وكان من الممكن معرفة أصل هذه الديانة وحقيقتها بإلقاء نظرة عابرة على تاريخ أهلها، إلا أن تاريخهم أيضاً لا يختلف عن ديانتهم في الجمع بين الغث والسمين، وفي التأرجح بين الحقائق والأساطير.

إلا أن هذه الديانة على رغم كل ذلك لا تزال أكثر الديانات انتشاراً في شبه القارة الهندية ولا سيما في الدولة الهندية. ولهم كتب يقرؤونها في الطقوس والمناسبات، ويعتقدون أنها منزلة من عند الله.

وأهم هذه الكتب وأولها الويدات، وهي أربع:

(١) رِك ويد (٢) يجرويد (٣) سام ويد (٤) أتهرو ويد، ومعنى الويد: العلم والمعرفة.

وهذه الكتب هي المصادر الأصلية القديمة، ولها شروح وإيضاحات، مثل رسائل البرهمن، وآرن يُك وأُبِنْشد ومَنُوْ سَمْرْتي.

وهم يعتمدون أيضاً على كتب أخرى ألفت في عهد الهندوسية الجديدة، وهي البورنات، وهي ثمانية عشر كتاباً، ثم يعتمدون على كتب ألفت حول رجال أو شخصيات أو حروب أو أحداث، وهي تشتمل على كمية ضخمة من المواد الدينية مثل كتاب راماﺋن، ومها بهارت، وكيتا. وغير ذلك.

وتوجد في هذه الكتب- ولا سيما الأصلية منها- أنواع من البشارات عن نبينا ﷺ ربما بذكر أسمائه وألقابه، وربما بذكر صفاته وملابساته، وربما بذكر بعض خصائصه وأحداثه، وربما بذكر آبائه وخلفائه وغير ذلك مما يفيد ويعين أن المراد به هو نبينا محمد ﷺ لا غيره، وقد جمع هذه البشارات وشرحها عدد من علماء الهندوس مع بقائهم على الديانة الهندوسية إلا أنهم مالوا إلى المسلمين ولانوا لهم أكثر من غيرهم.

البشارة بـ «نراشنس»

من الأساليب المتبعة في كتب الويدات- ولا سيما في رِك ويد- أنها تختار فرداً من الأفراد المكرمين إما من الملائكة أو الجن أو الإنسان فتخاطبه أو تذكره، مرة بعد مرة، باسمه، وتحمده وتثني عليه بمحامده وأوصافه، وتبين بعض خصائصه وملابساته، وربما تدعوه لقضاء الحاجات وكشف الكربات والبليات، وهذا الذكر والخطاب قد يطول وقد يقصر، فإذا طال اشتمل على مجموعة من التراتيل أو الآيات. وقد اصطلح الهندوس على تسمية هذه المجموعة بـ «سوكت»، وتسمية التراتيل أو الآيات بـ «منتر» أو «رشا. وإذا قصر فإنه ينتهي في منتر أو منترين فقط، ثم ينتقل البيان إلى موضوع آخر.

इदं जना उप श्रुत नराशंस स्तविष्यते ।
षष्टिं सहस्रा नवतिं च कौरम आ रुशमेषु दद्महे ।।
अथर्व: कां २० । सू १२७ । १ ।।

وهذا الفرد الذي يثنى عليه في تلك المناتريكون في معظم الأحوال حسب زعمهم إلهاً من آلهتم المزعومة، من قبيل الملائكة أو الجن. وقليلاً ما تتناول هذا المديح من البشر لمثل، إلا أنه لا يخلو عنها تماماً.

وممن سيق له المدح والثناء البالغ مع بيان كثير من خصائصه وميزاته، شخصية فذة سُميت بـ «نراشنس»، وقد ورد ذكرها في كل من الويدات الأربعة وفي كتب أخرى مقدسة عند الهندوس وقد كتب عدد من علماء

الهندوس وغيرهم بحوثاً حول هذه الشخصية الفذة، ودرسوها في ضوء ما ذُكر لها من الخصائص والأوصاف، فوصلوا إلى أن المقصود بها هو نبينا محمد ﷺ، وليس غيره.

كلمة «نراشنس»

أول ما يُعنى به الباحث في هذه البشارات هو تسمية هذه الشخصية الفذة بـ «نراشنس»، وهي كلمة سنسكرتية مكونة من لفظين: أولهما «نر» ومعناه الإنسان، فكأنما أتى به للتنبيه على أن هذه الشخصية التي اختيرت للمدح والثناء هي من جنس البشر، وليست من جنس الملائكة أو الجن كعامة الشخصيات المثنى عليها في الويدات.

واللفظ الثاني من هذه الكلمة «أشنس» معناه اللغوي: من يُحمد ويُثنى عليه بكثرة، فهو مرادف لمحمد مرادفةً، وليس بينهما أي فرق سوى أن أحمد هنا بالعربية والآخر بالسنسكرتية.

وقد ظهر بهذا أنه لو لم يكن حول هذه الشخصية أي تفصيل أو بيان في الويدات إلا هذا الاسم المبارك فقط لكفى وشفى للدلالة على أن هذه بشارة برسالة محمد ﷺ؛ إذ لم يقم في التاريخ الإنساني أحد من الرسل والأنبياء سمي بهذا الاسم سواه ﷺ.

ते त्वा मदा अमदन तानि वृष्ण्या ते सोमासो वृत्रहत्येषु सत्पते ।
यत कारवं दश वृत्राण्यप्रति बर्हिष्मते नि सहस्रानि वर्हय: ॥६॥
युधा युधमुप घेदेषि धृष्णुया पुरा पुरं समिदं हंस्योजसा।
नमया यदिन्द्र परावति निर्हयी नमुचि नाम मायिनम् ॥७॥
त्वंताज जनराज्ञां द्विर्दशाबन्धुना सुश्रवासेपजग्मुप:। पष्टिं सहस्रा
नवतिं नव श्रुतां नि चक्रेणा रथ्या दुष्पदावृणाक् ॥९॥

अथर्व वेद काण्ड २०। २१।६-७,९

ولكن الويدات وفرت لنا تفاصيل أخرى تقطع سبل النقاش والجدال، وتبت البشارة بتة لا مجال فيها لأدنى احتمال. وأكبر مجموعة لهذه التفاصيل هي ما ورد في أتهرو ويد في بابه العشرين، والفصل السابع والعشرين بعد المائة، بينما توجد بعض البيانات في مناتر أخرى جاءت متفرقة في بقية الويدات والكتب المقدسة عند الهندوس.

خلاصة خصائص وصفات نراشنس في كتب الهندوس

١ تسميته بـ «نراشنس»، ومعناه: محمد.

٢ خطابه بـ «ريبه» ومعناه: أحمد.

٣ مخاطبته أيضاً بـ «كاروم» ومعناه: أحمد.

٤ وهو يكون حلو اللسان وعذب المنطق يتكلم بكلام فصل، لا لبس فيه ولا غموض.

٥ ويكون أجمل الناس وجهاً.

इदं ब्ना उप युत नराशंत स्मकवप्यते।
पार्टि सहस्रा नवर्ति च फौरम आ वशमुपु दहाहे ।।१।।

डप्ट्रा यस्य प्रवाहिरणो वधूमन्तो द्विर्दर्श।
वर्ष्मा रहस्य नि जिहीपत्ते दिय ईपनारण उपस्पृंश: ।।२।।

एय दपये गमहे शतं निष्काल दश सन:।
वीरिण शतान्यर्दतां सहस्रा दश गोनाम् ।।३।।

वच्यत्य रेभ वच्यत्व वृक्षे न पक्वे शकुन:।
ओष्टे जिह्वा चर्चरीति क्षुरो न भुरिजोरिव ।।४।

प्र रेभ्रासो मजीप्रा वृपा गाव इवेरते।
अयोत पुत्रका एपासमोत वा इवासवते ।।५।।

प्र रेभ धियं भरस्व गोविदं वसुविदम्।
देवत्रमां वाचं कृधीपु न वीरो अत्ता ।।६।।

रान्नो विश्रवजनीनत्य यो दवोमर्त्या अति।
वेश्वानरस्य मुष्टुतिंया रणोता परिक्षित: ।।७।।

परिक्षिन्न: क्षेनंमकरत्तम आसनमाचरन्।
क्लायं करावनं कौरव्य: पतिर्वदति जायपा ।।८।।

कतरत त आ हरारिण दधि मन्यां परिस्रुतम्।
जाया पर्ति वि पृच्छति राष्ट्रे राज्ञ: परिज्ञित:।।९।।

अमीव स्वा: प्रजिहीते यव: पक्व: परा त्रिलम्।
जन: स मद्रमेघते राष्ट्रे राज्ञ: परिक्षित: ।।१०।।

इन्द्र: कारुमत्रू वृधदत्तिष्ठ विचरा जनम्।
ममेदुग्रस्य चर्कृधि सर्व इत ते परिरणदारि:।।११।।

इह गाव: प्रजायध्वमिहाश्वा इह पूरुवा:।
इहो सहस्रदक्षिरणेपी पूषा नि वीदति।।१२।।

मोमा इन्द्र गावोरिपन मो आसां गोपती रिषत।
मासाममित्रयुर्जन इन्द्र मा स्तेन ईषत।।१३।।

उप नरं नोनंमसि सूक्तेन वचसा वयं भद्रेरण वचसा वयम्।
चनो दधिष्व नो गिरो न रिश्येम कदाचन।।१४।।

٦ ويكون هادياً كبيراً، ورسولاً مقدساً، أفضل البشر، سيد العالم، يُبعث إلى الناس كافة وتعرفه جميع الأمم.



٧ وهو يطهر الناس ويزكيهم من الذنوب.

٨ ويطلعه الله على أمور من الغيب فيخبر بها الناس.

٩ وهو يُحمَد ويُثنَى عليه بكثرة.

١٠ ويكون مهاجراً.

١١ ويحمل لواء الأمن ويبسط السلام.

١٢ ويعصمه الله بين ستين ألف عدو وتسعين عدواً.

١٣ وتكون مركبه الإبل. (وقد مضى زمان ركوب الإبل).

١٤ وتكون له اثنتا عشرة زوجة. (وهذا هو عدد أزواج محمد صلى الله عليه وسلم.

١٥ ومركبه يكون من السرعة بحيث يصل إلى السماء ثم ينزل. (وقد وقع هذا في الإسراء والمعراج).

١٦ ويعطيه الله مائة دينار من الذهب الخالص. (وهو عدد مهاجري الحبشة).

١٧ ويعطيه عشر قلائد. (وهم العشرة المبشرون بالجنة).

١٨ ويعطيه أيضاً ثلاث مائة جواد. (وهم أصحاب بدر).

١٩ وكذلك يعطيه عشرة آلاف بقرة. (وهو عدد الصحابة الذين شهدوا فتح مكة).

٢٠ وهو يقوم بالغزوة وقتال الملحدين الظالمين الفاجرين.

٢١ وأصحابه حمّادون، ومصلون، يلتزمون بالحمد والصلاة حتى أثناء الحروب.

٢٢ ويقاتلون بشجاعة بالغة.

٢٣ وذراريهم وأولادهم يكونون في غاية الأمن والاطمئنان في بيوتهم أثناء الحروب.

٢٤ وهو يعطي كلاماً حكيماً يكون هدى للمتقين، ويقع منهم موضع القبول مثل وقوع السهم من الهدف، ويكون التمسك به سبباً للحصول على الملك وجباية الأموال، وتشبه تلاوته تغريد الطيور على شجرة يانعة الثمار.(وكل هذه الصفات صفات القرآن الكريم على أصدق ما يمكن).

٢٥ تظهر له حكمة بالغة عند بناء بيت الله، تفضي إلي بسط الأمن وفرحة الناس. (وفيه إشارة إلى حكمه في قصة الحجر الأسود).

٢٦ يبسط أمناً يسر الجميع عندما يأخذ الحكم ويعمر بيت الله بتطهيره من الأصنام، وبدء عبادة الله فيه. (وفيه إشارة إلى ما وقع عند فتح مكة).

٢٧ يحصل الأمن والرخاء في العيش أيام حكمه وحكم أصحابه.

٢٨ ويتقدم الإنسان أيام حكمه في سبيل الخير والتقوى.

٢٩ يشبه أمره بزرع يبدأ من بذر، ثم ينمو حتى يصير شجرة باسقة تعلو في السماء.

٣٠ بيان عجيب لما حصل عند بداية رسالته ﷺ بنزول (يا أيها المدثر).

٣١ وهو يكون ثمال اليتامى، عصمة للأرامل. يتصدق بالآلاف، ويتنعم أيام حكمه الإنسان والحيوان.

٣٢ وفي الأخير دعاء له ولأمته بالسلامة من الأعداء وقطاع الطرق، وإهداء بمديح في غاية الحب والأدب.

ولا نحتاج إلى بيان أن هذه هي الخصائص والميزات والظروف والأوضاع التي اختُص بها محمد ﷺ ولم يتصف بها أحد غيره في تاريخ البشر، فهو ﷺ المقصود والمراد بهذه الأخبار والبشارات بلا ريب.

ثبوت نبوة محمد ﷺ



الشيخ أبو الأعلى المودودي[1]

رحمه الله

ارجع ببصرك إلى ما قبل ١٤٠٠ سنة من تاريخ هذه المعمورة، تجد أنه لم يكن فيها البرق ولا الهاتف ولا القطار ولا السيارة ولا المطبعة، ولم تكن تصدر فيها الجرائد والمجلات ولا تنشر الكتب، ولم يكن يتيسر للناس من السهولة في أسفارهم ما نجده في زماننا هذا، فكان كل من أراد أن يسافر من قطر الى آخر، عليه أن يسير الأشهر الطوال فكأن بلاد العرب كانت في مثل هذه الحال منقطعة عن سائر أقطار الدنيا. صحيح أنه كانت حولها بلاد الفرس والروم ومصر، ولكن الجبال المترامية الجوانب من الرمال كانت تفصل جزيرة العرب عن هذه البلاد جميعاً.

١. من علماء الهند الأفاضل. مصدر المقال: أبو الأعلى المودودي، كتاب: مبادئ الإسلام، (ص٣٨-٥٦)، ترجمة: عاصم الحداد، ط: الشباب المسلم - دمشق، ط٣، ١٣٨١هـ.

نعم كان تجار العرب يرحلون للتجارة إلى هذه البلاد على ظهور جمالهم ويصرفون في قطع الطريق إليها الأسابيع والأشهر، ولكن ما كانت تعدو غاية هذه الرحلات شراء البضائع وبيعها. أما أرض العرب نفسها، فما كان فيها مدنية راقية، ولا مدرسة ولا مكتبة، ولا انتشار للعلم والتعليم في الناس. والذين كانوا يعرفون منهم القراءة والكتابة يُعدون على الأنامل. ثم ما كانت معرفتهم بهما بحيث تعينهم على الإلمام بما كان خارج بلادهم من العلوم والفنون في ذلك الزمان، وما كانت فيهم حكومة تهتم بجمع كلمتهم ولا قانون يأمرهم وينهاهم، بل كانت كل قبيلة فيهم مستقلة بنفسها.

وكانوا يسلبون الناس وينهبونهم بكل حرية، ويسفكون الدماء في الحروب الأهلية الدامية المستمرة. وكانوا لا يقيمون وزناً للنفس البشرية، فكان من يشاء يقتل من يشاء كلما وجد إلى قتله سبيلاً، ويستولي على ماله، وما كانت عليهم مسحة من الحضارة، وكانت الفواحش والمنكرات والخمر والميسر نافقة السوق فيهم، وكانوا يعرون فيما بينهم من غير كلفة ولا حياء، حتى إن نساءهم كن يطفن بالبيت الحرام عاريات، وما كانوا يعرفون الحلال من الحرام.



وقد كانت الحرية بلغت بهم مبلغاً جعلهم لا يتقيدون بقاعدة ولا قانون ولا وازع خلقي، ويأبون الطاعة والانقياد لحاكم من الحكام. زد على ذلك أن الجهالة كانت قد تأصلت فيهم جذورها، وكانوا يعبدون الأصنام ويسجدون لها، فإذا سافروا ونزلوا منزلاً وجدوا فيه حجراً جميلاً اتخذوه رباً لأنفسهم وقضوا حاجتهم من العبادة بالسجود له، أي أن الأعناق التي أبت أن تخضع لأحد كانت تخضع للأحجار والأصنام وتظن أن هذه الأحجار هي التي تقضي لهم حاجاتهم، وتحقق آمالهم وأمانيهم.

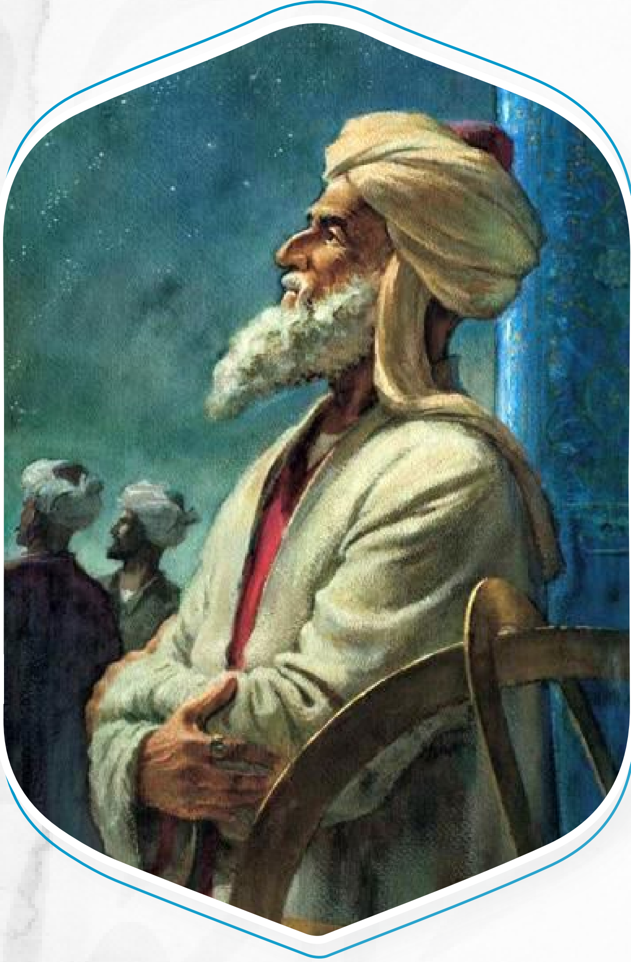
في مثل هؤلاء القوم وفي مثل هذه الأحوال وُلد مولود مات عنه أبوه قبل أن يولَد، ثم ماتت عنه أمه وجده في أيام صباه، فما تلقى من التربية ما عسى أن يتلقاه حتى في هذه البيئة المتداعية لو كان أبواه وجده أحياء. فلما نشأ وجد نفسه يرعى الغنم مع أترابه من أبناء العرب ولما شب اشتغل بالتجارة، وما كانت مجالسته ومعاشرته ومخالطته إلا لأولئك العرب أنفسهم الذين سلف القول فيما كانوا عليه من الأحوال.



وكان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة ولكن عاداته وأخلاقه وخصاله وأفكاره كانت مختلفة كل الاختلاف عن عادات قومه وأخلاقهم وخصالهم وأفكارهم؛ فما كان يكذب في حديثه، ولا يؤذي أحداً بيده أو لسانه، وكان لين الجانب خفيف الظل عذب الكلام يحبه ويفديه كل من جالسه مرة، وما كان ليأخذ من أحد شيئاً ولو كان حقيراً بطريق غير حسن، وكان من الأمانة والصدق والعفاف على حظ كبير، جعل كثيراً من أبناء قومه يأمنونه على أموالهم الثمينة، ويودعونه إياها، وهو يحافظ عليها كما يحافظ على نفسه وماله. والناس كلهم يعتمدون عليه، ويثقون بأمانته، مما جعلهم يلقبونه بالأمين.

وكان حيياً لم يظهر لأحد بدنه عرياناً، بعد ما بلغ سن الشعور. وكان مهذباً ينفر من الشر والرذيلة، على الرغم من كونه قد نشأ وعاشر طول حياته رجال الشر والرذيلة. وكان نظيفاً نزيهاً في كل عمل من أعماله، وكان طاهر القلب، يتألم عندما يرى قومه ينهبون ويسفكون الدماء، وكان يسعى لإصلاح ذات بينهم كلما حمي بينهم وطيس الحروب والمعارك. وكان رؤوفاً رحيماً ليّن الجانب يشاطرهم فيما ينزل بهم من المصائب، وينصر الأيتام

والأيامى، ويطعم الجياع، ويضيف أبناء السبيل، ويكرم مثواهم ويتحمل لهم الشدائد والخسائر. وكان ذكي الفؤاد ثاقب القريحة، يعاف عبادة الأوثان والأصنام على معاشرته لقوم كانت الوثنية فطرتهم الثانية، ودينهم الذي ورثوه عن آبائهم كابراً عن كابر، وما كان ليطأطئ رأسه لأحد من الخلق كأن قلبه يحدثه أن كل شيء في الأرض أو السماء لا يستحق العبادة، وأن الله واحد ليس له ولا يمكن أن يكون له شريك. فكان هذا الرجل يتلألأ بين هؤلاء القوم الجاهلين كما تتلألأ الجوهرة الكريمة بين الأحجار الكثيرة أو كما يتلألأ السراج في ظلمة الليل.



"وبعد أن عاش في قومه عيشة نظيفة رفيعة، وبلغ أربعين سنة، ضاق ذرعاً بهذا الظلام المطبق على مجتمعه من كل جانب. وأراد لنفسه النجاة من هذا البحر الخضم من الجهل والفوضى والانحلال الخلقي والعملي، والشرك والوثنية، فإنه ما كان يجد فيه شيئاً يلائم فطرته. فبدأ يخرج من مكة، ويقضي أياماً طوالاً في عالم الوحدة والخلوة، يزكي روحه وقلبه بالتحنث[٢] والجوع، و يتأمل وينشد نوراً يقشع به الظلام المطبق على قومه، ويريد شيئاً يصلح به هذه الدنيا الملأى بأسباب الخبث والفساد والفوضى. وهناك يحدث تغير في حاله، ويستنير قلبه فجأة بذلك النور الذي كانت تتشوف إليه فطرته، ويمتلئ بالقوة التي ما ظهرت فيه من قبل."

فيخرج إلى قومه من خلوة الغار وينادي فيهم أن هذه الأصنام التي تعبدونها وتعكفون عليها لا تضركم ولا تنفعكم فاتركوها، وأن هذه الأرض والشمس والقمر والنجوم وما في السموات والأرض من القوى، ما خلقها إلا الله وحده، وهو خالقكم ورازقكم، وهو الذي يميتكم ثم يحييكم، فلا تعبدوا غيره ولا تستعينوا إلا إياه، ولا تطلبوا قضاء حاجتكم إلا منه، ومن الإثم ما تأتونه من أعمال السرقة والنهب والفاحشة وإدمان الخمر ولعب الميسر، فانتهوا

٢. التحنث: التعبد ليالي متعددة، واعتزال الأصنام.

عنها واصدقوا في أقوالكم وأعمالكم، واعدلوا، ولا تقتلوا نفساً إلا بحق، ولا تسلبوا الناس أموالهم، ولا تأخذوا شيئاً ولا تعطوه إلا بالحق، وكلكم بشر والبشر كلهم سواء. وليس الشرف والفضل بالنسب ولا باللون والملبس ولا بالجاه والثروة، وإنما هما بالتقوى والصلاح والخير. فمن كان صالحاً يتقي الله وينهى نفسه عن السوء، فهو الشريف الكامل في إنسانيته، ومن لم يكن كذلك، فليس من الشرف والفضل في شيء ولا حظ له في الآخرة. وكلكم مجموعون إلى ربكم بعد حياتكم الدنيا ولا ينفعكم في محكمته العادلة شفاعة ولا خُلة ولا رشوة، ولا تسألون عنده عن علو نسبكم وإنما ينفعكم فيها إيمانكم وأعمالكم الصالحة. فمن كان منكم مؤمناً قد عمل الصالحات دخل الجنة، ومن لم يكن عنده شيء منها، خسر خسرانا مبيناً وكان من أصحاب النار.

لكن قومه بدأوا يؤذونه، لا لشيء، إلا أنه يعيب عاداتهم ورسومهم الجاهلية التي ورثوها عن آبائهم، ويصد الناس عن عبادة الأوثان والأصنام ويدعوهم إلى الإسلام الله وحده، ولذلك آذوه وسبوه وأهانوه ورموه بالحجارة وضيقوا عليه الخناق وتآمروا على قتله، وما زالوا ينزلون به من أنواع الشدائد والآلام أشد ما كانوا يقدرون على إنزاله، حتى اضطر ﷺ بعد ثلاث عشرة سنة إلى الهجرة من وطنه. ولكنهم ما شفوا غليل نفوسهم بعد ذلك كله، وما فتئوا يعملون على إيذائه وإزعاجه في المدينة التي التجأ إليها بعد مغادرة وطنه.



لماذا تحمل هذا العبد الصالح كل هذه الشدائد والمصائب وصبر عليها من قومه؟ ذلك لأنه أراد أن يرشدهم إلى صراط الحق المستقيم. وقد عرضوا عليه أن يملّكوه على أنفسهم، أو يجمعوا له من أموالهم، حتى يكون أكثرهم ثراء على أن يقلع عما هو عليه من الدعوة إلى الله. ولكنه رفض كل ذلك رفضاً وأبى إلا الاستمرار في دعوته. فهل

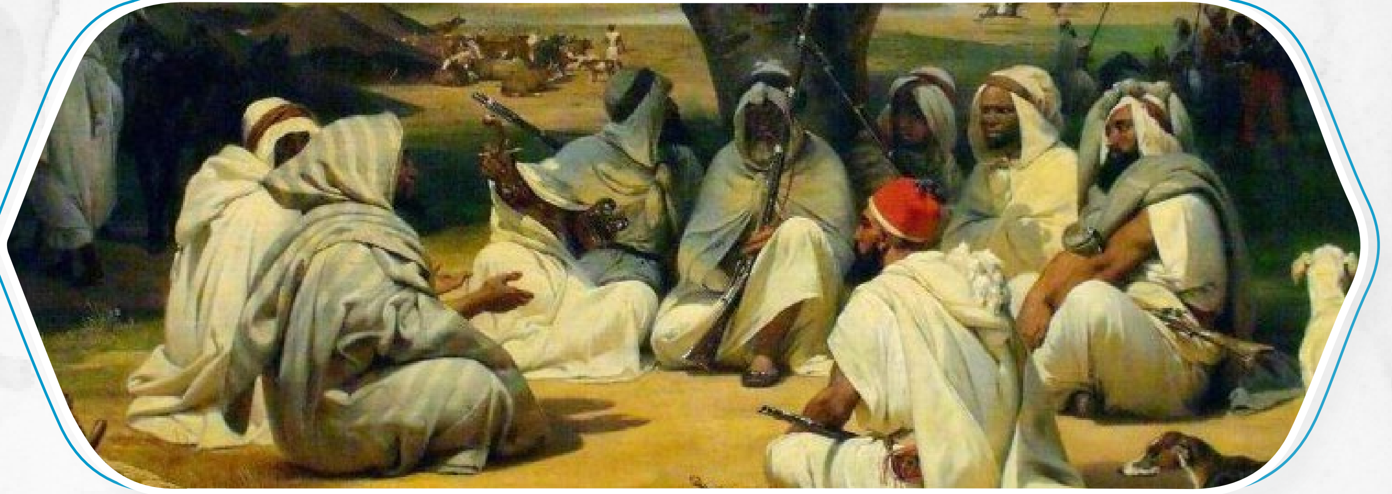
يمكن أن يكون في الدنيا رجل أكثر منه صلاحاً وصدقاً وإيثاراً؟ إنه لا يتحمل كل هذه الشدائد والآلام في سبيل نفسه، ولكن لصالح غيره من عباد الله، وهم يرمونه بالحجارة ويغمزونه بأقبح الكلمات ولكنه لا يدعو لهم إلا بالخير.

ثم تفكر قليلاً في ذلك التغيير العظيم الذي حدث فيه بعد خروجه من الغار، كان الكلام الذي يتلوه على الناس بالغاً من الفصاحة والبلاغة قمتها، حتى لم يأتِ بمثله أحد قبله ولا بعده. كان العرب، كما لا يخفى عليك، يفتخرون بشعرهم وخطابتهم وفصاحتهم في الكلام، فتحداهم أن يأتوا بسورة من مثل هذا الكلام، فأعياهم وطأطؤوا رؤوسهم عجزاً. والذي يدعو إلى العجب أكثر من ذلك أن اللسان الذي كان يستعمله ويتكلم به في أحاديثه للناس وفي خطبه، ما كان يعادل لسان ذلك الكلام بلاغةً وفصاحةً. فإذا قارنت بين ذلك الكلام وبين خطبه وأحاديثه ومحاوراته للناس تجلّى لك الفرق واضحاً جلياً بينهما.



قد بدأ هذا الأمي ﷺ الذي لم يولد ولم يُقِم طول حياته إلا في الصحراء بين الأميين، يأتي بحِكم ومواعظ لم ينطق بها أحد قبله ولا استطاع أن ينطق بها أحد بعده، بل لم يسمعها الناس من لسانه نفسه قبل أن يبلغ أربعين سنة من عمره. وكذلك وضع هذا الأمي ﷺ قوانين في الأخلاق والاجتماع والسياسة وفي سائر الشؤون الإنسانية، لا يكاد يدرك حكمها وأسرارها فحول العلماء وكبار الحكماء على بُعد نظرهم وتجارب حياتهم، إلا بصعوبة عظيمة، بل ستظل تتكشف للدنيا في المستقبل من حِكم هذه القوانين ومقاصدها، على قدر ما تزداد تجاربها على مر الأيام. لقد وضع هذا الأمي قوانينه قبل أكثر من ثلاثة عشر قرناً ولكننا لا نستطيع أن نجد فيها اليوم موضعاً واحداً يحتاج إلى التغيير وإعادة النظر، أو مادة واحدة يمكن حذفها أو إزالتها عن مكانها، مع أن القوانين الوضعية الأخرى وُضعت مراراً وغُير فيها مراراً.

وفي مدة الـ ٣٢ سنة الوجيزة، صار كثير من أعدائه الذين وقفوا له بالمرصاد وتآمروا على قتله ولم يألوا جهداً في إيذائه، من أصدقائه المفدين له بالأرواح، وكل ذلك بفضل أخلاقه وشرفه ونبله وتعاليمه السامية، فقد قامت في وجهه القوى العظيمة الجبارة فانكسر أهلها وانقلبوا صاغرين أمامه، وعندما انتصر عليهم لم ينتقم من أحد، بل غمرهم بفضله وإكرامه وإنعامه. فقد غفر لمن قتلوا عمه وأخاه في الرضاعة حمزة بن عبدالمطلب وبقروا بطنه ولاكوا كبده، وأسبغ كسوة الغفران والعفو الشامل على مَن رموه بالحجارة وأخرجوه من وطنه. وما كاد لأحد،



ولا نقض عهده، ولا اعتدى عليه في حرب، وكان ذلك مما لا يجترئ لأجله حتى أعدى أعدائه أن يتهموه بالغدر والظلم ونقض العهد، وذلك هو الذي سخّر له قلوب العرب جميعاً، إلى أن أخرجهم بتعليمه وهدايته من دياجير الجهل والهمجية وجعلهم أمة حائزة قصب السبق في النظام والتهذيب.

والعرب الذين ما كانوا ليتقيدوا بقانون من القوانين، أخرج منهم أمة في غاية من التقيد بالنظام والقانون، لا يوجد لها نظير في تاريخ العالم. والذين ما كانوا ليرضوا بطاعة أحد والانقياد لأمره، جعلهم منقادين لدولة عظيمة مفدين لها بأرواحهم وأموالهم. والذين ما كانوا من الأخلاق والآداب في شيء زكّى آدابهم وهذب أخلاقهم، حتى إن الدنيا لا تكاد تقضي عجبها اليوم عندما تقرأ وقائعهم وأحوالهم في كتب التاريخ. والذين كانوا أحط أمم الأرض وأضعفها، نالوا في أنفسهم بفضل تأثير هذا الرجل ودعوته خلال ٣٢ سنة قوة سخرت لهم دول فارس والروم ومصر، وقاموا يعلمون الدنيا الشرف والمدنيّة والأخلاق والإنسانية، وانتشروا بتعليم الإسلام وشريعته في أنحاء آسية وأفريقية وأوربة النائية.

تلك هي الآثار التي تركها الأمي ﷺ في نفوس العرب. أما ما فعله هذا التعليم في نفوس سائر أمم الأرض فهو أكثر من هذا وأدعى إلى العجب، فقد أحدث ثورة عظيمة في أفكار سائر أهل الأرض وعاداتهم وقوانينهم. فإذا سرحت النظر في الذين أعرضوا عن اتباعه، وخالفوا عن أمره، وناصبوه العداء، فضلاً عن الذين اتبعوه وجعلوا منه أسوة لأنفسهم، وجدتهم ما استطاعوا أن يمنعوا أنفسهم التأثر بتعليم هذا الأمي. كانت الدنيا قد نسيت توحيد الله، فجاء هذا الأمي ﷺ فذكّرها به من جديد، حتى إن ديانات الوثنيين والمشركين لا تجد اليوم بُداً من دعوة التوحيد لله تعالى. وكذلك كانت المبادئ التي لقنها الناس في الأخلاق والآداب بالغة القوة، حتى تأثرت ولا تزال تتأثر بها أخلاق سائر أمم الأرض وآدابها. وكذلك كانت المبادئ التي وضعها في القانون والسياسة والمدنية والاجتماع من الصحة والصدق والإتقان بمكان جعل الأعداء والجاحدين بصدق كلامه يقتبسون ويسترقون منها، بل لا يزالون يقتبسون ويسترقون منها إلى اليوم.

هذا الرجل كما بينّا لك من قبل، ما نشأ إلا مع الفطرة، في أمة عريقة في الجهل والهمجية، ولم يشتغل إلا برعي الغنم أو التجارة حتى بلغ أربعين سنة من عمره. ولم يتلق أي نوع من التعليم والتربية، فكيف تجمعت فيه مظاهر الكمال هذه دفعة واحدة بعد بلوغه أربعين سنة من عمره؟ ومن أين حصلت له هذه المعرفة والعلم؟ ومن أين وجدت هذه القوة غير العادية؟ فتراه قائداً منقطع المثال من قواد الجيش، وقاضياً ماهراً من القضاة ومقنناً غير عادي من المقننين وفيلسوفاً نطاسياً من الفلاسفة، ومصلحاً بتكراً من مصلحي الأخلاق والتمدن، وسياسياً محنكاً من رجال السياسة في حين واحد. ثم تراه يعبد ربه ساعات طوالاً في الليل، على كثرة ما عليه من الأشغال المهمة في النهار. وكذلك تراه يؤدي ما عليه من الحقوق لأزواجه وأولاده وعشيرته، ويخدم الفقراء والمساكين،



ويواسي المنكوبين واليتامى، ولا يعيش إلا عيشة الفقراء على ما نال من ملك عظيم، ينام على الحصير، ويكتسي الخشن، ويطعم القديد، بل قد تمر عليه أيام لا يطعم فيها شيئاً.

فلو أنه قال للناس بعد هذه الأمور المدهشة إني لست كمثلكم وأنا فوق النوع البشري، لما وسع أحداً من الناس أن يكذبه ويرد عليه دعواه. ولكنه لم يقل ذلك، ولم يدّع أن هذه المواهب غير العادية من تلقاء نفسه، بل إنه قال دائماً إنه ليس شيء من هذه المواهب من عند نفسي وكل ما عندي من شيء فهو لله ومن الله، وأن هذا الكلام الذي جئتكم به وقد عجز عن الإتيان بمثله الجن والأنس ما هو من عند نفسي ولا من بنات فكري ونتيجة قريحتي؛ بل هو كلام الله ولا يرجع الفضل فيه إلا إلى الله وحده، وكل ما آتي به من عمل فليس من كفاءتي الشخصية، بل الله تعالى هو الذي وفقني له، وإني لا أعمل شيئاً ولا أقوله إلا حسب ما يأمرني به ربي.

فقل لي بعد كل ذلك ما لنا لا نؤمن بمثل هذا الرجل الصادق ولا نسلم به نبياً مرسلاً من عند الله تعالى؟ انظر إلى مواهبه في جانب ما أنجبت الإنسانية قبله ولا بعده رجلاً يماثله فيها، وإلى صدقه وأمانته بالجانب الآخر لا يفتخر بما أتى به، ولا يكسب الثناء على نفسه بنسبته إلى نفسه، وإنما يعزوه إلى الله الذي أكرمه بها. فما لنا بعد ذلك ألّا نصدقه فيما يقول؟ وما لنا نكذبه عندما يقول إن هذه الكفاءات ومظاهر الكمال كلها من عند الله، فنقول له بل إنها مما اختلقته أنت ونبع من ذهنك وأفكارك!

إن هذا الرجل الصادق الأمين أبى أن ينسب إلى نفسه المحاسن التي كان من الممكن بكل سهولة أن ينسبها إلى نفسه، وما كان أحد غيره يعرف مصدرها، فلو أنه ادعى بناء عليها أن له شخصية فوق عامة البشر، لما استطاع أحد أن يفند دعواه، فمن أصدق من هذا الرجل وأكثر منه أمانة ونزاهة؟!

ألا إن هذا الرجل الصادق هو سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله ﷺ، وصدقه هو الدليل على نبوته. إن أعماله الجليلة وأخلاقه السامية، وما حدث في حياته الطيبة من الوقائع، كلها ثابتة في كتب التاريخ مدونة فيها. فكل مَن يقرأها بقلب سليم متحرياً الحق والصدق، يشهد له قلبه من غير ما شك أنه ﷺ نبي مرسل من عند الله تعالى، وأن الكلام الذي عرضه على قومه هو القرآن الكريم الذي نتلوه. فكل مًن يقرأه بقلب رحيب فاهماً معناه، لا بد له من الإقرار بأنه كتاب مُنزل من عند الله تعالى، وأنه لا قِبل لأحد من البشر أن يأتي بمثله.

أسوة كاملة خالدة للإنسانية



الشيخ محمد واضح الندوي[١]

رحمه الله



شهد التاريخ الإنساني في محمد ﷺ شخصية لم يعهد مثلها من قبل بعث الرسول ﷺ، لم تكن هذه الشخصية كالقادة الآخرين الذين تخص جهودهم زماناً ومكاناً وعهداً خاصاً من العهود ورسالتهم تتقيد بأمة وبظروف خاصة، فكانت رسالته للإنسانية كلها، ولكل عصر إلى يوم القيامة.

---

١. محمد واضح الندوي من كبار دعاة الهند وكُتّابها، المقال من كتابه: لمحات من السيرة النبوية والأدب النبوي، ط: دار الرشيد/الهند.

فقد كان محمد ﷺ منقذ الإنسانية كلها، ورحمة للعالمين، وأسوة حسنة لسائر العصور، وأفراد المجتمع البشري، وكانت شريعته تلائم فطرة الإنسان.

فقد كانت الشرائع والفلسفات الإنسانية قد فقدت أصالتها وصلاحيتها لحل قضايا الإنسان، (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) [الجمعة: ٢] وقال: (وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) [آل عمران: ١٠٣] في حين كانت القوى البشرية الهدامة تعبث بالكنوز البشرية وتستغلها كالوقود لخدمة مطامعها، وتغيرت بها معايير الإنسانية، وسادت الأرض الفوضوية والهمجية، وانهزمت النفس الإنسانية أمام الشهوات والأهواء، وفقد الضمير البشري حيويته في صدر الإنسان ولم يكن للحق صوت يدوي وللهدى أمل يُرجى، يأكل القوي الضعيف ولا يترحم عليه، ويزدرد الغني الفقير ولا يرثى له.



حقاً إن التاريخ قد عهد أعظم شخصية إنسانية، شهد بطلاً لا يعادله بطل، ومحباً للإنسانية رؤوفاً بها، سحر النفوس، من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته: «لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ».

كانت سيرته ﷺ تتسم بجانب كبير من اللين، ترى الرفق يتجلى في حياته كلها، كان يواجه كل أحد صرفاً للنظر عما إذا كان الرجل صديقاً له أو عدواً جانياً، كان أعداؤه يخرجون لقلته ويرجعون وفي قلوبهم محبة له وشوق إلى حديثه وإيثار له على أنفسهم، وعاطفة لتحمل كل ما يصيبهم من المصائب والبلايا في سبيله، مأخوذين من الجلال والرحمة بالغة الأثر، لم يكن يجزي عدوه بمثل ما يعامله، ولا بأقل من ذلك، بل كان يعفو عنه ويستغفر له «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»، إن كل ما ناله في الطائف يكفي مثالاً لحلمه وصبره.



تصور المعاملة القاسية التي لاقاها من قريش وما بادلته من القسوة والجفاء، وأضف إليها المجابهة التي تلقاها، والرد العنيف الذي صادفه، والجو المكفهر الذي واجهه، والذكريات العابثة المتقطبة من مكة ماثلة بعينه، تصور كل هذا وانظر تجاوب مشاعر هذه النفس العظيمة لكل ذاك فقد أبي أن يعذب أهل الطائف جزاء لمعاملتهم الشنيعة وصدهم العنيف عن الدين الإسلامي.

وفي أحد لما كسرت رَباعيته فلم تحرك شفتاه إلا ليقول: «اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون». ويوم الفتح إذ انتشر الإسلام وكانت له الكلمة العليا، وصارت مكة تحت رعايته، فكان في استطاعته أن يعامل أعداءه المسجونين المفتوحين ويستعمل العنف والشدة ضد المردة الذين بذلوا كل ما كان في وسعهم في خلق التعويقات والصعوبات في سبيل انتشار الدين الإسلامي، فلم يصدر من محكمة النبوة أي حكم ضدهم إلا: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

إن التاريخ لم يعهد مثل هذا القضاء إلا في عهد سيدنا يوسف عليه السلام، حين التقى بوالديه وإخوته بعد مدة طويلة فقال لإخوته وهم الذين كانوا ألقوه في غيابة الجُب وأتوا إلى أبيهم بدم كذب، فلم يقل لهم يوسف عليه السلام شيئًا إلا ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢].

إن النبي ﷺ لم يجف أحداً لنفسه ولم يظلمه في حياته، وفيه يقول القرآن ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ويقول: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] كان يصفح عمن يؤذيه ولا يعاقب أحداً ولا يأخذه إلا إذا تعدى الحق فإذن لم يكن يقوم لغضبه شيء، حتى أن الصعاليك كانوا يرهقونه إلحافاً في السؤال فلا يعنف ولا يقول لهم قولاً يسؤهم، ويردهم رداً حسناً، وأحياناً كانوا يدفعونه إلى السمرة فلم يكن يقول لهم إلا قولاً كريماً، لم يضرب خادماً، ولا عبداً قط ولم ينهر، كان حديثه حديث علم وحياء ومحبة وإخاء، يقوم ويجلس على ذكر،

يؤلف الناس ولا ينفرهم ويلقي في قلوبهم المحبة والصداقة والعطف، كان أصحابه بسبب محبته وعطفه يؤثرونه على آبائهم ولا يتحملون مهاجرته.

بهذه الحياة السليمة الرحيمة القوية ظهر النبي الأمي بين الناس حاملاً مشعل النور وعلم الهدى ينادي بحقوق الإنسان، وهو الذي أذن في الناس: «كلكم من آدم، وآدم من تراب، لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى». وأبلغهم قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣].

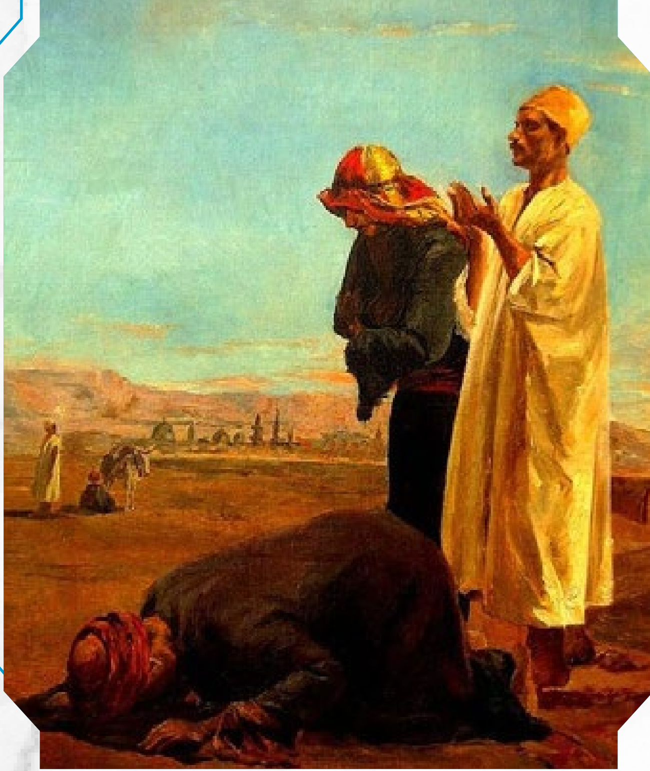


ولقد شهد بفضله ﷺ بعض الكتّاب المنصفين الغربيين، يقول المفكر الفرنسي لامارتين:

«إذا كانت الضوابط التي نقيس بها عبقرية الإنسان هي سمو الغاية والنتائج المذهلة لذلك رغم قلة الوسيلة، فمن ذا الذي يجرؤ أن يقارن أياً من عظماء التاريخ الحديث بالنبي محمد في عبقريته؟ فهؤلاء المشاهير قد صنعوا الأسلحة وسنوا القوانين وأقاموا الإمبراطوريات فلم يجنوا إلا أمجاداً بالية لم تلبث أن تحطمت بين ظهرانيهم، لكن هذا الرجل محمداً لم يقُد الجيوش ويسن التشريعات ويقِم الإمبراطوريات ويحكم الشعوب ويروّض الحكام فقط، بل قاد الملايين من الناس فيما كان يعد ثلث العالم حينئذ، ليس هذا فقط، بل إنه قضى على الأنصاب والأزلام والأديان والأفكار والمعتقدات الباطلة...».

إلى أن يقول: «بالنظر لكل مقاييس العظمة البشرية أود أن أتساءل هل هناك أعظم من النبي محمد؟».

ويقول مايكل هارت في كتابه (مائة رجل من التاريخ): «إن اختياري محمداً، ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ، قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين: الديني والدنيوي. ظهر في أحط بقاع الأرض خلقياً وعقلياً واعتقادياً فناضل أشد نضال وكافح أشد كفاح ضد الفوضى البشرية فكانت دعوته عامة للبشرية جمعاء، فاسترد لها سؤددها، وكفل للإنسانية كرامتها، وأنشأ جيلاً حديثاً فاضلاً، انتشر في العالم وناشد النظم الجارية وحفظ للإنسانية حقوقها».



من مآثره الخالدة ﷺ

١ عقيدة التوحيد النقية الواضحة.

٢ مبدأ الوحدة الإنسانية والمساواة البشرية.

٣ إعلان كرامة الإنسان وسموه.

٤ رد الاعتبار إلى المرأة ومنحها حقوقها وحظوظها.

٥ محاربة اليأس والتشاؤم، وبعث الأمل والرجاء والثقة والاعتزاز في نفس الإنسان.

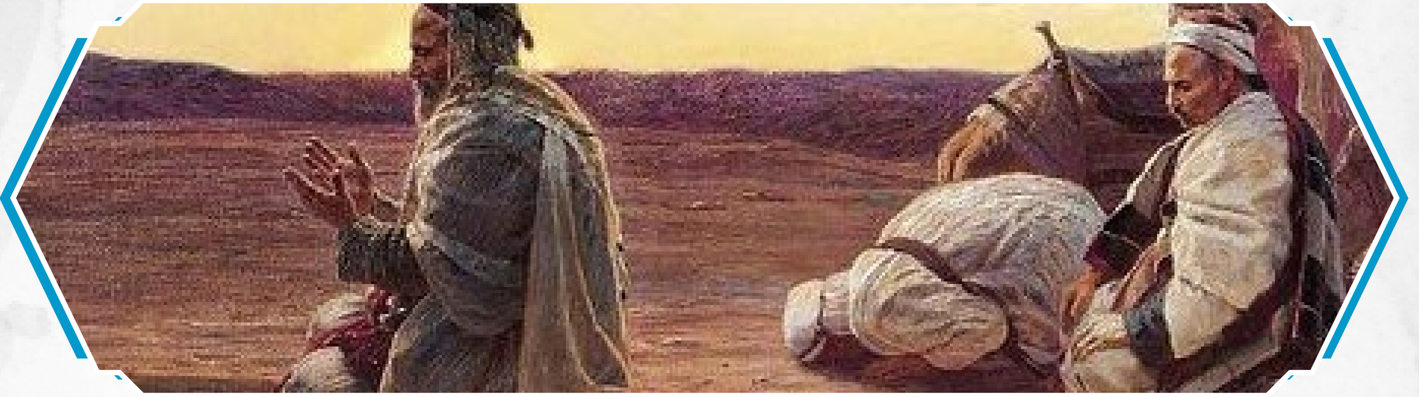
٦ الجمع بين الدين والدنيا، وتوحيد الصفوف المتنافرة، والمعسكرات المتحاربة.

٧ إيجاد الرباط المقدس الدائم بين الدين والدنيا، وربط مصير أحدهما بالآخر، وتفخيم شأن العلم والحث عليه، وتوجيهه إلى علم هادف نافع موصل إلى الله.

٨ استخدام العقل والانتفاع به حتى في القضايا الدينية، والحث على النظر في الأنفس والآفاق.

٩ حمل الأمة الإسلامية على قبول مسؤولية الوصاية على العالم والحِسبة على الأخلاق والاتجاهات وسلوك الأفراد والأمم، وتحمل مسئولية القيام بالقسط والشهادة لله، والوحدة العقائدية الحضارية العالمية.

كان كل صحابي من أصحابه ﷺ مثالاً كاملاً لنبيهم الكريم، تُوفي محمد ﷺ فقام خليفته ورفيقه في الغار سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يتكفل تدعيم بنائه وتخليد ذكراه مستعيناً بالله، وخلفه سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأقام العدل واستقام به أمر المسلمين وسادت هيبتهم على الأعداء رغم تقشفه وزهده، وخير مثال عليه قصة دخوله القدس، فلم يدخل كفاتح، بل دخل كعبد متضرع خاشع لله وإيمانه أن الله أعزه بالإسلام، ولا عزة إلا بالإسلام.



وكان كل صحابي من أصحاب محمد ﷺ مثالا كما جاء في الحديث الشريف: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»، وذلك دليل أكبر على كمال تربيته، فلم يزل الإسلام يتقدم ويتقدم حتى سطع نوره في جميع أنحاء العالم، وبلغت أشعته إلى كل بقعة من الأرض فبلغت دعوة الإسلام إلى جميع أنحاء العالم وهي الاستسلام للخالق الذي خلق الأرض والسموات، وصور الخلق في أحسن صورة، وفضل الإنسان على المخلوقات الأخرى وسخر له الشمس والقمر والدواب ووهبه من نوره ما يهتدي به في الظلمات، وانتشر أصحابه حاملين للرسالة الإسلامية ديناً ومنهجاً للحياة، يُقتدى بهم ويُهتدى بهم.

إن أعظم شيء يمتاز به الإسلام ودعوة النبي ﷺ هو أن دعوته تعم جميع مقتضيات الحياة البشرية، فكما تعالج العبادة والرجوع إلى الله توحّد ما في جميع الأديان من خير، وتمجّد الأنبياء، وتجمع جميع متبعي الأديان المختلفة على رصيف واحد، وتجعلهم فئة متآلفة واحدة، فإن دعوته تعالج مشاكل أخرى تتعلق بأية ناحية من الحياة، وهي الدعوة الوحيدة التي لا تميز بين الزهد وتزكية النفس، وبين الرقي المادي والانتفاع بنعم الله على الأرض.

والحق ما شهدت به الأعداء



الشيخ سيد سليمان الندوي[1]

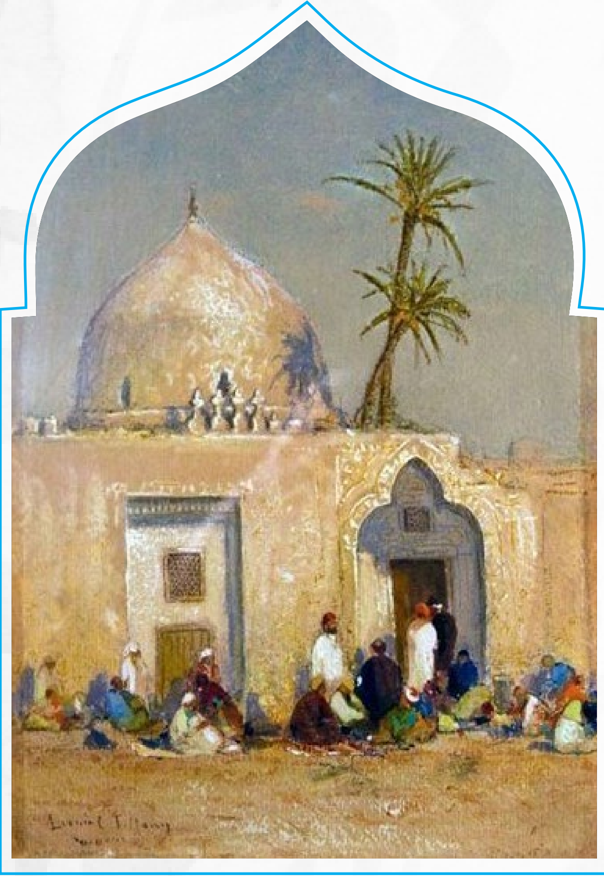
رحمه الله

لم يقضِ الرسول ﷺ حياته كلها بين أحبابه وأصحابه، بل قضى أربعين سنة من عمره في مكة قبل أن يُبعث، فكان بين أهلها مشركي قريش، وكان يتعاطى فيهم التجارة، ويعاملهم في أمور الحياة ليل نهار، وهي الحياة اليومية، وما تنطوي عليه من أخذ وعطاء، ومن شأنها أن تكشف عن أخلاق المرء، فيتبين للناس فسادها وصلاحها، وهي عيشة طويل طريقها، كثيرة منعطفاتها، وعرة مسالكها، تعترضها وهدات مما قد يصدر عن المرء من خيانة، وإخفار عهد، وأكل مال بالباطل، وعقبات من الخديعة والخيانة، وتطفيف الكيل، وبخس الحقوق وإخلاف الوعد.

١. الشيخ سيد سليمان الندوي رحمه الله من أفاضل علماء الهند، مصدر المقال: كتابه: الرسالة المحمدية، (ص١٠١-١٠٦). ترجمة: محمد ناظم الندوي، ط: دار ابن كثير/بيروت، ١٤٢٣هـ.

وإنّ الرسول ﷺ اجتاز هذه السبيل الشائكة الوعرة، وخلص منها سالماً نقياً، لم يصبه شيء مما يصيب عامة الناس، حتى لقد دعوه «الأمين». وإن قريشاً بعد بعثته وادعائه النّبوة كانوا يودعون عنده ودائعهم، وأموالهم لعظيم ثقتهم به، وقد علمتم أنه ﷺ لما هاجر من مكة خلف فيها علياً ليردّ ما كان لديه من الودائع إلى أهلها.

فقريش خالفوه أشد الخلاف في دعوته، ولم يتركوا سبيلاً إلى ذلك إلا سلكوه، فقاطعوه، وعاندوه، وصدوا عن سبيله، وألقوا عليه سلى جزور وهو يصلي، ورموه بالحجارة، وأرادوا قتله، وكادوا له كيدهم، وسموه ساحراً، ودعوه شاعراً، وفنّدوا آراءه، وسخفوا حلمه، ولكن لم يجرؤ أحد منهم على أن يقول شيئاً في أخلاقه، ولا أن يرميه بالخيانة، أو ينسب إليه الكذب في القول، أو إخلاف الوعد، أو إخفار الذمّة، أو نقض العهد.



وإن من ادّعى النبوة، وقال إن الله يوحي إليه؛ فكأنه ادعى العصمة والبراءة من جميع المفاسد ومساوئ الأعمال. ألم يكن يكفي قريشاً في ردهم على الرسول ﷺ أن يذكروا أموراً عمل فيها الرسول بغير الحق، وأن يشهدوا عليه بأن أخلفهم وعداً، أو خانهم في أموالهم، أو كذبهم في شيء مما قاله لهم؟ إن قريشًا أنفقوا أموالهم، وبذلوا نفوسهم في عداوة الرسول ﷺ، وضحوا بفلذات أكبادهم في قتاله حتى قُتل منهم وجرح كثيرون، لكنّهم لم يستطيعوا أن يدنّسوا ذيله الطاهر، ولا أن يصِموه بشيء في عظيم أخلاقه. وكانت أحوال الرسول وشؤونه وهديه ظاهرةً لجميع الناس، معلومةً لهم، استوى في ذلك أحبابه وأعداؤه، ولم يخف عليهم شيءٌ من أمره.

كان عظماء قريش مجتمعين ذات يوم في ناديهم، فجرى ذكر الرسول ﷺ، وفيهم النضر بن الحارث وكان رجلاً داهيةً محنكاً، وعالماً بالأخبار، فقال لهم: يا معشر قريش! لقد أعياكم أمر محمد، وعجزتم عن أن تدبروا فيه رأياً لما أصابكم به، إنّ محمداً قد نشأ فيكم حتى بلغ مبلغ الرجال وكان أحب الناس إليكم، وأصدقهم فيكم، واتخذتموه أميناً، فلما وخطه الشيب، وعرض عليكم هذا الأمر قلتم ساحر، وكاهن، وشاعر، ومجنون. تالله لقد سمعت كلامه فليس فيه شيء مما ذكرتم!

وأبو جهل كان أشد الناس عداوةً للرسول، وقد قال له ذات يوم: يا محمد ﷺ إني لا أقول إنك كاذب، لكني أجحد الذي جئت به، وما تدعو إليه. فأنزل الله هذه الآية: (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) [الأنعام: ٣٣]

ولما تلقى الرسول أمر ربه بأن يدعو ذوي قرباه إلى الإسلام، وينذر عشيرته الأقربين، صعد الجبل، ونادى: يا معشر قريش! فلما اجتمعوا، قال: هل كنتم مصدقيّ إن قلت إن جيشاً قد بلغ سفح هذا الجبل؟ قالوا: ما جربنا عليك كذباً قط [صحيح البخاري: سورة تبت].



شهادة أبي سفيان (قبل إسلامه) للنبي ﷺ عند هرقل

ولما أرسل النبي ﷺ كتاب الدعوة إلى هرقل عظيم الروم، دعا هرقل أبا سفيان ليسأله عن هذه الدعوة وصاحبه، وأنتم تعلمون أن أبا سفيان كان يومئذ على العداوة للإسلام ورسوله مدة ست سنوات متوالية انقضت بحشد المقاتلة، واستنفار المشركين لحرب المسلمين. وانظروا إلى هذا الموقف يُدعى فيه عدو ليسأل عن عدوه اللدود الذي يتمنى لو استطاع أن يقتله، ويمحو اسمه، ويخفض من شأنه، ثم يُدعى إلى مجلس رجل عظيم صاحب سلطان ليشهد عنده في عدوه. فسأله هرقل عن النبي ﷺ:



ـ كيف نسبه فيكم؟ قال أبو سفيان: هو فينا ذو نسب.

ـ هل قال هذا القول منكم أحد قبله؟ قال أبو سفيان: لا.

ـ هل كان من آبائه من ملك؟ قال أبو سفيان: لا.

- فأشراف النّاس اتّبعوه أم ضعفاؤهم؟ قال أبو سفيان: بل ضعفاؤهم.

- أيزيدون أم ينقصون؟ قال أبو سفيان: بل يزيدون.

- فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه؟ قال أبو سفيان: لا.

- فهل كنتم تتهمونه بالكذب؟ قال أبو سفيان: لا.

ـ فهل يغدر؟ قال أبو سفيان: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها.

ـ ماذا يأمركم؟ يقول: اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة[٢].

فهل تجدون شهادة أعظم من هذه الشهادة؟ إنّ الموقف حرج، والسائل ملك ذو شوكة وقوة، يسأل رجلا ملأ الضغن صدره عن أمر الرسول، فلا يقول فيه إلا الصدق والحق. فهل تجدون رسولاً كاملاً أعظم من محمد ﷺ؟ وأي شهادة أصدق من هذه الشهادة؟ إن تاريخ الرسل أعجز من أن يأتي بمثلها عن غيره.

رجاحة عقول العرب تجعلهم لا يخدعون في أمر الرسول ﷺ فاتبعوه وهم على بينة

سادتي! أريد أن ألفت أنظاركم إلى أمر آخر جدير بأن تهتموا له وتعنوا به، ذلك أن الذين آمنوا بمحمد ﷺ أولاً لم يكونوا من صيادي الشواطيء، ولا من الذين استعبدهم فرعون مصر، بل كان الذين آمنوا بمحمد أولاً رجالاً من أمة عريقة في الحرية، ذات عقولٍ ناضجةٍ وفطنةٍ، ولهم حماسةٌ وحمية، لم تلن قناتهم لحكومة قاهرة، ولا

٢.البخاري، كتاب بدء الوحي (٧).

ذللت أنفتهم دولة قوية منذ فجر التاريخ، وكانت لهم تجارة واسعة النطاق تصدر فيها، وترد سلعهم وأمتعتهم بين بلاد وبلاد، وكانت مملكة فارس، وبلاد الشام، ومصر، وآسيا الصغرى مضربهم وموارد تجاراتهم، ولاحتكاكهم بالأمم المتمدنة ولقائهم الرجال من مختلف الأمم تفتقت آراؤهم، واتسعت عقولهم، وازدادت تجاربهم. يدل على ذلك ما أُثر عنهم من الأحكام، وما وصل إلينا من صفحات التاريخ من الأخبار. وكان من هؤلاء من قاد الجيوش، وانتصر بها، فعُدّ من أعظم القادة الفاتحين، وكان منهم من ساس البلاد، وحكم الناس، فأحسن الإحسان كله في سياسته وحكمه حتى عُدّ من أعدل الولاة وأحكم الحكام سياسة وتدبيراً.

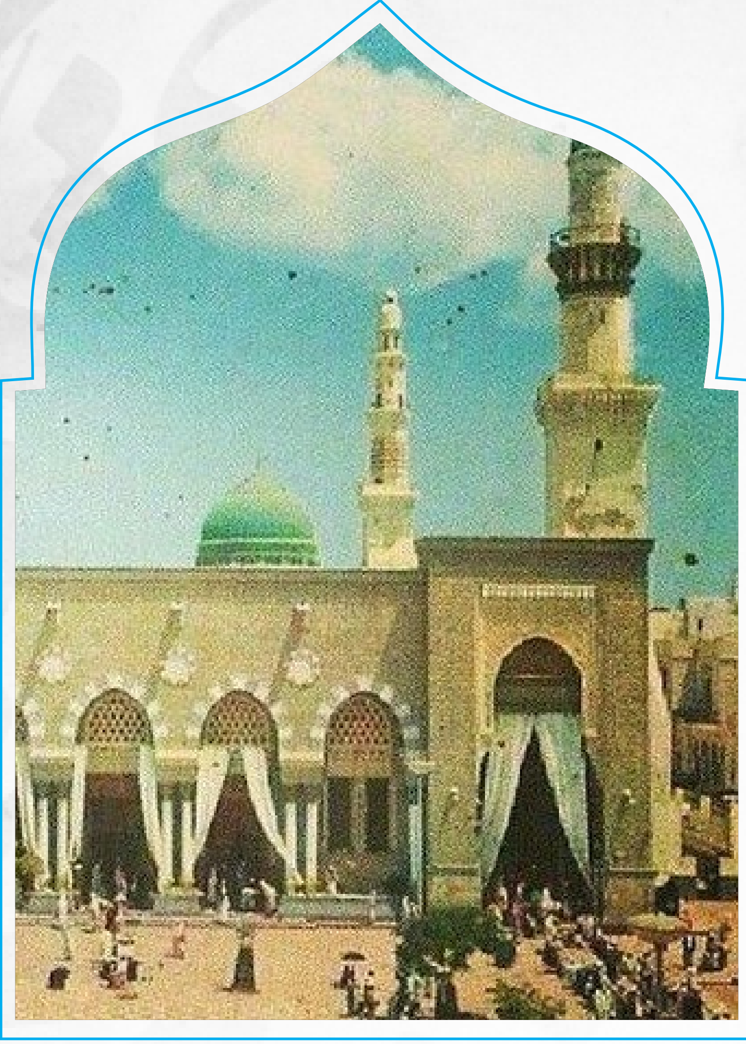


وهل يسوغ في العقل، أن من أوتي مثل هذا العقل الراجح، والمواهب العظيمة، والرأي الحصيف يخفَى عليه شيء من أمر هذا الرسول ﷺ أو يخدع به! هؤلاء الرجال هم الذين نقلوا عنه ما شهدوه بأنفسهم، وسمعوه بآذانهم، وكانوا يرون الاقتداء به سعادةً لهم، والاهتداء بهديه شرفاً لهم في الدنيا، وذخراً لهم في الآخرة، فاقتفوا آثاره، وسلكوا سبيله، واستنوا بسنته، وهذا دليل واضح على أنه الرسول الكامل، وأنه على الحق، ومما لا يرده، ولا يجادل فيه إلا مكابر.

إن رسول الله محمداً ﷺ لم يحاول أن يخفي عن الناس أمراً من أموره، ولا أن يكتمهم حالة من حالاته، لذلك عرفوه كما كان في الواقع، وهو الآن في أذهان عارفيه كما كان في أعين مشاهديه. تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وقد عاشرته زوجةً مدة تسع سنين: لا تصدقوا من يزعم أنّ محمداً ﷺ رسول الله قد كتم مما أُوحي إليه فلم يُبدِه للنّاس، إذ يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧][٣].

٣.البخاري، في كتاب التوحيد (٧٥٢٩)

إن من طباع الناس ولا سيما من يقوم لهم بالإصلاح والهداية والتهذيب ـ أنهم لا يحبون أن يظهر للناس من نفوسهم ما يؤاخذون به، أو يُعاب عليهم. وفي القرآن الحكيم عدة آيات نبه الله فيها رسوله على بعض خطئه، فكان الرسول يتلو هذه الآيات كلها على الناس، ويدعوهم إلى حفظها وإلى تلاوتها في الصلاة والمساجد، ولا تزال هذه الآيات ـ كأخواتها ـ تُتلى بألسنة أتباع محمد رسول الله ﷺ، فحيثما يبلغ انتشار الدين المحمدي، ويدين به كثيرٌ أو قليل من الناس تُتلى هذه الآيات، ولولا أن هذه الأمور ذُكرت في القرآن لما انتشر العلم بها هذا الانتشار، وهكذا السيرة الطاهرة، والحياة الكاملة هي التي تتضح للجميع بمثل وضح النهار أو أشد.



لو كتم الرسول شيئاً لكتم ما في القرآن من مؤاخذته

كان العرب في الجاهلية ينكرون نكاح الرجل مطلقة متبناه، وقد تزوج الرسول زينب التي كانت من قبل زوجاً لمتبناه زيد بعد أن طلقها، فوردت هذه القصة في القرآن ببيان صريح، وإن أم المؤمنين عائشة تقول: لو كتم رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن لكتم هذه الآية (أي: قصة طلاق زيد لزوجه زينب وزواج النبي ﷺ بها) لكيلا يسيء فهمها الجهلاء وضعاف العقول، لكن الرسول ﷺ لم يفعل ذلك، أليس هذا مما يدل على أنه ﷺ لم يكتم من أمره شيئاً ولا خفي على الناس شيء من سيرته؟

محطّات من حياة الرسول ﷺ

ولي الله الدهلوي[1]

رحمه الله

نبينا محمّد ﷺ بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، نشأ من أفضل العرب نسباً وأقواهم شجاعة وأوفرهم سخاوة وأفصحهم لساناً وأذكاهم جَنانًا، وكذلك الأنبياء عليهم السّلام لا تُبعث إلّا في نسب قومها، فإن النّاس معادن كمعادن الذّهب والفضّة، وجودة الأخلاق يرثها الرجل من آبائه ولا يستحق النّبوّة إلّا الكاملون في الأخلاق. وقد أراد الله بعثهم أن يظهر الحق ويقيم بهم الأمة العوجاء ويجعلهم أئمّة، والأقرب لذلك أهل النّسب الرفيع واللطف مرعى في أمر الله، وهو قوله تعالى: {الله أعلم حيث يجعل رسالته}...

---

١. المقال مقتبس باختصار من كتاب «حجة الله البالغة»، للإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بـ «ولي الله الدهلوي» رحمه الله (١١١٤-١١٧٦هـ)، من كبار علماء الهند، ص(٢/٣١٦) وما بعدها، ط: دار الجيل،٢٠٠٥م.

من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، أشد النّاس تواضعاً مع كبَر النّفس، وأرفقهم بأهل بيته وخدمه، خَدَمَه أنس رضي الله عنه عشر سنين فما قال له أفّ ولا لِمَ صنعت؟ ولا ألا صنعت؟ وإن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيده فتنطلق به حيث شاءت.

وكان في مهنة أهله ولم يكن فاحشاً ولا لعاناً ولا سباباً. وكان يخصف نعله ويخيط ثوبه ويحلب شاته، مع كونه ذا عزيمة نافذة قيله القيل لا يغلبه أمر ولا تفوته مصلحة. وكان أجود النّاس وأصبرهم على الأذى وأكثرهم رحمة بالنّاس، لا يصل إلى أحد منه شرّ لا من يده ولا من لسانه إلّا أن يجاهد في سبيل الله. وكان ألزمهم بإصلاح تدبير المنزل ورعاية الأصحاب وسياسة المدينة بحيث لا يتصوّر فوقه يعرف لكل شيء قدره.



وكان دائم النّظر إلى الملكوت مستهتراً [أي: مولعاً] بذكر الله يحس ذلك من فلتات لسانه وجميع حالاته مؤيداً من الغيب مباركًا، يستجاب دعاؤه وتفتح عليه العلوم من حظيرة القدس، وتظهر منه المعجزات من وجوه استجابة الدّعوات وانكشاف خبر المستقبل وظهور البركة فيما يبرّك عليه. وكذلك الأنبياء صلوات الله عليهم يُجبلون على هذه الصّفات ويندفعون إليها، فطرة فطرهم الله عليها.

ذكره إبراهيم عليه السّلام في دعائه وبشر بفخامة أمره، وبشر به موسى وعيسى عليهما السّلام وسائر الأنبياء صلوات الله عليهم. ورأت أمه كأن نور خرج منها فأضاء الأرض فعُبّرت بوجود ولد مبارك يظهر دينه شرقاً وغرباً، وهتفت الجنّ وأخبرت الكهّان والمنجمون بوجوده وعلو أمره ودلت الواقعات الجوية كانكسار شرفات كسرى على شرفه، وأحاطت به دلائل النبوّة كما أخبر هرقل قيصر الرّوم ورأوا آثار البركة عند مولده وإرضاعه، وظهرت الملائكة فشقت عن قلبه فملأته إيمانًا وحكمة، وذلك بين عالم المثال والشّهادة فلذلك لم يكن الشق عن القلب إهلاكا وقد بقي منه أثر المخيط وكذلك كل ما اختلط فيه عالم المثال والشّهادة.



ولما خرج به أبو طالب إلى الشّام فرآه الراهب شهد بنبوته؛ لآيات رآها فيه، ولما شب ظهرت مناسبة الملائكة بالهتف به والتمثل له. وسد الله خَلَّته [أي: حاجته] برغبة خديجة رضي الله عنها فيه ومواساتها به، وكانت من مياسير نساء قريش، وكذلك من أحبه الله يدبر له في عباده. ولما بنى الكعبة فيمن بنى ألقى إزاره على عاتقه كعادة العرب فانكشفت عورته فأُسقط مغشياً عليه، ونُهي عن كشف عورته في غشيته، وذلك شعبة من النّبوّة ونوع من المؤاخذة في النّفس.

ثمّ حُبب إليه الخلاء فكان يخلو بحراء اللّيالي ذوات العدد، ثمّ يأتي أهله ويتزود لمثلها لعزوفه عن الدّنيا وتجرده إلى الفطرة الّتي فطره الله عليها. وكان أول ما بُدئ به الرّؤيا الصّالحة فكان لا يرى رؤيا إلّا جاءت مثل فلق الصّبح وهذه شعبة من شعب النّبوّة. ثمّ نزل الحق عليه وهو بحراء ففزع... فذهبت به خديجة إلى ورقة، فقال: هو الناموس الّذي نزل على موسى، ثمّ فتر الوحي...

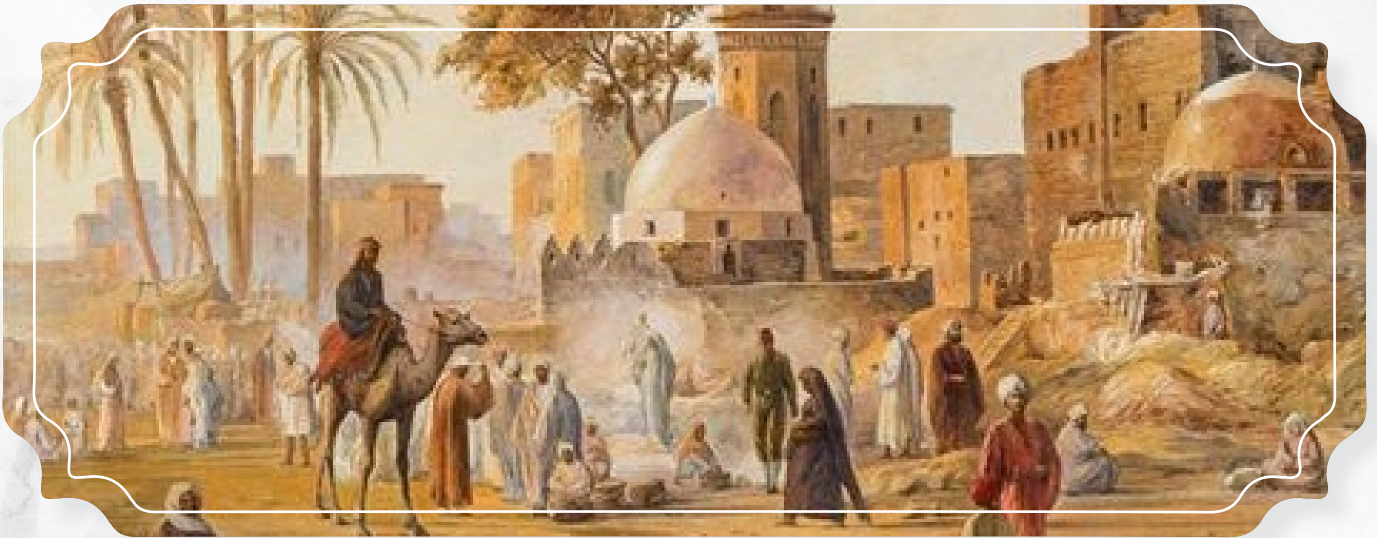
ثمّ أُمر بالدعوة فاشتغل بها إخفاء، فآمنت خديجة وأبو بكر الصّديق وبلال وأمثالهم رضي الله عنهم.

ثمّ قيل له: {فاصدع بما تؤمر}. وقيل: {وأنذر عشيرتك الأقربين}. فجهر بالدعوة وإبطال وجوه الشّرك، فتعصب عليه النّاس وآذوه بألسنتهم وأيديهم؛ كقصة إلقاء سلى جزور والخنق وهو صابر في كل ذلك يبشر المؤمنين بالنصر وينذر الكافرين بالانهزام كما قال الله تعالى: {سيهزم الجمع ويولّون الدبر}. وقال الله تعالى: {جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب}.

ثمّ ازدادوا في التعصب فتقاسموا على إيذاء المسلمين ومن وَلِيَهم من بني هاشم وبني المطلب فهُدوا إلى الهجرة قِبَل الحبشة فوجدوا سَعةً قبل السعة الكبرى. ولما ماتت خديجة رضي الله عنها ومات أبو طالب عمه وتفرّقت

كلمة بني هاشم فزع لذلك وكان قد نُفث في صدره أن علو كلمته في الهجرة نفثاً إجمالياً، فتلقاه برويته وفكره فذهب وهله إلى الطّائف وإلى هجر وإلى اليمامة وإلى كل مذهب... وذهب إلى الطّائف فلقي عناء شديداً، ثمّ إلى بني كنانة فلم يرَ منهم ما يسره، فعاد إلى مكّة... وأُسري به إلى المسجد الأقصى، ثمّ إلى سدرة المنتهى، وإلى ما شاء الله...

ثمّ كان النّبي ﷺ يستنجد من أحياء العرب فوفق الأنصار لذلك فبايعوه بيعة العقبة الأولى والثّانية، ودخل الإسلام كل دار من دور المدينة. وأوضح الله على نبيه أن ارتفاع دينه الهجرة إلى المدينة فأجمع عليها وازداد غيظ قريش فمكروا به ليقتلوه أو يُثْبِتُوه أو يخرجوه، فظهرت آيات لكونه محبوباً مباركاً مقضياً له بالغلبة. فلمّا دخل هو وأبو بكر الصّديق رضي الله عنه الغار لُدغ أبو بكر رضي الله عنه فبرك عليه النّبي ﷺ فشُفي من ساعته، ولما وقف الكفّار على رأس الغار أعمى الله أبصارهم وصرف عنه أفكارهم، ولما أدركهما سُراقة بن مالك دعا عليه فارتطمت فرسه إلى بطنها في جلد من الأرض بأن انخسفت الأرض بتقريب من الله، فتكفل بالرّدّ عنهما، ولما مروا بخيمة أم معبد درت له شاة لم تكن من شياه الدَّر.



فلمّا قدما المدينة جاءه عبدالله بن سلام فسأله عن ثلاث لا يعلمهنّ إلّا نبي: «فما أول أشراط السّاعة، وما أول طعام أهل الجنّة، وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟». فقال ﷺ: «أما أول أشراط السّاعة فنار تحشر النّاس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنّة فزيادة كبد حوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة نزعت». فأسلم عبدالله، وكان إفحاماً لأحبار اليهود.

ثمّ عاهد النّبي ﷺ اليهود وأمِن شرهم واشتغل ببناء المسجد وعلم المسلمين الصّلاة وأوقاتها وشاور فيما يحصل به الإعلام بالصّلاة، فأُري عبدالله بن زيد في منامه الأذان، وكان مطمح الإفاضة الغيبية رسول الله ﷺ وإن كان السفير عبدالله، وحرضهم على الجماعة والجمعة والصّوم، وأمر بالزّكاة وعلمهم حدودها وجهر بدعوة الخلق إلى الإسلام ورغبهم في الهجرة من أوطانهم لأنّها يومئذ دار الكفر ولا يستطيعون إقامة الإسلام هنالك، وشد المسلمين بعضهم ببعض بالمؤاخاة وإيجاب الصّلة والإنفاق والتوارث بتلك المؤاخاة لتتفق كلمتهم فيتأتى الجهاد ويتمعنوا من أعدائهم، وكان القوم ألفوا التناصر بالقبائل.



ثمّ لما رأى الله فيهم اجتماعاً ونجدة أوحى إلى نبيه أن يجاهد ويقعد لهم كل مرصد، ولما وقعت واقعة بدر لم يكونوا على ماء فأمطر الله مطراً، واستشار النّاس هل يختار العير أم النفير؟ فبورك في رأيهم حسب رأيه فأجمعوا على النفير بعدما لم يكد يكون ذلك، ولما رأى ﷺ كثرة العدو تضرع إلى الله فبُشر بالفتح وأُوحي إليه مصارع القوم. فقال هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان يضع يده ههنا وههنا فما ماط [تجاوز] أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ. وظهرت الملائكة يومئذ بحيث يراهم النّاس لتثبت قلوب الموحّدين وترعب قلوب المشركين، فكان ذلك فتحاً عظيماً أغناهم الله به وأشبعهم وقطع حبل الشّرك وأهلك أفلاذ كبد قريش، ولذا سمي فرقاناً. وكان ميلهم للافتداء مخالفاً لما أحبه الله من قطع دابر الشّرك، فعوتبوا ثمّ عُفي عنهم.

ثمّ أهاج الله تقريبًا لاجلاء اليهود فإنه لم يكن يصفو دين الله بالمدينة وهم مجاوروها، فكان منهم نقضُ العهد فأجلى بني النّضير وبني قينقاع، وقتل كعب بن الأشرف، وألقى الله في قلوبهم الرعب فلم يعرجوا لمن وعدهم النّصر وشجع قلوبهم، فأفاء الله أموالهم على نبيه وكان أول توسع عليهم.

وكان أبو رافع تاجر الحجاز يؤذي المسلمين؛ فبعث إليه عبدالله بن عتيك فيسر الله له قتله، فلمّا خرج من بيته انكسرت ساقه فقال رسول الله ﷺ «ابسط رجلك»، فمسحها فكأنّها لم يشتكها قطّ.

ولما اجتمعت الأسباب السماوية على هزيمة المسلمين يوم أُحد ظهرت رحمه الله ثَمّ من وجوه كثيرة، فجعل الواقعة استبصاراً في دينهم وعبرة، فلم يجعل سببه إلّا مخالفة رسول الله ﷺ فيما أمر من القيام على الشِّعب، وعلم الله تعالى نبيه بالانهزام إجمالاً فأراه سيفاً انقطع وبقرة ذُبحت فكانت الهزيمة وشهادة الصّحابة، وجعلها بمنزلة نهر طالوت ميّز الله بها المخلصين من غيرهم؛ لئلّا يعتمد على أحد أكثر ممّا ينبغي...



ولما أحاطت بهم الأحزاب وحفر الخندق ظهرت رحمة الله بهم من وجوه كثيرة، ردّ الله كيدهم في نحورهم ولم يضروا المسلمين شيئاً، وبورك في طعام جابر رضي الله عنه فكفى صاعٌ من شعير وبَهْمَةٌ [الصغير من ولد الضأن] نحو ألف رجل، وانكشفت قصور كسرى وقيصر في قدحة الحجر وبُشر بفتحها وهبت ريح شديدة في ليلة مظلمة، وألقى الرعب في قلوبهم فانهزموا...

وبينا هو يخطب يوم الجمعة إذ قام أعرابي فقال: «يا رسول الله هلك المال وجاع العيال». فاستسقى وما في السّماء قَزْعَة [قطعة سحاب] فما وضع يده حتّى ثار السّماء كأمثال الجبال فمُطروا حتّى خافوا الضّرر، فقال: «حوالينا ولا علينا» لا يشير إلى ناحية إلّا انفرجت.

وتكرر ظهور البركة فيما برّك عليه كبيدر جابر وأقراص أم سليم ونحوها. ولما غزا بني المصطلق ظهرت الملائكة متمثلة تخاف العدو. واتُّهمت عائشة في تلك الغزوة فظهرت رحمة الله بتبرئتها وإقامة الحد على من أشاع الفاحشة عليها. ولما انكسفت الشّمس تضرع إلى الله فإنّه آية من آيات الله يترشح عندها خوف في قلوب المصطَفين، ورأى في ذلك الجنّة والنّار بينه وبين جدار القبلة وهو من ظهور حكم المثال في مكان خاص.

وأراه الله رؤياه ما يقع بعد الفتح من دخولهم مكّة محلّقين ومقصّرين لا يخافون، فرغبوا في العمرة ولما يأن وقتها، وكان ذلك تقريبًا من الله للصلح الذي هو سبب فتوح كثيرة وهم لا يشعرون، نظير ذلك ما قالته عائشة رضي الله عنها في معارضة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما عند موت النّبي ﷺ، إن في كل قول فائدة فرد الله المنافقين بقول عمر رضي الله عنه، وبيّن الحق بقول أبي بكر رضي الله عنه، فآل الأمر إلى أن اجتمع رأي هؤلاء وهؤلاء أن يصطلحوا وإن كرهه الفئتان.

وظهرت هنالك آيات، عطشوا ولم يكن عندهم ماء إلّا في ركوة فوضع عليه السّلام يده فيها فجعل الماء يفور من بين أصابعه، ونزحوا ماء الحديبية فلم يتركوا فيها قطرة فبرّك عليها فسقوا واستقوا، ووقعت بيعة الرضوان معرفة لإخلاص المخلصين، ثمّ فتح الله عليهم خيبر فأفاء منه على النّبي ﷺ والمسلمين ما يتقوون به على الجهاد، وكان ابتداء انتظام الخلافة فصار عليه السّلام خليفة الله في الأرض.



وظهرت هنالك آيات: دسوا السم في طعامه ﷺ فنبأه الله، وأصابت سلمة ابن الأكوع ضربة فنفث فيها نفثات فما اشتكاها بعد، وأراد أن يقضي حاجته فلم يرَ شيئاً يستتر به فدعا شجرتين فانقادتا كالبعير المخشوش، حتّى إذا فرغ ردهما إلى موضعهما، ولما أراد المحاربي أن يسطو بالنّبيّ ﷺ ألقى الله عليه الرعب فربط يده.

ثمّ نفث الله في روعه ما انعقد في الملأ الأعلى من لعن الجبابرة وإزالة شوكتهم وإبطال رسومهم، فتقرب في الله بالسعي إلى ذلك فكتب إلى قيصر وكسرى وكل جبّار عنيد، فأساء كسرى الأدب فدعا عليه فمزقه الله كل ممزق. وبعث ﷺ زيداً وجعفر وابن رواحة إلى مؤتة فانكشف عليه حالهم فنعاهم عليه الصلاة والسّلام قبل أن يأتي الخبر. ثمّ بعث الله تقريبًا بفتح مكّة بعدما فرغ من جهاد أحياء العرب، فنقضت قريش عهودها وتعاموا، وأراد حاطب أن يخبّرهم فنبأ الله بذلك رسوله، وفتح مكّة ولو كره الكافرون وأدخل عليهم الإسلام من حيث لم يحتسبوا.

ولما التقى المسلمون والكفّار يوم حنين وكانت لهم جولة استقام رسول الله وأهل بيته أشد استقامة ورماهم بتراب فبورك في رميه، فما خلق الله منهم إنسانا إلّا ملأ الله عينه تراباً فولوا مدبرين، ثمّ ألقى الله سكينته على المسلمين فاجتمعوا واجتهدوا حتّى كان الفتح، وقال لرجل يدعى الإسلام وقاتل أشد القتال «هو من أهل النّار»، فكاد بعض النّاس يرتاب ثمّ ظهر أنه قتل نفسه...

ثمّ أحكم الله دينه وتواردت الوفود وتوارت الفتوح وبعث العمّال على القبائل ونصب القضاة في البلاد وتمت الخلافة، فنفث في روعه ﷺ أن يخرج إلى تبوك ليظهر شوكته على الرّوم فينقاد له أهل تلك النّاحية، وكانت تلك غزوة في وقت الحر والعسرة فجعلها الله تمييزاً بين المؤمنين حقًا والمنافقين...

فلمّا قوي الإسلام ودخل النّاس في دين الله أفواجًا أوحى الله إلى نبيه أن ينبذ عهد كل معاهَد من المشركين، ونزلت سورة براءة. وأراد المباهلة من نصارى نجران فعجزوا واختاروا الجزية. ثمّ خرج إلى الحج وحضر معه نحو من مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً فأراهم مناسك الحج وردّ تحريفات الشّرك.

ولما تمّ أمر الإرشاد واقترب أجله، بعث الله جبرائيل في صورة رجل يراه النّاس فسأل النّبي عن الإيمان والإسلام والإحسان والساعة، فبين النّبي ﷺ وصدّقه جبرائيل...

ولما مرِض لم يزل يذكر الرفيق الأعلى ويحنّ إليهم حتّى توفاه الله. ثمّ تكفل أمر ملّته فنصب قوماً لا يخافون لومة لائم، فقاتلوا المتنبئين والروم والعجم حتّى تمّ أمر الله ووقع وعده.

صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلّم.



لماذا نحبه؟

الشيخ محمد سليمان المنصورفوري[1]

رحمه الله

أفلا يحِب من وهُب نور البصيرة والفؤاد أن يفدي بمهجته مثل هذا المحبوب والمحمود والمصطفى ومحمد ويعتبِر ذلك غاية شرفه وكمال نخره؟

هذا هو السر الذي كشفت عنه هذه الآية: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ (سورة التوبة: ٢٤)

١. من علماء الهند الأفاضل، مصدر المقال: كتاب رحمة للعالمين، محمد سليمان المنصورفوري، ص٥٧١ وما بعدها، ترجمة سمير عبدالحميد إبراهيم، ط: دار السلام، الرياض.

إن الحب لجميع ما ذكره الله في هذه الآية من الأشخاص والرجال مسلّم وطبيعي، ولذا نرى أن الله الذي فطر الناس عليه، ما نفى الحب عن هؤلاء، بل أمرهم بأن ينزلوا الأشياء منازلها وإلا ضلوا. وهذا هو السر الذي كشفه الحديث الذي رواه أنس رضي الله عنه في الصحيحين: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين». وروى ابن خزيمة في صحيحه': «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله وماله».

ونحن نعتقد أن النبي ﷺ ليس بمحبوب فحسب بل حبيب أيضاً، يعني أن صفاته العالية وفضائله المتكاثرة ومحاسنه الجميلة أو نعوته الرفيعة التي جعلته محب الله، ومحبوب الخلق، خالدة باقية ثابتة مستقرة. وأريد أن أقدم هنا نماذج من حسن خلقه وشرف أفعاله وأبين من يرغب عن محبة هذا الرجل عظيم الصفات.

جوده وسخاؤه

١ بلغت غنائم يوم حُنين ستة آلاف أسيراً، وأربعاً وعشرين ألفاً من الإبل، وأربعين ألفاً من الغنم، وأربعة آلاف أوقية من الفضة. ولكن النبي ﷺ لم يأخذ منها شيئاً وعاد إلى بيته كما خرج منه بالخير والبركة.



٢ وعن عائشة قالت: ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً ولا أوصى بشيء.

٣ روى معلى بن زياد عن حسن أن سائلاً حضر إلى النبي ﷺ فأجلسه وقال له «الله العاطي»، ثم جاء آخر وجاء ثالث فأجلسهم النبي ﷺ ولم يكن لدى الرسول آنذاك ما يعطيهم إياه، وبينما هم جلوس إذا برجل أتى النبي ﷺ بأربع أوقيات من فضة فأعطى النبي لكل من السائلين أوقية وراح ينادي لعله يجد من يأخذ الأوقية الرابعة، لكنه لم يجد أحداً، وجاء الليل ولم ينَم النبي ﷺ وظل يصلي ثم يرقد وينهض فيصلي ثم يرقد فاستفسرت منه أم المؤمنين عما يقلقه فقال لا، فسألته هل تلقى من ربه أمراً جعله هكذا قال لا. فقالت ولم القلق؟ عندئذ أخرج النبي ﷺ الفضة قائلاً: هذا ما يقلقني، خشيت أن تبقى هذه لديّ وألقى وجه ربي (يأتيني الموت)[٢].



٤ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن ترك دَينا فعليّ ومن ترك مالاً فلورثته»[٣].

٥ وعن جابر بن عبد الله الصحابي الأنصاري قال: ما سُئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال لا[٤].

وعن هذا المعنى عبر أحد الشعراء بقوله:

ما قال لا قط إلا في تشهده •• لولا التشهد كانت لاؤه نعم

إذا نظرتم إلى هذه الروايات وتدبرتم معناها علمتم أن النبي ﷺ كان بحق أجود الناس بالخير.

٢. انظر النص في أعلام النبوة، ص:١٥٥.
٣. أعلام النبوة ص:١٥٥.
٤. أخرجه الشيخان.

عدله

١ اعترف أعداء النبي ﷺ بهذه الصفة، فعن الربيع بن خثيم قال: كان يُتحاكَم إلى رسول الله ﷺ في الجاهلية قبل الإسلام[٥].

٢ الاختلاف الذي حدث بين قريش في وضع الحجَر، وقد حكّموا أول داخل عليهم فإذا به النبي ﷺ فقالوا: هذا محمد هذا الأمين قد رضينا به[٦]. وكان ذلك قبل نبوّته. كم كان يقينهم بعدله محكاً حتى أظهروا رضاهم بحُكمه قبل أن يحكم.

٣ سرقت فاطمة بنت الأسود، فأخذت، فكلم فيها أسامة بن زيد النبي ﷺ فغضب النبي ﷺ وقال: «أتشفع في حد من حدود الله؟ وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

شجاعته ونجدته

أما النجدة فهى ثقة النفس عند استرسالها إلى الموت حيث يحمد فعلها دون خوف، وأما الشجاعة فهي كمال قوة الغضب الذي يحصل لانقياده للعقل. وقد حُفظت عن النبي ﷺ عشرات الروايات التي شهدها الرواة أنفسهم تدل على هاتين الصفتين له.



١ من ذا الذي لا يعرف علياً رضي الله عنه ومواقفه وبطولاته وهو الذي قال: إنا كنّا إذا حمى البأس واحمر الحدق اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه.

٥.كتاب الشفا (١/ ٧٨).

٦. الشفا (١/ ٨٧).

٢ وهذا يوم حنين أمطر فيه الأعداء المسلمين بالسهام حتى غيروا وجهة الجيش الإسلامي الذي كان يضم اثني عشر ألف رجل. وقد سأل رجل البراء بن عازب: أفررتم يوم حنين عن رسول الله ﷺ؟ قال: لكن رسول الله ﷺ لم يفر، ثم قال: لقد رأيته على بغلته البيضاء وأبو سفيان آخذ بلجامها والنبي ﷺ يقول: «أنا النبي لا كذب».

إن ركوبه على البغلة البيضاء دليل على الثبات والصمود، فإن الفارّ إنما يحب الجواد السريع واختياره البغلة البيضاء دليل على الشجاعة، فإن الناس ليختارون في الحرب ركوباً يتوارى في الغبار، ويختارون للجنود بذلك غبراء لهذا الغرض. أما ثباته في ساحة الحرب بعد فرار اثني عشر ألف جندي دليل على بسالته. وكذلك تنويهه باسمه ليعرفه مَن ليس يعرفه وترديده لهم الكلمة المثيرة لبغضهم كل ذلك لا يتأتى إلا للنبي ﷺ.

وإلى هذا تشير رواية عباس عم النبي ﷺ: ولّى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته نحو الكفار وأنا آخذ بلجامها أكفها إرادة أن لا تسرع وأبو سفيان آخذ بركابه. وفي صحيح مسلم: نزل النبي ﷺ عن بغلته.



إن من غاية الشجاعة أن يتقدم النبي ﷺ ببغلته نحو الذين فر عنهم اثنا عشر ألف جندي ويتقدم إليهم ماشياً حين أمسك رجلان من أهل البيت بغلته وهما عمه وابن عمه.

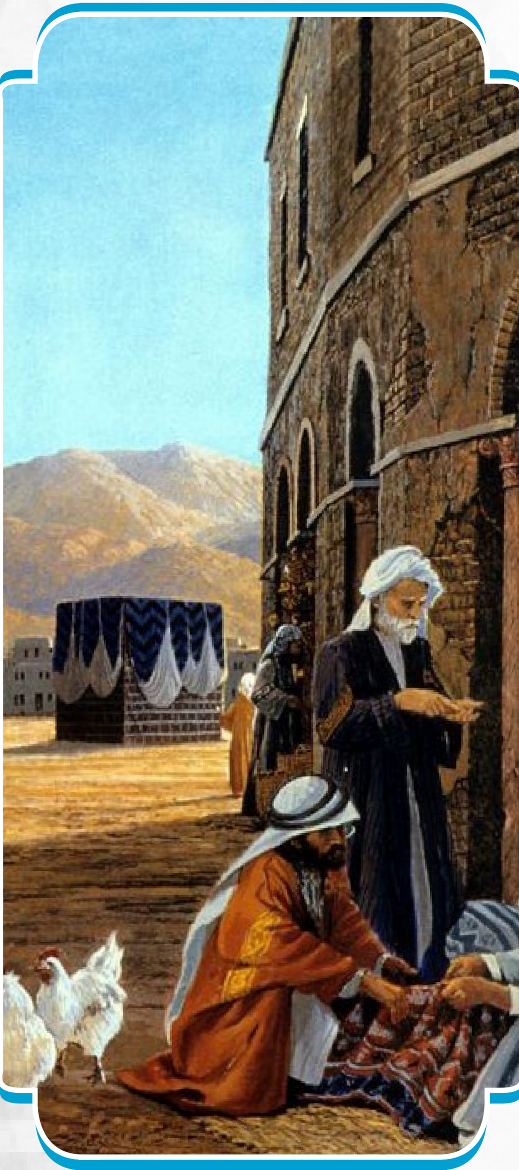
٣ وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس، لقد فزع أهل المدينة ليلاً فانطلق أناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً قد سبقهم إلى الصوت، وقد استبرأ الخبر على فرس لأبي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول لم تراعوا لم تراعوا.

٤ لعل القراء يعلمون سبب لقاء بيعة العقبة الأساسي حيث اضطر ركب إلى اللجوء إلى عقبة الجبل خوفاً من وحشة الطريق وظلمة الليل، فاتجه إليه النبي ﷺ في مثل هذا الأوان يدعوهم إلى الهدى وينقذهم من الضلال.

٥ إن القيام بإعلان المبادئ السلمية أمام العالم كله، وإعلان ضلال كل المذاهب في بلاد سادها حكم سفك الدماء، وعدم الاكتراث بغضب كسرى، وقيصر، وملوك الحبشة، والقبائل العربية الضارية، كل هذا يدل على شجاعة النبي ﷺ ورباطة جأشه، مما يندر وجود نظير له في التاريخ.

تواضعه

أما التواضع فكان من صفاته اللازمة، كان من تواضعه ﷺ أن يركب البغلة والحمار، ويحمل خلفه الآخرين، وكان يعود المساكين ويجالس الفقراء ويجلس بين أصحابه مختلطاً بهم، وحيثما انتهى به المجلس جلس، ويجيب دعوة العبيد، ويحمل بضاعته من السوق، ويعقل البعير ويعلف ناضحه، وكان في بيته في مهنة أهله.



وعن أنس رضي الله عنه قال: حج رسول الله ﷺ على رحل رث، وعليه قطيفة ما تساوي أربعة دراهم.

وكان النبي ﷺ يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل عليه أكاف من ليف، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دخلت السوق مع النبي ﷺ فاشترى سراويل وقال للوزان: «زن وأرجح». وذكر القصة قال فوثب إلى يد النبي ﷺ يقبلها فجذب يده وقال: «هذا تفعله الأعاجم بملوكها ولست بملك إنما أنا رجل منكم».

حياؤه

١ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه. متفق عليه. وكان من أثر هذه الصفة أنه لا يسمي أحداً فيه عيب.

٢ روى أنس رضي الله عنه أنه كان عند رسول الله ﷺ رجل به أثر صفرة وكان رسول الله ﷺ لا يكاد يواجه أحداً بشيء يكره فلما قام قال للقوم: «لو قلتم له يدع هذه الصفرة»[٧].

شفقته ورأفته

١ روى أن أعرابياً جاءه يطلب منه شيئاً فأعطاه ثم قال: «أحسنت إليك»؟ قال الأعرابي: لا، ولا أجملت. فغضب المسلمون وقاموا إليه، فأشار إليهم أن كفوا، ثم قام ودخل منزله وأرسل إليه رسول الله ﷺ وزاده شيئاً، ثم قال: «أحسنت إليك»؟ قال: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً. فقال له النبي ﷺ: «إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي من ذلك شيء، فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك». قال: نعم. فلما كان الغد أو العشي جاء فقال ﷺ: «إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضى أكذلك»؟ قال: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً. فقال النبي ﷺ: «مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه، فاتبعها الناس، فلم يزيدوها إلا نفوراً فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي، فإني أرفق بها منكم، وأعلم، فتوجه بها بين يديها، فأخذ لها من قمام الأرض، فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها، واستوى عليها، وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار».

٢ ومن شفقته ﷺ أن دعا ربه وعاهده فقال: «أيما رجل سببته أو لعنته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاة وطهوراً وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة».

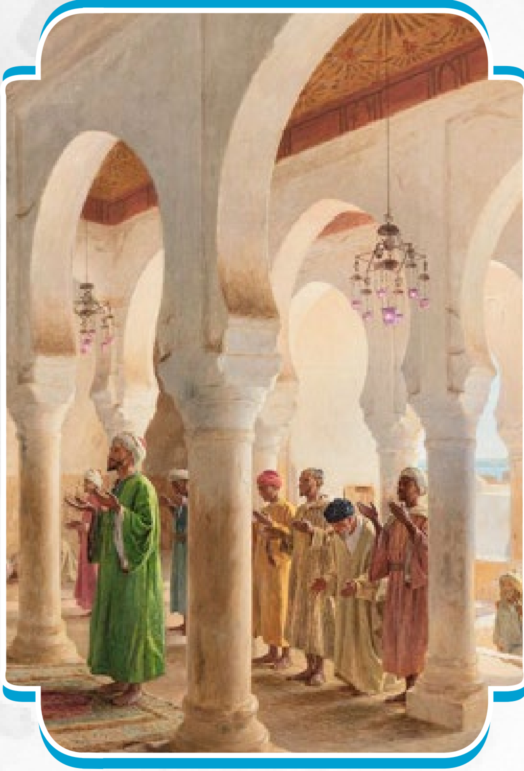
٣ روى الإمام أحمد والطبراني أنه جيء إليه برجل فقيل هذا أراد أن يقتلك فقال النبي ﷺ: لن تراع، لن تراع، ولو أردت ذلك لم تسلط علي»[٨].

٧.شمائل الترمذي

٨.تاب الشفاء [ص:٤٨].

العفو والكرم

أما العفو فهو ترْك المؤاخذة مع تحقق الجريمة والقدرة على معاقبة المجرم. وأما الكرم فهو السخاء والسماحة.



١ عن أنس رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ وعليه بُرد غليظ الحاشية فجذبه أعرابي بردائه جذبة شديدة حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه، ثم قال: يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك فإنك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك! فسكت النبي ﷺ ثم قال: «المال مال الله وأنا عبده». ثم قال: «ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي». قال: لا. قال: «لِمَ»؟ قال: لأنك لا تكافىء بالسيئة السيئة. فضحك النبي ﷺ ثم أمر: «أن يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر».

٢ وجاءه زيد بن سعنة اليهودي قبل إسلامه يتقاضاه دَيناً عليه فجذب ثوبه عن منكبه وأخذ بمجامع ثيابه وأغلظ له ثم قال إنكم يا بني عبد المطلب مُطْل. فانتهره عمر وشدد له في القول والنبي ﷺ يتبسم فقال رسول الله ﷺ: «أنا وهو كنا إلى غير هذا منك وأحوج يا عمر، تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي». ثم قال: «لقد بقي من أجله ثلاث وأمر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعاً لما روعه». فكان سبب إسلامه[٩].

٣ وقال أنس: هبط ثمانون رجلاً من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله ﷺ، فأُخذوا. فأعتقهم رسول الله ﷺ[١٠].

٤ وقال لأبي سفيان بن حرب وقد سيق إليه وهو الذي جلب إليه الأحزاب وقاتل المسلمين في أحد وغيرها، فلاطفه الرسول ﷺ في القول وقال له: ويحك يا أبا سفيان ألم يأنِ لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟ فقال أبو سفيان: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأوصلك وأكرمك».

---

٩. الشفا (٦٣-٦٤) ورواه البيهقي مفصلاً.

١٠. رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.

٥ ومن عظيم خبره في العفو عفوه عن اليهودية[١١] التي سمته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية.

زهده في الدنيا

إن وقائع زهده التي سنذكرها الآن تتعلق بزمن كان الرسول ﷺ يحكم فيه العرب كلها، وكانت كلمته هي النافذة من البحرين إلى الحبشة، وليعلم القراء أن زهده لم يكن لاضطرار وإنما كان باختيار منه. ولم يكن لفقر، وإنما كان لرقته الروحية، فما كان يهتم بالعلائق المادية.



١ عن عائشة رضي الله عنها قالت: لم يمتلئ جوف النبي ﷺ شبعاً قط، ولم يبث شكوى إلى أحد. وكان الفقر أحب إليه من الغنى، وإن كان ليظل جائعاً يتلوى طول ليله من الجوع، فلا يمنعه صيام يومه، ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها، ولقد كنت أبكي له رحمة، مما أرى به، وأمسح بيدي على بطنه، مما به من الجوع وأقول: نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول:

«ياعائشة مالي وللدنيا، إخواني من أولي العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم، فقدموا على ربهم فأكرم ما بهم وأجزل في ثوابهم فأجدني أستحيي إن ترفهت في معيشتي أن يقصر بي غداً دونهم، وما من شيء هو أحب إلي من اللحوق بإخواني وأخلائي».

قالت: فما أقام بعده إلا شهراً حتى توفي ﷺ[١٢]...

---

١١. وهي زينب بنت الحارث بن سلام وكانت وضعت السم في اللحم تريد قتل النبي ﷺ واعترفت بذلك.
١٢. الشفا (٨٣/ ١-٨٤).

أخلاقه العامة

١ شهدت خديجة الكبرى أم المؤمنين رضي الله عنها للنبي ﷺ بحُسن الخلق قبل بعثته في ضوء تجربتها معه التي دامت خمس عشرة سنة فقالت: «إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»[١٣].

٢ وعن أبي قتادة قال: قدم وفد النجاشي على رسول الله ﷺ فقام يخدمهم فقال أصحابه: نحن نكفيك يا رسول الله! فقال: «إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين وإني أحب أن أكافئهم».

٣ قال أنس رضي الله عنه: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أف قط، وما قال لشيء صنعته لِمَ صنعته، ولا لشيء تركته لمَ تركته. وعنه قال: كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خُلقاً، فأرسلني يوماً لحاجة فقلت: والله لا أذهب. وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ، فخرجت حتى أمر على الصبيان وهم يلعبون في السوق فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي. قال: فنظرت إليه وهو يضحك فقال: «يا أنس أذهبت حيث أمرتك»؟ قال قلت: نعم أنا أذهب يا رسول الله[١٤].

٤ وكان النبي ﷺ كثير السكوت، لا يتكلم في غير حاجة، وكان كلامه فصلاً، لا فضول ولا تقصير، مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وأمانة، وجُل ضحكه التبسم وكان ضحك أصحابه عنده التبسم.

وكان النبي ﷺ معروفاً بالصدق لدى الناس حتى قال النضر بن الحارث وكان من ألد الأعداء لقريش: قد كان محمد «منذ صباه» أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم: ساحر، لا والله ما هو بساحر.



١٣. أخرجه البخاري في كتاب مبعث النبي ﷺ.
١٤. أخرجه الشيخان.

وباختصار

إن الخوض في هذا البحر الزاخر محال، وغاية القول: هل يليق بنا أن نحب مَن يهدي إلى هذه الأخلاق الفاضلة ومَن يحمل هذه المحاسن الجميلة وصاحب هذه الأقوال الشريفة ومصدر هذه السجايا الحميدة أم لا؟

أقول بكل ثقة، إن من لم يحب مثل هذا الرسول، ومثل هذا المحمود، ومثل هذا الوجود ذي الجود، ومثل هذا المصطفى، ومثل هذا المجتبى فكأنه حقاً لم يحب هذه الأخلاق والصفات وبالتالي فإنه لا يصلح لأن يتصف هو بهذه الصفات ونعوذ بالله من هذا.



تعالوا نحبه ونتعلم الحب ممن اختارهم الله لمحبة حبيبه وصحبة نبيه. وليُعلم أن المحبة هي التي تعلمنا الأدب والاحترام، وتحثنا على الطاعة والاستسلام، ولا يكون التعظيم تعظيماً إلا إذا نشأ عن المحبة، ولا يكون الإكرام إكراماً إلا إذا نبع عن المحبة.

مشكاة أنوار الرُّسل

حبيب الرحمن الديوبندي[1]

رحمه الله



وَجْهُهُ كَالْبَدْرِ أَوْ شَمْسِ الضُّحَى .. صَدْرُهُ مِشْكَاةُ أَنْوَارِ الرُّسُلْ

مَنْهَلٌ عَـذْبٌ فُـرَاتٌ سَـائِغٌ .. جُوْدُهُ الْمَرْوِيْ بِنَهَلٍ وَّعَلَلْ

نَشْـرُهُ مِسْـكٌ ذَكِـيٌّ فَـائِحٌ .. تَعْطَرُ الْأَكْوَانُ مِنْهُ إِذْ رَفَلْ

١. الشيخ العلامة حبيب الرحمن بن فضل الرحمن العثمانى الديوبندي، رحمه الله، من شعراء الهند بالعربية، ومدير الجامعة الإسلامية دار العلوم/ ديوبند الأسبق، والأبيات مقتطفة من قصيدته لامية المعجزات.

مَا مَشَىٰ إِلَّا وَمِنْ طِيبِ الشَّذَىٰ •• يَعْرِفُ الْمُشْتَاقُ أَيْنَ الْمُرْتَحَلْ
أَطْيَبُ الطِّيْبِ لَهُمْ فِي عِرْسِهِمْ •• عَرَقٌ مِّنْ جِسْمِهِ الْأَزْكَىٰ نَسَلْ
كفُّهُ شَثْنٌ حَرِيْرٌ نَاعِمٌ •• مَسُّهَا يَكْفِي مُعَانَاةَ الْعِلَلْ
كُلَّمَا مَسَّ لِشَاةٍ ضَرْعَهَا •• عَادَ فِيْهِ الدَّرُّ مِنْهُ وَاحْتَفَلْ
رِيقُهُ فِيْهِ نَمَاءٌ وَالشِّفَا •• فِيْ الْأَوَانِيْ حِيْنَ مَجَّ أَوْ تَفَلْ
أَوْ دَعَا لِلْغَيْثِ لَمَّا أُقْحِطُوْا •• أُطْبِقَتْ بِالْغَيْمِ وَانْهَلَّ الْهَطِلْ
فَارَ مِنْ أَيْدِيهِ مَاءٌ كُلَّمَا •• غَاضَ مَاءُ الْبِئْرِ وَامْتَصَّ الْوَشَلْ
أَوْ بَدَأَ عِنْدَ ابْتِسَامٍ سِنَّهُ •• أَبْرَقَ الظَّلْمَاءُ وَامْتَازَ السُّبُلْ
يَنْبَعُ الْمَاءُ يَفُوْرُ زَاخِرًا •• مِنْ يَدَيْهِ حِيْنَمَا الْمَاءُ يَقِلْ
تَسْتَقِي الْجَيْشُ الْمِئُوْنَ كُلُّهَا •• مَنْ تَوَضَّأَ مِنْهُمْ أَوِ اغْتَسَلْ
رَحْمَةً لِّلْخَلْقِ مَهْدَاةٌ لَّهُمْ •• تَشْمَلُ الْكُلَّ عَلَىٰ قَدْرِ الْعَمَلْ
كَانَ فِي الدُّنْيَا ظَلَامٌ مُسْبِلٌ •• لَيسَ لِلْأَنْوَارِ فِيْهَا مِنْ شَعَلْ
يَعْبُدُ الْأَقْوَامُ أَصْنَامًا لَّهُمْ •• بِسُجُوْدٍ وَّطَوَافٍ وَّرَمَلْ
كُلُّ قَوْمٍ عِنْدَهُمْ طَاغُوْتُهُمْ •• يَمْرِغُوْنَ عِنْدَهُ وَجْهًا أَذَلْ
مِنْهُمْ مَّنْ يَعْبُدُ الْعُزَّىٰ عَمًى •• مِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَغِيْثُ بِالْهُبَلْ
وَإِسَافُ رَبُّهُمْ أَوْ أُخْتُهَا •• يَعْبُدَانِ فِي الْحِمَىٰ وَالْزُّرْءُ جَلَّ

ثُمَّ بِالتَّثْلِيث ضَلَّــتْ عُصْبَةٌ •• يَجْعَلُـوْنَ الْابْــنَ لِلّٰهِ الْأَجَـلْ
خَفَّتِ الْأَحْلَامُ زَيْغًا شَبَّهُوْا •• بِإِلٰهِ الْخَلْـقِ مَـخْلُوْقًا ضَـؤُلْ
وَاسْتطَالَتْ عُصْبَةٌ فِيْ غَيِّهَا •• تُطْفِئُ الْأَنْوَارَ سَعْيًا لَّا كَلَلْ
حَرَّفُوْا التَّوْرَاةَ عَنْ تَنْزِيلِهَا •• غَيَّرُوْا مِنْهَا حُرُوفًا وَّجُمَلْ
بَدَّلُوْا الْأَحْكَامَ وَانْصَبُّوْا عَمًى •• لِلْكِفَاحِ بِالسُّيُوفِ وَالْأَسَلْ
عَانَدُوْا الْحَقَّ وَكَانُوْا كُلُّهُمْ •• يَعْرِفُوْنَ أَنَّهُ حَقٌّ نَزَلْ
ثُمَّ قَوْمٌ بِالْوُقُوْدِ تَنْتَمِيْ •• سَعَّرُوْا نَارًا لَهِيبًا تَشْتَعِلْ
مَا لِعُرْبٍ مُسْتَقَرٌّ فِي الْهُدَىٰ •• وَلِعُجْمٍ مُّسْتَرَاحٌ فِي الظُّلَلْ
عَمَّهُمْ مَقْتٌ وَّسَخْطٌ مَّا خَلَا •• مَنْ يُّقِيْمُ فِيْ مَغَارَاتِ الْقُلَلْ
فَاسْتَنَارَتْ إِذْ بَدَا أَنْوَارُهُ •• وَامْتَلَأْ بِالضَّوْءِ سَهْلٌ وَّجَبَلْ
قَدْ حَبَاهُ اللّٰهُ مُلْكًا وَّاسِعًا •• فَانْمَحَى الْأَدْيَانُ وَانْسَاخَ الدُّوَلْ
أَخْرَجَ الْأَوْثَانَ عَنْ بَيتِ الْهُدَىٰ •• وَانْمَحَتْ ظُلْمَاتُ عُزَّىٰ وَهُبَلْ
كُسِّرَ الصُّلْبَانُ عَنْ بِيْعَاتِهَا •• وَانْطَفَتْ نِيْرَانُ كِسْرَىٰ وَأَفَلْ
أَظْهَرَ الْآيَاتِ فِيْ نَشْرِ الْهُدَىٰ •• فَاسْتَقَامَ الْمَيْلُ وَانْسَدَّ الْخَلَلْ
كُلُّ إِعْجَازٍ بَدَأَ مِنْ قَبْلِهِ •• لِنَبِيٍّ أَوْ رَسُوْلٍ ذِيْ نَبَلْ
فَلَهُ فِيْ كُلِّ نَوْعٍ مِّثْلُهُ •• بَلْ وَأَعْلَى مِنْهُ أَبْهَىٰ وَأَجَلْ
ثُمَّ فَاقَ كُلَّهَا مَا قَدْ أَتَىٰ •• لَيْسَ يُحْصِيهَا كِتَابٌ أَوْ سِجِلْ
ثُمَّ مَا لَمْ يُؤْتَهُ مَنْ قَبْلَهُ •• لَا وَلَا فِيْهِ لِرَيْبٍ مُّدَّخَلْ

الصادعون بالحق

﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾

من إنتاج علمائنا الأسرى



قدر النبي ﷺ



الشيخ عبد العزيز الطريفي

فك الله أسره

وضلالُ من ضلَّ من الأمةِ في حق النبي ﷺ في بابين:

الأول: في تحريف سُنَّته، وحملِها على غيرِ مرادِه، ولم يكن ضلالهم بتكذيبه، وإنما بتأويل قوله، وتحريفِ لفظهِ أو معناه، ولهذا جاء في الكتاب والسنة التحذيرُ من هذا الضلال أكثر من التحذيرِ من تكذيبه، لعلم الله السابق بأن التأويلَ والتحريفَ أكثرُ وقوعاً في الأمةِ من الرد والتكذيب.

١. عبد العزيز الطريفي، الخراسانية في شرح عقيدة الرازيين، ص٢٣٣ وما بعدها. ط: دار المنهاج-الرياض، ط١.

الثاني: الغُلُّو فيه، وإنزالهُ فوق منزلته التي أعطاه الله إياها، فلا تُصرف إليه عبادةٌ بسؤال ما هو من خصائص الله، كاستغاثةٍ واستعانةٍ به، ولهذا نجدُ أن النصوص في السُنَّة في التحذيرِ من الغلو فيه، والنهي عن إطرائه، لعلم الله السابق أن ضلال الأمةِ بالغلوِ بالنبي ﷺ أكثر من في ضلالها بتنقصه.

ومن عادة الأئمة والمؤلفين في السُنَّة ـ ومنهم الرازيان ـ الكلام على فضل الصحابة، وعدم الكلام على فضل النبي ﷺ، لأنهم لا يتكلمون على أعظم المسائل، وإنما على ما تقوم الحاجة إليه.

وفضل الصحابة بفضل المُصَاحَبِ، وهو النبي ﷺ، وهكذا كلُ نبي، فمنزلة أصحابه بين أصحاب الأنبياء بحسب منزلة ذلك النبي بين الأنبياء، والأنبياء يتفاضلون، فكذلك أصحابهم، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]

وقال: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥]. وقيل: المراد بذكر الزَّبور كتاب داود: أن النبي ﷺ مكتوب فيه، إشارةً إلى أنه هو المراد بالتفضيل، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، قيل: إن المراد بذلك النبي ﷺ وأصحابه.



وقد جاء عن غير واحد من السلف: أن قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، المراد به: النبي ﷺ قاله الشعبي، ولقد ذُكِر صحابةُ النبي ﷺ في كثيرٍ من كتب الأنبياء السابقين بالتفضيل والتعظيم، مع النبي ﷺ، بينما نجد أن النبي ﷺ لم يَخصَّ أصحابَ نبيٍ من الأنبياء بالذكر والفضل، كما خَصُّوا هم أصحابَه بالتعظيم والتفضيل، وهذا يدل على فضل أصحاب النبي على سائر أصحاب الأنبياء. ولهذا جاء ذِكرُ الصحابةِ وفضلُهم، ونصرُهم للنبي ﷺ، في التوراة والإنجيل ، كما قال تعالى عن ذلك في القرآن:

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].



بل ورد ذكرهم، مع ذكر نبيه في كتب غيرِ التوراة والإنجيل - وكثير منها قبلهما ـ وقد وجدتُ كلاما من كتب منسوبة إلى أنبياء وحكماء في الهند، وهي قبل بعثة النبي ﷺ، وفيها مبثوث ذكر النبي ﷺ باسمه الصريح: «محمد»، واسم أمه، واسم أبيه، وذكر أوصافه: «محمود»، و«المهاجِر»، و«اليتيم»، و«أن أمه لم ترضعه»، و«أمير السلام»، و«يركب الجمال»، و«أنه آخر الرسل»، و«يأتيه الوحي في غار بالليل، في بلاد الأجانب، في أرض الصحراء»، وكذلك ذُكر أوصاف أصحابه ووصفهم بالصدق في الحديث، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن أربعة من أصحابه يُعِينونه، وهم الخلفاء.

"وهذا ليس في سياق واحد، في كتاب واحد، بل هو منثور في الكتب المنسوبة للنبؤات الهندية، بنوعيها: شروتي، وسمريتي، وفي الكتب البارسية، ككتب البارسيين في خُراسان، وفارس الأدنى، وفي الكتب البوذية المقدسة عندهم."

وهذا الذكرُ المتواترُ لهم لا شك أن له أصلاً، وإن لم يُجزم بمكانِه، وزمانِه، واسمِ نبيه، لكن تَواتُرَ ذلك وتعاقبُه في البلدان والزمان، مع اختلافِ الألسنِ: دليلٌ - مع فضلِ النبي ﷺ وعظمته - على فضلِ أصحابه وعظمتِهم. فكيف لا يُعظِّم أولئك الصحابةِ الكرام: أحدٌ يدَّعي أنه من أتباع محمد ﷺ، وقد جاء فضلهم ومدحُهم وتعظيمُهم، عند تلك الديانات مختلفة الأزمنة والأمكنة، والأجناس واللغات؟!



فالحق: أنه لا يُنكِر فضلَهم، أو يقعُ فيهم ويتنقصُهم، إلا من ليس له في الإسلام نصيب، ولا له عند الله ولي ولا نصير، ولا عند رسله منزلة ولا فضل، ولا عند أوليائه المؤمنين ولاء ولا كرامه!

ومن وجوه التفضيل: كثرةُ الخصائص التي يختص بها النبي عن غيره، وقد اختص النبي ﷺ بخصائص عن الأنبياء، أكثر من اختصاص غيره من بقية الأنبياء .

وأعظم تلك الخصائص: أن الله خصه بأعظم دين، وهو الإسلام، وبأعظم كتاب، وهو القرآن، وبأعظم أمة، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ولازم ذلك: أن يكون هو خير الأنبياء.

وقد جاءت خصائص أخرى كثيرة دون ذلك، منها ما في «الصحيحين»، من حديث جابر، قال ﷺ: «أُعطيتُ خمساً لم يعطهنّ أحدٌ من الأنبياء قبلي: نُصرتُ بالرعبِ مسيرة شهرٍ، وجُعلت ليَ الأرضُ مسجداً وطهوراً، فأيما رجلٌ من أمتي أدركته الصلاة، فليصلّ، وأُحِلَّت ليَ الغنايمُ، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصةً، وبُعِثتُ إلى الناس كافةً، وأُعطيتُ الشفاعة».

وهذه الخصائص تفرد بها النبي ﷺ، وهي من أدلة تفضيله، كما قال في «مسلم»، من حديث حذيفة: «فُضِّلْنا على الناس بثلاث»، وكما «مسلم» أيضا، من حديث أبي هريرة: «فَضِّلتُ على الأنبياء بست»، وزاد في حديث أبي هريرة على الخمس المذكورة: «أعطيت جوامع الكلم»، و«خُتِمَ بيَ النّبيون».

ولم يَذكر الشفاعةَ، فصارت سِتاً، وهي عند التحقيق في هذه الأحاديث أكثر، ولكن النبي ﷺ يذكر منها ما قامت الحاجة إلى ذكره عند قوله.



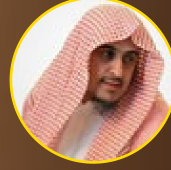
وخصائصُ النبي ﷺ كثيرة، ومنها ما يرد من غير ذكره في سياق عد الخصائص، وإنما الدليل يفيده، كما في «مسلم»، من حديث أنس: «أن الجنة لا تُفتح لأحدٍ قبله»، وأنه: «أكثر الأنبياء تبعا».

ومن وجوه تفضيله: عِظمُ معجزاتِه، وكثرتها على غيره من الأنبياء، ما أُعطِيَ نبيٌّ معجزةً إلا أُعطِيَ النبيُ ﷺ مثلَها أو أعظمَ منها.

وقد دل الدليل صريحاً على التفضيل في جملة من الأحاديث ، منها ما في «الصحيح»، من حديث أبي هريرة، قال: قال ﷺ: «أنا سيدُ ولدِ آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأولُ شافعٍ، وأولُ مشفعٍ» .

وقد نصَّ غيرُ واحدٍ من السلف على فضلِ النبي ﷺ على جميع الخلْقِ، والله أعلم بخلقه.

الاحتساب على شاتم سيد البشرية (٢/٢)



الشيخ إبراهيم السكران[1]

فكّ الله أسره

لم يختلف المسلمون، لا في المذاهب الأربعة ولا غيرها، أن «المسلم» إذا سب النبي حده القتل، وقد نقل الإجماعات كثير من أهل العلم، وقد نقل الإجماعات عدد من علماء القرن الثالث والرابع، ومن بعدهم.

فمن أهم المتقدمين الذين نقلوا الإجماع، الإمام محمد بن سحنون (ت٢٥٦هـ) وقد نقلها عنه ابن دحية في نهاية السول: (قال إمام أهل أفريقية محمد بن سحنون: أجمع العلماء على أن شاتم النبي -ﷺ- المتنقص له كافر، وحكمه عند الأئمة القتل، ومن شك في كفره وعذابه كفر) نهاية السول في خصائص الرسول: [ص٢٦١، تحقيق الفادني].

---

١. إبراهيم السكران، بحث: الاحتساب على شاتم سيد البشرية، موقع طريق الإسلام، رابط iswy.co/e16ot1 . وكنا نشرنا الجزء الأول في العدد الماضي.

وهذا النقل الذي نقله ابن دحية عن ابن سحنون، قد يكون من رسالة ابن سحنون التي ذكرها أهل التراجم عنه، فقد قال ابن فرحون عن مؤلفات ابن سحنون (ذكر تأليفه: ألف ابن سحنون .. ورسالة فيمن سب النبي ﷺ)[الديباج المذهب: ص ٢٣٦]. والله أعلم بحقيقة الحال.



وقال أبو بكر الفارسي من متقدمي الشافعية (ت٣٠٥هـ) في كتاب صنفه في مسائل «الإجماع» (حد من يسب رسول الله - ﷺ - القتل [نهاية المطلب للجويني:١٨/٤٦]. ونص أبو بكر الفارسي على أن هذه من مسائل الإجماع.

ومنهم الإمام الجليل المعروف ابن المنذر (ت ٣١٩هـ)، وهو من أشهر من اعتنى بنقل فقه طبقتي «الصحابة والتابعين» بشكل خاص، حيث يقول ابن المنذر: (ت ٣١٩هـ) رحمه الله في كتابه الذي صنفه في الإجماع: (أجمع عوام أهل العلم على أن حد من سب النبي - ﷺ- القتل)[الإجماع لابن المنذر:٢/٥٨٤، تحقيق الجبرين].

وقال الخطابي (ت ٣٨٨هـ): (ساب النبي - ﷺ - مقتول، ولا أعلم أحداً من المسلمين اختلف في وجوب قتله) [معالم السنن: ٣/٢٩٦]. وقال عالم المغرب القاضي عياض اليحصبي (ت٥٤٤هـ) ما نصه: (أجمعت الأمة على قتل متنقص النبي من المسلمين، وسابه)[الشفا: ٢/٤٦٧].

وقال ابن تيمية (ت٧٢٨هـ): (الساب إن كان مسلما: فإنه يكفر، ويقتل بغير خلاف، وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم، وقد تقدم ممن حكى الإجماع على ذلك) [الصارم المسلول على شاتم الرسول: ص٤].

وقال السبكي (ت٧٥٦هـ) (**الفصل الأول:** في وجوب قتله، وهو مجمع عليه .. ومن استقرأ سير الصحابة، تحقق إجماعهم على ذلك، فإنه نقل عنهم في قضايا مختلفة منتشرة، يستفيض مثلها، ولم ينكره أحد [السيف المسلول على من سب الرسول: ص١١٩-١٢٢، تحقيق إياد الغوج].



وهذا الإجماع على (قتل المسلم الذي سب النبي ﷺ) مستقر في المذاهب الأربعة لأهل السنة، وانظر على سبيل المثال:

- المذهب الحنفي (مجمع الأنهر: ١/٦٧٧)
- المذهب المالكي (البيان والتحصيل:١٦/٣٩٨)
- المذهب الشافعي (نهاية المطلب:١٨/٤٦)
- المذهب الحنبلي (شرح المنتهى: ٣/٣٩٤)

وغيرها، وهذه مجرد نماذج.

ولست بحاجة لنقل اقتباساتهم، لأن المسألة أصلاً محل إجماع، ولا مخالف في أصل المسألة، لا من أهل العلم السابقين، ولا المعاصرين.

وبسبب ظهور هذه المسألة وشهرتها، أعني قتل ساب النبي ﷺ، فقد بوب عليها أهل الحديث في مصنفاتهم في السنة النبوية:

- ومن ذلك أن البخاري قال في صحيحه: (باب إذا عرض الذمي وغيره بسب النبي ﷺ) [البخاري: **٦٩٢٦**].
- وقال أبو داود في سننه: (باب الحكم فيمن سب النبي ﷺ) [ابوداود: **٤٣٦١**].
- وقال النسائي في سننه: (الحكم فيمن سب النبي ﷺ) [النسائي: **٤٠٧٠**].

صلوا عليه وسلموا تسليما، صلى الله عليه وسلم

وقبل هؤلاء قال عبد الرزاق (ت٢١١هـ) في مصنفه: (باب من سب النبي -ﷺ- كيف يصنع به؟) [المصنف: **٥/٣٠٧**].

وقال ابن أبي شيبة (ت٢٣٥هـ) في مصنفه: (قتل من يشتم الرسول ﷺ) [المصنف: **٧/٣٠١**].

وإفراد أهل الحديث، وأهل الفقه، لمسألة (سب الرسول ﷺ) من بين مسائل الردة، وفي وقت مبكر، ونقلهم الآثار الخاصة فيها، يدل على اختصاصها والتشديد في شأنها، وأنها ليست داخلةً في مفهوم الردة بالعموم فقط، بل فيها أدلة خاصة، واعتبارات خاصة، فهي عقوبة مستقلة في الفقه الإسلامي.

حسناً .. دعنا ننتقل الآن لحكم توبة ساب النبي ﷺ

توبة ساب النبي: هل تقبل قضاءً أم ديانةً؟ ما معنى التمييز بين القضاء والديانة؟ تفريق الفقهاء بين (القضاء والديانة) هو أحد أهم أدوات الفقهاء العبقرية في توزيع دلالات النصوص بشكل علمي.

فالديانة: هي ما بين العبد وربه، مبنية على الأمور الباطنة والظاهرة سوياً، والقضاء: هو ما يحكم به بين العباد أنفسهم بحسب البينات الظاهرة فقط.

فإذا تطابق الظاهر والباطن، اجتمع حكم الديانة والقضاء، وإذا افترق الظاهر والباطن، افترق حكم الديانة مع القضاء.

والأصل في التمييز بين الديانة والقضاء، هو قول النبي ﷺ:

«إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وأقضي له على نحو ما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئًا فلا يأخذ، فإنما أقطع له قطعةً من النار» [رواه البخاري :٦٩٦٧].

فبين رسول الله ﷺ انفكاك الجهة بين الديانة والقضاء، وأن النبي نفسه قد يحكم (قضاءً) بأمر ما بناءً على الظاهر، ومع ذلك لا يجوز للمحكوم له أخذه (ديانةً)، إذا كان ثمة أمور باطنه تخالف هذا الظاهر، والباطن علمه إلى الله.

ففي مسألتنا: هل توبة ساب النبي تقبل قضاء وديانة؟ أم ديانة فقط؟

ذهب جماهير أهل العلم أن (ساب النبي) لا تقبل توبته قضاءً، وتقبل ديانةً بينه وبين الله، لأن فيها حق للنبي ﷺ، وحق النبي لا يملك أحد من الناس التنازل عنه، وسأنقل نماذج لنصوص الفقهاء في المذاهب الأربعة على ذلك:

قال الحصكفي الحنفي: (والكافر بسب نبي من الأنبياء، فإنه يقتل حداً، ولا تقبل توبته مطلقاً، ولو سب الله تعالى قبلت، لأنه حق الله تعالى، والأول حق عبد لا يزول بالتوبة [الدر المختار مع حاشيته:٤/٢٣٢].

وقال ابن الهمام الحنفي: (كل من أبغض رسول الله - ﷺ - بقلبه كان مرتداً، فالسباب بطريق أولى، ثم يقتل حداً عندنا، فلا تعمل توبته في إسقاط القتل) [فتح القدير : ٦/٩٨].

وقال ابن نجيم الحنفي: (وقوله «لا يتعرض له» إنما هو في مرتد تقبل توبته في الدنيا، أما من لا تقبل توبته، فإنه يقتل، كالردة بسب النبي ﷺ) [الأشباه والنظائر ص ١٥٩].



وقال ابن الهمام الحنفي: (كل من أبغض رسول الله - ﷺ - بقلبه كان مرتداً، فالسباب بطريق أولى، ثم يقتل حداً عندنا، فلا تعمل توبته في إسقاط القتل) [فتح القدير : ٦/٩٨].

وقال ابن نجيم الحنفي: (وقوله «لا يتعرض له» إنما هو في مرتد تقبل توبته في الدنيا، أما من لا تقبل توبته، فإنه يقتل، كالردة بسب النبي ﷺ) [الأشباه والنظائر ص ١٥٩].

وقال ابن أبي زيد القيرواني المالكي: (ومن سب رسول الله - ﷺ – قتل، ولا تقبل توبته [الرسالة مع حاشية النفراوي: ٢/٢٠٢].

وقال ابن رشد الجد المالكي: (قال ابن القاسم: ومن سب رسول الله - ﷺ - أو شتمه أو عابه أو نقصه، فإن كان مسلماً قتل، ولم يستتب، وميراثه لجماعة المسلمين) [البيان والتحصيل:١٦/٤١٣].

وقال خليل في مختصره المعتمد عند المالكية: (ومن سب نبيا أو لعنه أو عابه أو قذفه أو استخف بحقه أو غير صفته أو ألحق به نقصاً، أو غض من مرتبته قتل ولم يستتب حدًا) [مختصر خليل:٢٣٩]

وقال أبو بكر الفارسي من متقدمي الشافعية في كتاب الإجماع: (لو تاب، لم يسقط القتل عنه، فإن حد من يسب رسول الله -ﷺ- القتل، فكما لا يسقط حد القذف بالتوبة، فكذلك لا يسقط القتل الواجب بسب النبي -ﷺ- بالتوبة [نقلاً عن نهاية المطلب للجويني:١٨/٤٦].

وقال البهوتي الحنبلي (أو سب رسولاً... فلا تقبل توبته) [شرح المنتهى: ٣/٣٩٩].

ومما ينبغي التنبيه له: أن هذه المسألة (عدم قبول توبة ساب النبي قضاءً) ليست من مسائل الإجماع، فقد خالف فيها علماء أجلاء من متأخري الشافعية خصوصاً، وبعض متأخري الحنفية، وممن أشار لذلك المصنفون للرسائل المفردة في مسألة سب النبي ﷺ.



ومنهم: السبكي في رسالته (السيف المسلول على من سب الرسول ص١٦١، تحقيق إياد الغوج). أيضاً: ابن عابدين في رسالته (تنبيه الولاة والحكام على أحكام شاتم خير الأنام:ص١/٣٠٠) وهو مطبوع ضمن مجموع رسائل ابن عابدين.

والحقيقة أن من نقل عنه قبول توبة ساب التي قضاءً -بحسب ما أعلم- هو الإمام أبو يوسف، حيث قال في كتابه المشهور الخراج (وأيما رجل مسلم سب رسول الله -ﷺ- أو كذبه أو عابه أو تنقصه؛ فقد كفر بالله، وبانت منه زوجته؛ فإن تاب وإلا قتل) [الخراج، لأبي يوسف: ص١٨٢، طبعة دار المعرفة].

فنص رحمه الله على الاستتابة لساب النبي -ﷺ- وهذا النص لأبي يوسف لم أكن اطلعت عليه، وإنما نبهني عليه ابن عابدين في رسالته المشار إليها قبل قليل (تنبيه الولاة والحكام على أحكام شاتم خير الأنام)، ورجعت لكتاب أبي يوسف، ووجدت النص كما ذكر ابن عابدين، لأنني لم أجده مشهوراً معروفاً، بل لقد نقل عن أبي يوسف قول آخر مخالف لهذا، وهو تخييره بين (الاستتابة) و (التوبة) فمنع الاستتابة، وقبل التوبة كمانع، والله أعلم بالحقيقة، وقد تعجبت منه.

والذي يظهر لي – والله أعلم بحقيقة الأمر- أن قول أبي يوسف هذا مرجوح، وأن قول جماهير أهل العلم في أن توبة ساب النبي -ﷺ- لا تقبل قضاءً هو الراجح، لقوة أدلتهم، والتي سنشير لاحقاً لبعضها، والعبرة في الخلافيات بالمرجحات لا بالتخيير المحض.

والمراد أن هناك فرق بين مسألة (قتل المسلم الذي سب النبي)، وهي مسألة إجماعية، وبين مسألة (عدم قبول توبة ساب النبي قضاءً)، وهي مسألة ليست إجماعية، وإنما هو قول جماهير أهل العلم، فلا بد من معرفة وزن المسائل، حتى تعرف منزلة المخالف، فمن خالف في عدم قبول توبة ساب النبي فقوله مرجوح مخالف للأدلة.

- هل هناك نظائر فقهية لعدم قبول توبة الساب قضاءً؟:

البعض يقول: إن القاعدة المعروفة في الشريعة أن «التوبة تجب ما قبلها» فكيف لا تقبل توبة الساب؟، والحقيقة أن هؤلاء الذين يستغربون قول جماهير الفقهاء، لم يتفطنوا للتمييز الفقهي بين (القضاء والديانة)،وسأذكر هاهنا أمثلة:

- لو أن شخصاً قتل آخر، ثم قال للقاضي إنه تائب ونادم، فهل تقبل توبته قضاءً؟

الجواب: لا بالطبع، فتوبته بينه وبين ربه، ولكن القصاص واجب إلا إن عفا أولياء الدم، لأن هذا حق آدميين.

وهكذا: لو أن شخصاً سرق أموال المسلمين، ثم قال للقاضي أنه تائب، فهل تقبل توبته قضاء؟

الجواب: لا، بل توبته بينه وبين الله، ولكن الحد يمضي قضاءً، لأن هذا حق آدميين. - وهكذا: لو أن شخصاً قذف مسلماً، أو تلفظ عليه، أو طعن فيه بما ليس فيه، فلما وصل الأمر للقضاء قال: أنا تائب ونادم، وأعتذر للمقذوف، فهل تقبل توبته قضاءً؟ الجواب: لا، بل توبته بينه وبين الله، وحق الشخص المقذوف أو المطعون فيه بما ليس فيه لا يسقط، بل يحد للقذف، ويعزر للتلفظ، باعتباره حق آدمي لم يعف.

وهكذا في نظائر جنائية كثيرة، تكون التوبة مؤثرة ديانةً بين الجاني وربه، أما القضاء، فيجب أن يأخذ مجراه.

وقد أشار الفقهاء لذلك كثيراً، وسأعرض عينة واحدة، فمن ذلك أن النفراوي لما تعرض لعدم قبول توبة الساب قضاءً، قال في تعليل ذلك: (ولا تقبل توبته -أي ساب النبي - سواء تاب بعد الاطلاع عليه، أو جاء تائباً من قبل نفسه قبل الاطلاع عليه، لأنه حد وجب، والحدود تجب إقامتها بعد ثبوت موجبها، ولو تاب المستحق لها، كالزاني والشارب والقاتل والسارق [الفواكه الدواني: ٢/٢٠٢].



ضوابط منهجية
لعرض السيرة النبوية



د. محمد موسى الشريف[1]

فك الله أسره

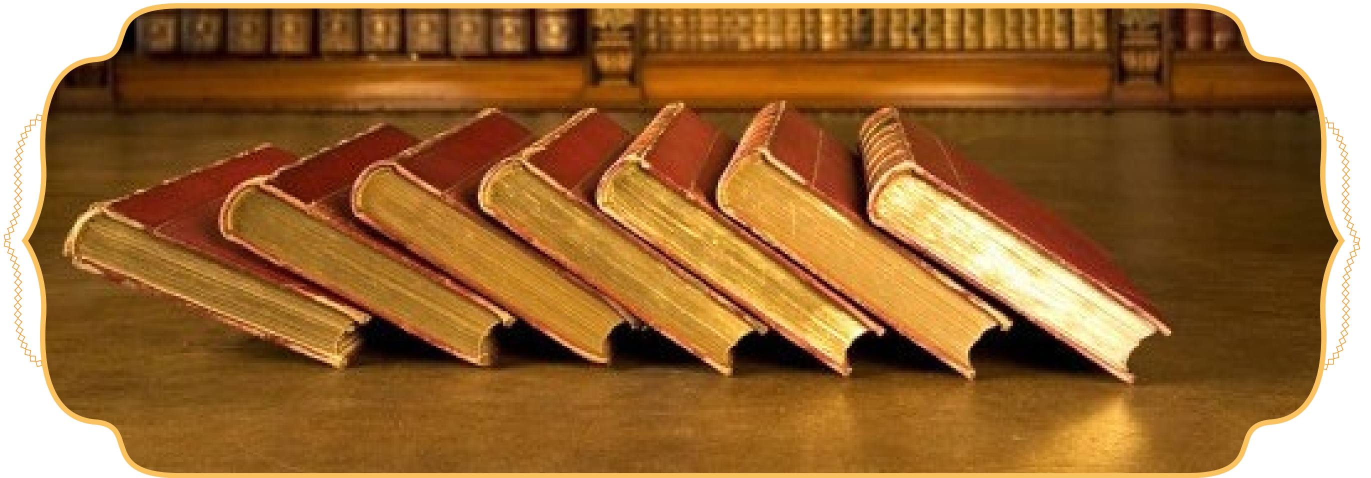
إن هناك عقدة مستحكمة عند بعض مَن كَتب في التاريخ الإسلامي عامة والسيرة والصدر الأول خاصة، ألا وهي تبرير بعض الأحداث تبريراً واهياً، والاعتذار عن بعضها الآخر اعتذاراً ضعيفاً، وإنما يصنع هذا من صنعه فراراً من اللوم والتقريع من قِبل المستشرقين أو اللا دينيين، أو تحكيماً للعقل المجرد، أو لأنه لم يستطع أن يجعل الحدث الذي يسوقه متفقاً مع القواعد الشرعية والضوابط والمقاصد كما يفهمها، فلجأ إلى التبرير أو الاعتذار.

---

١. محمد موسى الشريف، دراسات تاريخية منهجية نقدية، (ص٤٨٧- ٤٩٢).

فبعض الكُتّاب قد ذهب إلى أن غزوة تبوك التي جرت في أطراف الجزيرة الشمالية بين النبي ﷺ وصحبه الكرام وبين الروم لكن - لم يقع قتال - ذهب إلى أنها دفاع عن الحدود الشمالية لدولة الإسلام، وأن الجهاد إنما هو جهاد دفع ولم يجعل لجهاد الطلب مكاناً في تاريخ الإسلام!

واعتذر بعضهم عن تزوج النبي ﷺ بجملة من النساء، وبرر ذلك تبريراً ضعيفاً واعتذر عن جملة من الأمور كان ينبغي له أن يعتز بها لا أن يعتذر عنها: «إن ما شرعه الإسلام من الجهاد وغيره حق لا يحتاج إلى اعتذار أو تبرير، حتى لو بدا ذلك غريباً أمام الذهنية المهيمنة على الناس في القرن العشرين، لأننا لا نطوع الإسلام وتاريخه لأذواق الناس واتجاهاتهم الفكرية في عصر معين؛ فما يحبذه الناس في عصر قد ينكرونه في عصر آخر، وما يحسبه أبناء بلدة حسناً يراه سواهم منكراً، والحكم لله ولشرعه وليس لأذواق الناس وأهوائهم، والله غالب على أمره». [السيرة النبوية الصحيحة، ٣٧-٣٨]



مزج أخبار السيرة بالعاطفة

إن المرء ليقرأ بعض كتب السيرة فإذا هي أخبار مسرودة على وجه خالٍ من التفاعل والعاطفة، وكأن الكاتب يسرد حقائق علمية طبيعية، أو أخباراً لحوادث ووقائع لا تمت لتاريخه ودينه ولمرحلة عظمى من تاريخ الإسلام بصِلة، وهذا واقع في كثير من كتب المعاصرين وبعض كتب الأقدمين، وربما كان هذا بسبب غلبة المنهج العلمي الجاف في الكتابة الحديثة.

ولابد في تقديري من كتابة الأخبار النبوية بلغة الحب والعاطفة والأدب الرقيق، ومزجها بالتعبيرات التي تنم عن حب وإجلال وتعظيم، والوقوف بين الفينة والأخرى بين تلك المعاني، والتعليق على جمال تلك المعاني،

والتعريج على القلب قبل الكتابة، وتبيين العظمة النبوية وتلك السيادة، وهذا من أجل أن يتفاعل القارئ مع ما يقرأه، ويعتبر بتلك العبر والعظات.

وقد قرأت كتباً في السيرة الشريفة المطهرة، وأقول والله أعلم إني لم أقرأ قط مثل الذي كتبه الأستاذ سيد رحمه الله تعالى في ظلاله مفسراً ومعلقاً على بعض أحداث السيرة، ومثل الذي كتبه الأستاذ محمد الغزالي رحمه الله تعالى في كتابه «فقه السيرة»، ومثل الذي كتبه الأستاذ أبو الحسن الندوي إلا في بعض كتبه عن بعض الجوانب من سيرة النبي ﷺ، وإنما كان هذا لأن لغة الكتابة راقية، والعواطف جياشة بالمحبة، وكثير من الكلمات تقطر رقة وحناناً، وهذا مطلوب في كتابة السيرة، ومرغوب فيه؛ لأنه يدغدغ المشاعر، ويوقظ العواطف، ويحدث الاستجابة، ويحرك القلوب لاستقبال الموعظة والتوجيه والإرشاد.



وليس هذا بدعاً من القول، أليس هذا هو منهج القرآن الذي أورد آيات الأحكام على هيئة فريدة؟ فقد سبق أكثرها قول الله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) ، وختمت بخاتمة مناسبة للسياق، ووردت مورد التذكير والحض والوعظ، ولم تُسَق مساق القوانين الجامدة، أو الأنظمة الجافة.

الإيجاز مع التشويق

إن نمط الحياة المعاصرة قد فرض على كثير من الصالحين والعاملين والمثقفين أن يقلوا من قراءتهم فلم يبقَ لهم من الوقت للقراءة إلا النزر اليسير، فعلى من يريد أن يكتب في السيرة النبوية أن يراعي هذا الأمر فيأتي بها موجزة ليست طويلة طولاً يمنع من قراءتها ولا قصيرة قصراً مُخلاً بأحداثها، وأن يأتي بها مشوقة مشجعة على القراءة.

هذا ومن أساليب التشويق ما يلي:

١- الاهتمام بالعبر والعظات وسوقها مقرونة مع مع الأحداث.

٢- حُسن التقسيم والتبويب، واجتناب السرد الطويل إلا لما لا بد منه، ويمكن تفريق النص الطويل والتعليق على أجزائه.

٣- جمال العبارة وحُسن الأسلوب، والاستعانة قدر الإمكان بنصوص الأوائل فإنهم رُزقوا ملكة التعبير الحسن والأسلوب الجليل، ورب عبارة يأتي بها الواحد من أولئك تترك من الأثر ما لا تتركه صفحة من صفحات كتب مَن بعدهم.



٤- جمال الطباعة وحسن الخط.

٥- الاقتباس من كتابات أهل العاطفة الجياشة، كما بينت ذلك في الضابط السابق، وذلك لما لحديث العواطف من قبول في القلوب والعقول.

شمول العرض لأحداث السيرة كلها

إن السيرة النبوية هي عرض لحياة سيد البرية، وهي حياة شاملة في جوانبها؛ ففيها:

- **القيادة الدينية:** التشريع والإفتاء والقضاء والإمامة وتعليم القرآن.

- **وفيها القيادة السياسية:** قيادة الدولة والشورى، والتعامل مع القوى الأخرى داخل الجزيرة وخارجها.

- **وفيها القيادة الاجتماعية:** توثيق العلاقات بأفراد المجتمع، وفض النزاعات.
- **وفيها القيادة العسكرية:** وضع الخطط، وتولي قيادة المعارك، والتوجيه، والإشراف.
- **وفيها القيادة الدعوية:** النصح، والإرشاد، وتحريك المجتمع للعمل لدين الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفيها معالم الأخلاق الحميدة كلها، وفيها جوانب إيمانية وروحانية لا مثيل لها ولا مزيد عليها، وفيها الحياة الأسرية السعيدة الشاملة للأزواج والأولاد والأحفاد.



وهكذا نجد أن جوانب حياته ﷺ فيها شمول لكل جوانب الحياة على وجه غير مسبوق؛ إذ ليس لنبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبله هذا الشمول، فيما نعلم، ولا ما يقاربه؛ وذلك لحِكَم، منها أن الله تعالى أراد لهذه الرسالة أن تكون خاتمة الرسالات، وأراد سبحانه أن تكون صالحة لكل زمان ومكان، فلا بد إذن أن يكون لصاحب هذه الرسالة المشاركة في جوانب الحياة كلها بل رفعها إلى قمة سامقة لم تكن البشرية تعرفها من قبل. ولهذا فإن من يريد التأليف في السيرة اليوم لا بد له من تناول حياة النبي ﷺ على هذا الوجه من الشمول، وعلى تلك الدرجة من الرفعة، فلم يعد يصلح اليوم في ظني - والله أعلم - أن تساق أحداث السيرة سوق الأقدمين لها كابن إسحاق وابن هشام وابن سعد وأضرابهم رحمهم الله تعالى، ممن ساقوا أحداث السيرة مساقاً تاريخياً حولياً مجرداً من التعريج على كثير مما ذكرته آنفاً من جوانب الشمول في سيرته ﷺ.

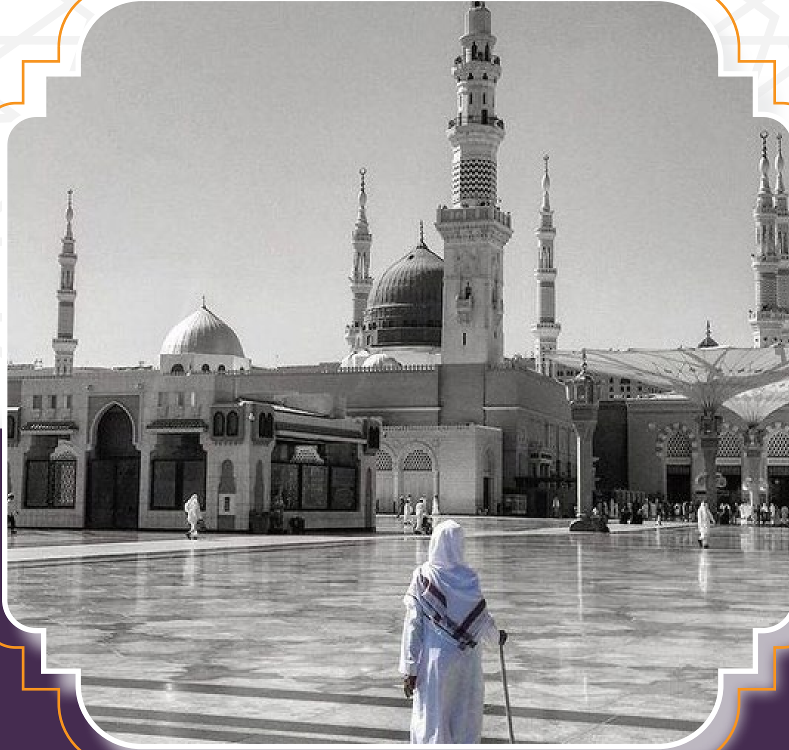
وكذلك لم يعد مناسباً في ظني، والله أعلم أن تثبت جوانب معينة من السيرة في الحركة والتربية والفقه والعظات منزوعة من سياقها التاريخي الكامل، بل لا بد من مؤلَّف يجمع كل جوانب السيرة المطهرة مهما كان هذا المؤلف ضخماً متعدد الأجزاء؛ وذلك أنه لا غِنى لنا عن فَهم السيرة فهماً شاملاً لكل جوانبها بدون تجزئة.

لك الله يا رسول الله!



أ.د/ محمود شعبان[1]

فكّ الله أسره



لك الله يا رسول الله، في أمةٍ تدين بلا إله إلا الله، محمد رسول الله، وتخاذلت عن نصرة رسول الله، لك الله يا رسول الله في أمةٍ تحرَّكُ وتَغضَبُ للبشر، ولا تغضب لسيد البشر ﷺ.

لك الله يا رسول الله، في أمةٍ تَتَّبِعُك، وتدَّعي حبَّك، وتتمنى أن تلقاك على الحوض، وأن تسعدَ بشفاعتك صلوات الله وسلامه عليك، وهي الأمةُ المنصرفة عن سُنته، التاركة لنصرته، وهي الأمة مع كل ذلك، التي تدّعي حَّبك صلوات الله ربي وسلامه عليك.

---

١. المقال مُختَصر من خطبة د.محمود شعبان «لك الله يا رسول الله»، موقع (يوتيوب)، رابط إلكتروني: bit.ly/3MSapcG

سُبَّ رسول الله وأُوذيَ، وما تحرَّك الرجال من خلق الله إلا فيما ندر، تحركاً لا يوافي حق رسول الله ﷺ. لك الله يا رسول الله، سُبِبتَ من أعداء الله، في أرض تحركت لفنانات وفنانين، ولم يتحركوا لمّا أوذي سيد المرسلين.

تحركت الدنيا بأسرها دفاعاً عن أهل الفن والفُجر فيما قدموا من عريٍ، ولكنهم هم لم يتحركوا لرسول الله ﷺ؛ فخرجوا يدلِّسُون في دين الله، ويكِيلون الاتهامات للدعاة إلى الله، بل يدلِّسُون في كتاب الله، فكان مما قالوا إن الله عز وجل يقول: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥] وأنتم أيها الدعاة: ما دعوتم لا بالحكمة، ولا بالموعظة الحسنة!



قلنا لهم: لقد دلَّستُم في كتاب الله، فنحن لم نكن في موطن دعوة إلى الله، بل كنا في موطن دفعٍ عنا، وعن دين الله، والله عز وجل الله يقول: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]

بدأ الآية بالدعوة، إشارة إلى أن هذا طريق الدعاة، أما نحن، فالذي يحق فينا هو قول الله سبحانه: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨] لأننا كنَّا في موطن دفعٍ.

يا من غضبتم للفنانين، لماذا لم تغضبوا لسيد المرسلين، ﷺ؟ ألا يوازي في الحق والمكانة مَن غضبتم لهم؟!



لماذا لم تغضب الأمة لرسول الله؟

لأنها انحرفت عن منهج الله، وتركت الاقتداء برسوله، وما امتلأت قلوبها بحب رسول الله، وإنما كان حبها قولاً، أصبح حُبنا لرسول الله كلاماً نَدَّعيه صباح مساء، ولا دليل عليه من فعلٍ أو قولٍ، فإيماننا كلامٌ، وإسلامُنا كلامٌ، وحبّنا كلامٌ، لم نقْرن ذلك بالحب الفعلي الذي يُدلّل عليه بالقول الذي يتبعه عمل.

كيف نعرف حق رسول الله ﷺ علينا؟

إن أردنا أن نعرف حق رسول الله علينا بضوابطه الشرعية، فأعِرني قلبك وسمعك، لتحرز نفسك من نار أعدها الله للمتخاذلين عن نصرة رب العالمين وسيد المرسلين ﷺ.

يقول الله عز وجل في كتابه: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنعام: ١٠] تلك سنة كونية، يذكرها ربنا في قرآنه في سورتين بنفس اللفظ:

في سورة الأنعام: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنعام: ١٠]. وفي سورة الأنبياء: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنبياء: ٤١]

وبعد الأولى يقول: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام: ١١]، وبعد الثانية يقول: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٢].

الآية تخبرك أن الله ينتقم ممن استهزأ بنبيه، أو بأنبيائه، ثم تخاطب أهل الأرض قائلة لهم في الأولى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا﴾ اعتبروا بعاقبة من كذّب اللهَ ورسولَه، اعتبروا بعاقبة من أساء إلى الله ورسوله.

وفي الثانية بعدها يقول: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾، مَن يحفظكم من الرحمن بعد أن أسأتم للنبي العدنان؟ كيف تخيلون أنكم مِن عقاب الله محفوظون؟ إن الذي سيعاقب هو الله، فإن أفلتّم من عقاب المؤمنين الضعفاء في الدنيا، فإن الذي سيعاقبكم، هو خالق الأرض والسماء، في الدنيا والآخرة.

إن الله تكفل بحفظ نبيّه، فقال: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥]

أي لا يستطيعون أن ينالوا منك حال حياتك، ولا أن يصلوا إلى قتلك، فالله يعصمك من الناس، لكن بعد وفاتك، أتباعُك وأحبابُك المؤمنون بك نبياً، عليهم حقٌ في رقبتهم تجاهك يا رسول الله.



حُكم من سبّ الرسول

فما هو حق النبي علينا يوم يُسَب من أعدائنا؟ يقول ابن تيمية في (الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ): «أجمع أهل العلم من سلف هذه الأمة – أي الصحابة والصدر الأول – أن شاتم النبي المنتقص له كافر، والوعيد جارٍ عليه بعذاب الله، وحكمه عند الأمة القتل، ومَن شكّ في كفره وعذابه كَفَر، مسلماً كان أو كافراً.

قال لأنه لو كان مسلماً: فإن سبَّه للنبي ردة، يستتاب ثلاثاً، فإن رجع، وإلا قُتِل كفراً ولا يقتل حداً. وإن كان نصرانياً: وإن كان ذمياً أو معاهداً فإنَّ سبَّه للنبي نَقْضٌ للعهد معه، ومع أمته يبيح قتله. قال وإن كان كافراً:

فإنَّ سبَّه للنبي ﷺ أصبح به محارباً حلال الدم، وردت النصوص الشرعية، والسنة الفعلية على ذلك. ويستدل ابن تيمية بآياتٍ وأحاديث كثيرةٍ.

الدليل من القرآن على كفر مَن سب الرسول

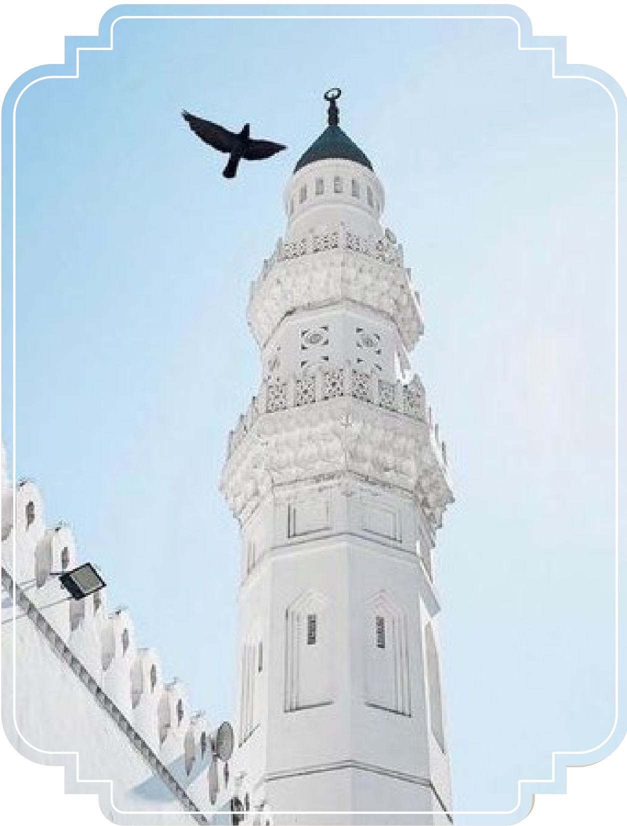
ويستدل ابن تيمية من القرآن بقول الله عز وجل: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ١١].

يتحدث القرآن عن قوم خرجوا من الإسلام، ويشترط عليهم للعودة للإسلام أن يتوبوا ويُقيموا الصلاة ويُؤتوا الزكاة: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ * أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢-١٤].

الأعمى يقتل أم ولده انتصاراً للرسول

اسمع لتعلم حق رسول الله عليك، لكي لا يُدَلَّس ولا يُكذَب عليك باسم الدين والحكمة:

عن عِكْرِمَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ، أَنَّ أَعْمَى كَانَتْ لَهُ أُمُّ وَلَدٍ تَشْتُمُ النَّبِيَّ ﷺ وَتَقَعُ فِيهِ، فَيَنْهَاهَا فَلَا تَنْتَهِي، وَيَزْجُرُهَا فَلَا تَنْزَجِرُ، قَالَ: فَلَمَّا كَانَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ، جَعَلَتْ تَقَعُ فِي النَّبِيِّ ﷺ وَتَشْتُمُهُ، فَأَخَذَ الْمِغْوَلَ فَوَضَعَهُ فِي بَطْنِهَا، وَاتَّكَأَ عَلَيْهَا فَقَتَلَهَا، فَوَقَعَ بَيْنَ رِجْلَيْهَا طِفْلٌ، فَلَطَّخَتْ مَا هُنَاكَ بِالدَّمِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ ذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَمَعَ النَّاسَ فَقَالَ: أَنْشُدُ اللَّهَ رَجُلًا



فَعَلَ مَا فَعَلَ لِي عَلَيْهِ حَقٌّ إِلَّا قَامَ، فَقَامَ الْأَعْمَى يَتَخَطَّى النَّاسَ وَهُوَ يَتَزَلْزَلُ حَتَّى قَعَدَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا صَاحِبُهَا، كَانَتْ تَشْتُمُكَ وَتَقَعُ فِيكَ، فَأَنْهَاهَا فَلَا تَنْتَهِي، وَأَزْجُرُهَا فَلَا تَنْزَجِرُ، وَلِي مِنْهَا ابْنَانِ مِثْلُ اللُّؤْلُؤَتَيْنِ، وَكَانَتْ بِي رَفِيقَةً، فَلَمَّا كَانَ الْبَارِحَةَ جَعَلَتْ تَشْتُمُكَ، وَتَقَعُ فِيكَ، فَأَخَذْتُ الْمِغْوَلَ فَوَضَعْتُهُ فِي بَطْنِهَا، وَاتَّكَأْتُ عَلَيْهَا حَتَّى قَتَلْتُهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَلَا اشْهَدُوا أَنَّ دَمَهَا هَدَرٌ»[٢].

والشاهد قول النبي ﷺ: «أَلَا اشْهَدُوا أَنَّ دَمَهَا هَدَرٌ» فقد أهدر النبي دمها، لأنها سبته ﷺ.

اغتيال كعب ابن الأشرف بسبب سبه للرسول ﷺ

وحديث جابر بن عبد الله: «قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟ فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأْذَنْ لِي أَنْ أَقُولَ شَيْئًا، قَالَ: قُلْ.



فَأَتَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ سَأَلَنَا صَدَقَةً، وَإِنَّهُ قَدْ عَنَّانَا وَإِنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ أَسْتَسْلِفُكَ، قَالَ: وَأَيْضًا وَاللَّهِ لَتَمَلُّنَّهُ، قَالَ: إِنَّا قَدِ اتَّبَعْنَاهُ، فَلَا نُحِبُّ أَنْ نَدَعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ شَأْنُهُ، وَقَدْ أَرَدْنَا أَنْ تُسْلِفَنَا وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ - وحَدَّثَنَا عَمْرٌو غَيْرَ مَرَّةٍ فَلَمْ يَذْكُرْ وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ أَوْ: فَقُلْتُ لَهُ: فِيهِ وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ؟ فَقَالَ: أُرَى فِيهِ وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ - فَقَالَ: نَعَمِ، ارْهَنُونِي، قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ تُرِيدُ؟ قَالَ: ارْهَنُونِي نِسَاءَكُمْ، قَالُوا: كَيْفَ نَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا وَأَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ، قَالَ: فَارْهَنُونِي أَبْنَاءَكُمْ، قَالُوا: كَيْفَ نَرْهَنُكَ أَبْنَاءَنَا، فَيُسَبُّ أَحَدُهُمْ، فَيُقَالُ: رُهِنَ بِوَسْقٍ أَوْ وَسْقَيْنِ، هَذَا عَارٌ عَلَيْنَا، وَلَكِنَّا نَرْهَنُكَ اللَّأْمَةَ - قَالَ سُفْيَانُ: يَعْنِي السِّلَاحَ - فَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ.

٢. رواه أحمد وغيره.

فَجَاءَهُ لَيْلًا وَمَعَهُ أَبُو نَائِلَةَ، وَهُوَ أَخُو كَعْبٍ مِنَ الرَّضَاعَةِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الحِصْنِ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: أَيْنَ تَخْرُجُ هَذِهِ السَّاعَةَ؟ فَقَالَ إِنَّمَا هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، وَأَخِي أَبُو نَائِلَةَ، وقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو، قَالَتْ: أَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ يَقْطُرُ مِنْهُ الدَّمُ، قَالَ: إِنَّمَا هُوَ أَخِي مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَرَضِيعِي أَبُو نَائِلَةَ، إِنَّ الكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنَةٍ بِلَيْلٍ لَأَجَابَ، قَالَ: وَيُدْخِلُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ مَعَهُ رَجُلَيْنِ - قِيلَ لِسُفْيَانَ: سَمَّاهُمْ عَمْرٌو؟ قَالَ: سَمَّى بَعْضَهُمْ - قَالَ عَمْرٌو: جَاءَ مَعَهُ بِرَجُلَيْنِ، وَقَالَ: غَيْرُ عَمْرٍو: أَبُو عَبْسِ بْنُ جَبْرٍ، وَالحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ، وَعَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ، قَالَ عَمْرٌو: جَاءَ مَعَهُ بِرَجُلَيْنِ، فَقَالَ: إِذَا مَا جَاءَ فَإِنِّي قَائِلٌ بِشَعَرِهِ فَأَشَمُّهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي اسْتَمْكَنْتُ مِنْ رَأْسِهِ، فَدُونَكُمْ فَاضْرِبُوهُ، وَقَالَ مَرَّةً: ثُمَّ أُشِمُّكُمْ.

فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ مُتَوَشِّحًا وَهُوَ يَنْفَحُ مِنْهُ رِيحُ الطِّيبِ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَاليَوْمِ رِيحًا، أَيْ أَطْيَبَ، وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو: قَالَ: عِنْدِي أَعْطَرُ نِسَاءِ العَرَبِ وَأَكْمَلُ العَرَبِ، قَالَ عَمْرٌو: فَقَالَ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَشُمَّ رَأْسَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَشَمَّهُ ثُمَّ أَشَمَّ أَصْحَابَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَتَأْذَنُ لِي؟ قَالَ: نَعَمْ، فَلَمَّا اسْتَمْكَنَ مِنْهُ، قَالَ: دُونَكُمْ، فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ»[٣].

جَبُنت يهود لما رأت أن مَن سب رسول الله ﷺ قُتل، جَبُنت لما رأت العزة والكرامة، ورأت الصحابة تنتصر لرسول الله ﷺ.

واليوم نقولها صريحة: من سب رسول الله ﷺ قُتِل، فإنا نتمنى أن يُقتل من فعل ذلك، فهذا حُكم الله فيه، لكنّا أيضاً لا نرضى ولا نقبل قتل الآمنين ولا اقتحام السفارات، لأن هؤلاء دخلوا بلادنا بتأشيرة أمان، والنبي ﷺ يقول: «مَن أَمَّنَ رَجُلًا عَلَى نَفْسِهِ فَقَتَلَهُ، أُعْطِيَ لِوَاءَ الْغَدْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٤]. وفي رواية «من أمّن رَجلًا على دَمِه فقتَله فأنا بريءٌ مِن القاتِلِ وإن كان المقتولُ كافِرًا»[٥].

٣. رواه البخاري ومسلم.
٤. رواه أحمد وغيره.
٥. أخرجه البزار والطبراني وابن عدي في الكامل.

فهذا دين ربنا، ولن نُدَلّس في الدين على خلق الله. الصحابة وعلى رأسهم محمد بن مسلمة، قتلوا كعب بن الأشرف، لأنه سب رسول الله ﷺ، وقَتَلَ الأعمى جاريتَه، وأمَ ولدِه، لأنها سبّت رسول الله ﷺ.

وذكر ابن تيمية في الصارم المسلول: أن عمر أُتِيَ في خلافته برجلٍ سب الرسول فأمر بقتله.

الحيوان الأعجم ينتصر للرسول

وإن تعجب فاعجب لما هو أكثر من ذلك: اعجب لحيوانٍ أعجم يثأر لرسول الله ﷺ، ولسنا أقل من الأعمى، ولسنا أقل من الأطفال، ولسنا أقل من كلبٍ أعجم، ثأر لرسول الله ﷺ.

يقول ابن حجر: «كان النصارى ينشرون دعاتهم بين قبائل المغول، طمعاً في تنصيرهم، وقد مهّد لهم الطاغية هولاكو سبيل الدعوة بسبب زوجته الصليبية ظفر خاتون، وذات مرة توجه جماعةٌ من كبار النصارى لحضور حفلٍ مغوليٍ كبيرٍ، عُقِد بسبب تنصّر أحد أمراء المغول، فأخذ واحد من دعاة النصارى في شتم النبي ﷺ، وكان هناك كلبُ صيدٍ مربوط، فلما بدأ هذا الصليبي الحاقد في سب النبي ﷺ، زمجر الكلبُ وهاج، ثم وثب على الصليبي وخمشه بشدة، فخلّصوه منه بعد جهد، فقال بعض الحاضرين: هذا بكلامك في حق محمد عليه الصلاة والسلام، فقال الصليبي: كلا بل هذا الكلب عزيز النفس، رآني أشير بيدي فظن أني أريد ضربه، ثم عاد لسب النبي وأقذع في السب، عندها قطع الكلب رباطه ووثب على عنق الصليبي، وقلع زوره في الحال، فمات الصليبي من فوره، فعندها أسلم نحو أربعين ألفاً من المغول»[٦].

وإن تعجب فاعجب من خبر تتناقله وكالات الأنباء ومواقع النت: تقول ما أشبه الليلة بالبارحة لما سبّوا رسول الله، أسلم أربعون ألفاً من التتر لما رأوا سيد البشر يُحافَظُ عليه، ويُنْتَقَم له من كلبٍ أعجم، حيث ذكرت إحدى وكالات الأخبار الأمريكية أن المجمعات الإسلامية بعد سب النبي ﷺ، استقبلت الآلاف من غير المسلمين يسألون عن سيد المرسلين ﷺ، ويسألون عن القرآن، فأُعطوا القرآن، وأُعطوا محاضرات مكثفة عن الإسلام،

٦. الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ج ٣ صـ ٢٠٢ .

فأسلم الآلاف لما رأوا سيد البشر ﷺ يُؤذَى، ورأوا غضبة العالم، أرادوا أن يعرفوا من هو رسول الله ﷺ، فلما علموا أسلموا، فأتت هجمتهم بنتيجة عكسية.. لماذا؟

لأن الله قال: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]

ولو كره المشركون، ولو كره المنافقون، ولو كره العلمانيون، فدين الله باقٍ، ومحمد بن عبد الله باقٍ، رسول الله ﷺ باقٍ في سنته، باقٍ في شرعته.

المطلوب من المسلمين تجاه سب رسول الله



المطلوب منك أن تنصر حبيبك ﷺ:

- وذلك باتباع سنته تربية أبنائك عليها.
- نشر سنته وشِرعته بين الخلق أجمعين.
- المطلوب منك الدعاء.
- الاعتراض بضوابط الشرع.

وأما دور العلماء: فأقول لهم: جَهِّزوا جواباً يوم يسألكم ربكم!

إن أردتم الورود على حوضه، والدخول في شفاعته، يا شيخ الأزهر، ويا مفتي مصر، يا من تدعي حب النبي، وأنك من آل البيت، ومن الغارقين في حبه، دلّل على حبك لرسول الله بالغضب له، وببيان حقه علينا، استمسك بسنته وسِر على منهجه، وانتقم واغضب لرسول الله ﷺ.

المقاطعة حق رسول الله عليك

ثم عليك أن تقاطع كل منتجات السابّين، ولن نموت لو أننا لم نركب سياراتهم الفارهة، إلا أننا نريد أن نرسل رسالةً أننا لن نتعامل مع مَن سب نبيّنا. ولما سبت الدنمارك رسول الله ﷺ وفُعّلت المقاطعة، رُفِعت القضايا على مَن فعل ذلك، وقُدّموا للمحاكمة، فدينهم اليورو الدولار!

وأطالب حكام المسلمين بالتحرك، ومطالبة من فعل ذلك بالاعتذار لكل العالم الإسلامي، وأن يقدم من فعل ذلك للمحاكمة العادلة.



وعلى حكام وقادة المسلمين أيضاً: أن يطالبوا هيئة الأمم المتحدة، ومجلس الأمن، باستصدار قانونٍ عالميٍ، يُحرِّمُ ويُجرِّمُ الإساءةَ لرسول الله ﷺ، ولكل أنبياء الله، ويضعوا العقاب الرادع.

وأطالب كافة المسلمين الذين يدّعون الإسلام صباح مساء، ويدّعون حبّ النبي ﷺ أن يدلّلوا ولو مرة عن حبهم لرسول الله ﷺ، بتفعيل المقاطعة الاقتصادية والمواظبة عليها غضباً لرسول الله ﷺ.

ميراث الحبيب ﷺ



الشيخ خالد فوزي صقر[1]

فك الله أسره

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله ﷺ.

يروي لنا الإمامان البخاري ومسلم من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «عُذِّبت امرأة في هِرَّة سَجَنَتْها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها ولا سَقتها، إذ حبستها، ولا هي تَرَكتْها تأكل مِن خَشَاشِ الأرض».

---

١. مصدر المقال: محاضرة بعنوان "رحمة مهداه.. ميراث النبي ﷺ، منشورة بموقع "الطريق إلى الله"، ٢٠١٩ م، رابط إلكتروني: bit.ly/3Ohwwdv

سبحان الله، ديننا والله دين الرحمة، دين الرفق، دينٌ يحق لنا أن نفخر به، إن الله جل وعلا أمرنا أن تراحم وأخبر نبيه فقال: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}، وقال {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ}.

فإنما يتراحم العباد برحمة الله عزوجل، هذه الرحمة التي أمرنا الله جل وعلا بها لنعرف عظمة الإسلام ليست فقط مختصةً بالمسلم مع المسلم، بل أمرنا الله جل وعلا أن نرحم حتى الكافر، بل وليس الكافر فقط بأن نرحم حتى الحيوانات والدواب، بل وحتى الجمادات والنباتات.

تأمل قول الله جل وعلا: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}.



بر وقسط، رحمة يأمرنا الله جل وعلا بها مع الكفار، الله جل وعلا يمتدح عباده المؤمنين ويذكر من صفاتهم: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا}.

لا إله إلا الله، الإيثار على حبه مع الأسير، والأسير كافر، يؤسر لأنه كافر محارب، لكن الآن أصبح تحت أيدينا، يمدح الله جل وعلا مَن يؤثرونه ويطعمونه رحمة، رحمة والله ما بعدها رحمة، كان لقائل أن يقول وأنّى لهذا أن نطعمه دعوه حتى يموت جوعاً!

لا، لما كان في ساحة القتال أُذن لنا أن نقاتله وأن نرد عدوانه، أما وقد أصبح الآن تحت أيدينا، أما وقد أصبح أسيراً عندنا، فإن الله جل وعلا يمدح رحمتنا له ويمدح إيثارنا له.

ليس الكافر فحسب بل كذلك الحيوانات والدواب يأمرنا الله جل وعلا أن نرفق بهم، ومن ذلك هذا الحديث، الذي هو والله تقشعر له الأبدان، وينبغي أن يخاف منه المسلم العاقل، تُعذب امرأة من أجل هرة؛ هرة!

ماذا فعلت؟ سجنت الهرة، حبستها، لا أطعمتها ولا سقتها بل تركتها على هذه الحالة حتى ماتت الهرة، فدخلت فيها النار. لا إله إلا الله! تدخل النار في هرة؟ نعم لأن المسألة ليست في «هرة ماتت»؛ بل «في قلب مات»! في قلب قسى حتى يُعذب مخلوقاً من مخلوقات الله جل وعلا بهذه الطريقة، بأي حق تسلطت هذه المرأة على هذه الهرة؟ من الذي أذن لها؟ من الذي رخص لها أن تفعل هذا الفعل؟



ربنا جل وعلا يأبى أن يكون عباده على هذه الحال، يكره الله تبارك وتعالى لعباده أن تتصف قلوبهم بالقسوة، ولما عاتب الله جل وعلا المؤمنين عاتبهم فقال لهم: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ}؛ يذكرهم: احذروا أن تكونوا مثل أهل الكتاب الذين طال عليهم الأمد على معصية الله، ماذا كانت النتيجة؟ وصلوا إلى الثمرة السيئة وصلوا إلى النتيجة السيئة فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون.

وإن أبعد القلوب من الله القلب القاسي، فالله تبارك وتعالى لا يحب لعبده أن يكون قلبه على هذا النحو؛ بل لو رق قلب العبد ولو لحيوان؛ الله جل وعلا يغفر للعبد الذنوب ولو كانت عظيمة، تأمل في حديث المرأة البَغِيّ؛ امرأةٌ بغيٌ زانيةٌ، حِرفتُها البغاء والزنا. تمر في الصحراء على بئر فتجد كلباً يطوف حوله قد أنهكه التعب وبلغ به العطش مبلغه، ماذا فعلت هذه المرأة البغي؟

" حلّت الرحمة في قلبها فرقّ لهذا الحيوان الضعيف، واستحضر قلبها من عظمة الله جل وعلا ومن رحمة الله تبارك وتعالى الكثير، فغامرت ونزلت إلى البئر إلى أسفله مع ما يكتنف ذلك الفعل من الخطورة ومن احتمال هلكتها، نخلعت حذائها وملأته ماء وصعدت وسقت الكلب، فشكر الله جل وعلا لها فغفر لها لرحمتها! "

انظر على النقيض الأولى دخلت النار في الهرة عندما قسى قلبها وعذبت هذا الحيوان البريء.



الذين يتعاملون مع هذه الدواب بالقسوة والغلظة إذا ما كلمته قال هذا حيوان! هل لأنه حيوان تعذبه؟ تسيء إليه؟ لا والله ستُحاسب على ذلك يوم القيامة.

النبي ﷺ يقول معلماً لنا كيف تكون الرحمة وكيف يكون الإحسان حتى في أشد الأوقات ظهوراً للقسوة، قال لك كن رحيماً محسناً، قال ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِبحة، وليحدّ أحدكم شفرته وليُرِح ذبيحته».

سبحان الله! ما أجمله من خُلق وما أحياه من دين، ما أطيبها من رحمة، البعض قد يقول هذا سيُقتل ما بال الإحسان بالقتل؟ وهذه ستُذبح فما فائدة الإحسان عند الذبح؟ لا والله، فإن كان الله جل وعلا قد أذِن في القتل

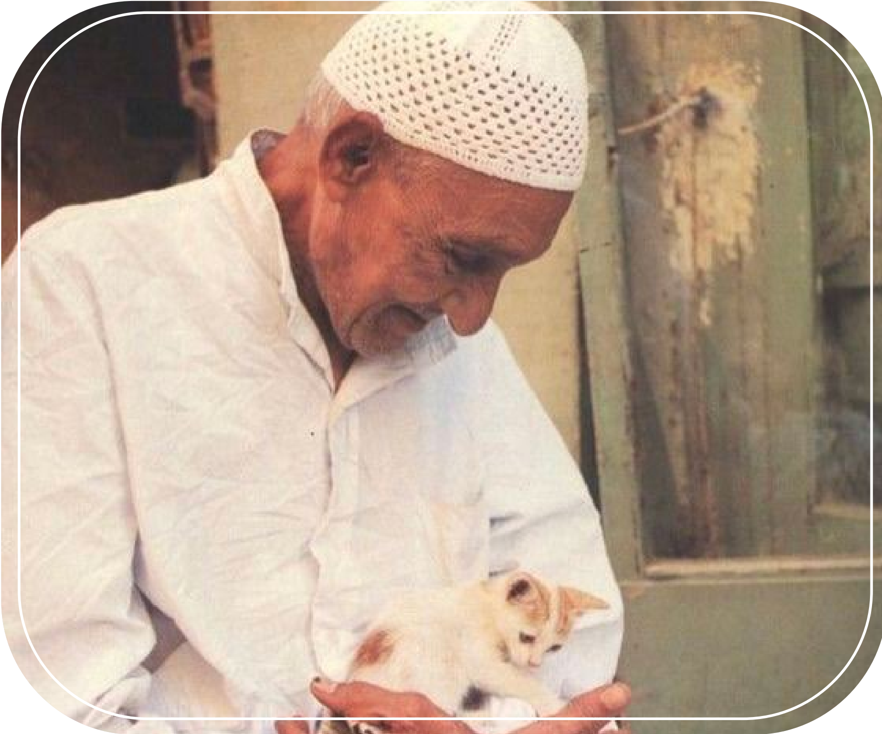
بحق قصاصاً أو غير ذلك، فما أذن في التمثيل وما أذن في التعذيب، وإن كان الله جل وعلا قد أذن لنا أن نذبح من هذه الأنعام والدواب وشرع لنا ربنا جل وعلا أن نأكلها فما أذن لنا أن نعذبها، فانظر إلى قول النبي ﷺ «وليحدّ أحدكم شفرته وليُرح ذبيحته»، نُهينا أن تكون شفرة السكين الذي نذبح به الحيوان ليست حادة فنعذب الحيوان.

بل أدبنا النبي ﷺ ألا نذبح حيواناً أمام الآخر، وقال لمن فعل ذلك: «أتريد أن تُميتها مَوْتاتٍ؟ هل حَددت شفرتك قبل أن تُضجعها».

فهي تنظر إلى أختها وهي تُذبح هكذا أمامها. لا! أخفِ عنها ما تذبح، وإذا شحذتَ سكيناً أخفِ عنها ما تفعل حتى لا تميتها موتات.

ولما رأى ﷺ جزاراً يسوق شاة بعنف قال: «سُقها إلى الموت سوقاً رفيقاً».

أرأيتم الرحمة؟ رحمة حتى مع الحيوان، يقولون أين أنتم أيها الناس من حقوق الإنسان؟ إن حقوق الإنسان والرحمة يعرفها دين الله جل وعلا، حقوق الإنسان والرحمة بالخلق جميعاً إنما هي في شريعتنا، في شريعة ربنا تبارك وتعالى الذي يحاسب العبد على إساءته ولو للحيوانات، فتدخل النارَ امرأةٌ في هرة حبستها.



نسأل الله جل وعلا أن يرزقني وإياكم قلوباً رحيمة رقيقة تلتزم بأمر الله عز وجل، وتخضع لعظمة الله تبارك وتعالى، والحمد لله رب العالمين.

نصرة النبي ﷺ (٢/٢)



الشيخ محمد صالح المنجد[١]

فك الله أسره



إن الله عز وجل يَغار على دينه ويغار على نبيه ﷺ، ومن غيرته تعالى أنه ينتقم ممن آذى رسوله، لأن من آذى رسوله فقد آذى الله، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا} [الأحزاب:٥٧]. والله تعالى قد تولى الدفاع عن نبيه ﷺ {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا} [الحج:٣٨]، وأعلن عصمته له من الناس {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} [المائدة:٦٧]، وأخبر أنه سيكفيه المستهزئين {إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ} [الحجر:٩٥]، سواء كانوا من قريش أو من غيرهم.

١.نتابع هذا العدد مع جزء ثانٍ من مقال نصرة النبي صلى الله عليه وسلم، لمحمد صالح المنجد، منشور بموقع طريق الإسلام، رابط المادة: iswy.co/e47qc.

قال الشنقيطي رحمه الله: وذكر الله في مواضع أخرى أنه كفاه غيرهم كقوله في أهل الكتاب: {فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ} [البقرة:١٣٧] وقال: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} [الزمر:٣٦]. وقال ابن سعدي رحمه الله: وقد فعل تعالى، فما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله ﷺ وبما جاء به، إلا أهلكه الله وقتله شر قتلة.

أخرج الطبراني في الأوسط والبيهقي وأبو نعيم كلاهما في الدلائل وابن مردويه بسند حسن والضياء في المختارة، عن ابن عباس في قوله {إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ}، قال: المستهزئون، الوليد بن المغيرة والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب والحارث بن عبطل السهمي والعاص بن وائل، فأتاه جبريل فشكاهم إليه رسول الله ﷺ فقال: أرني إياهم، فأراه كل واحد منهم، وجبريل يشير إلى كل واحد منهم في موضع من جسده ويقول: كَفَيْتُكَهُ، والنبي ﷺ يقول: ما صنعت شيئاً! فأما الوليد، فمرّ برجل من خزاعة وهو يريش نبلاً فأصاب أكحله فقطعها. وأما الأسود بن المطلب، فنزل تحت سمرة فجعل يقول: يا بنيّ ألا تدفعون عني؟ قد هلكت وطُعنت بالشوك في عينيّ فجعلوا يقولون: ما نرى شيئاً فلم يزل كذلك حتى عتمت عيناه. وأما الأسود بن عبد يغوث، فخرج في رأسه قروح فمات منها. وأما الحارث فأخذه الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات منه. وأما العاص فركب إلى الطائف فربض على شبرقة فدخل من أخمص قدمه شوكة فقتلته. (الدر المنثور ١٠١/٥).

واجبنا في نصرة النبي ﷺ:

إن الله عز وجل يقول: {فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الأعراف:١٥٧] فواجب علينا أيها الأحبّة أن ننصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. هناك وسائل فردية يستطيع الفرد القيام بتحقيقها في حياته العلمية والعملية، ومن أهم تلك الوسائل العامة التي نبين فيها بجلاء نصرة النبي ﷺ ما يلي:



١ الاحتجاج على الصعيد الرسمي على اختلاف مستوياته، واستنكار هذا التهجّم بقوة، وإننا نعجب أن الشجب والاستنكار الذي نحن أهله دائماً لم يستعمل هذه المرة، ونعجب أخرى أن يستنكر هذه الإساءة وزير خارجية بريطانيا سابقاً بذلك آخرين كانوا أحق بها وأهلها.

٢ الاحتجاج على مستوى الهيئات الشرعية الرسمية، كوزارات الأوقاف، ودور الفتيا، والجامعات الإسلامية.

٣ الاحتجاج على مستوى الهيئات والمنظمات الشعبية الإسلامية وهي كثيرة.

٤ إعلان الاستنكار من الشخصيات العلمية والثقافية والفكرية والقيادات الشرعية، وإعلان هذا النكير من عتبات المنابر وأعلاها ذروة منبري الحرمين الشريفين.

٥ المواجهة على مستوى المراكز الإسلامية الموجودة في الغرب بالرد على هذه الحملة واستنكارها.



٦ المواجهة على المستوى الفردي، وذلك بإرسال الرسائل الإلكترونية المتضمنة الاحتجاج والرد والاستنكار إلى كل المنظمات والجامعات والأفراد المؤثرين في الغرب، ولو نفر المسلمون بإرسال ملايين الرسائل الرصينة القوية إلى المنظمات والأفراد فإن هذا سيكون له أثره اللافت قطعاً.

٧ استئجار ساعات لبرامج في المحطات الإذاعية والتلفزيونية تدافع عن النبي ﷺ، وتذبّ عن جنابه، ويستضاف فيها ذوو القدرة والرسوخ، والدراية بمخاطبة العقلية الغربية بإقناع، وهم بحمد الله كُثر.



٨ كتابة المقالات القوية الرصينة لتُنشر في المجلات والصحف -ولو كمادّة إعلانية-، ونشرها على مواقع الإنترنت باللغات المتنوعة.

٩ إنتاج شريط فيديو عن طريق إحدى وكالات الإنتاج الإعلامي، يعرض بشكل مشوق وبطريقة فنية ملخصاً تاريخياً للسيرة، وعرضاً للشمائل والأخلاق النبوية، ومناقشة لأهم الشُّبَه المثارة حول سيرة المصطفى ﷺ، وذلك بإخراج إعلامي متقن ومقنع.

١٠ طباعة الكتب والمطويات التي تعرّف بشخصية النبي ﷺ، ويراعَى في صياغتها معالجة الإشكالات الموجودة في الفكر الغربي.

١١ عقد اللقاءات، وإلقاء الكلمات في الجامعات والمنتديات والملتقيات العامة في أمريكا لمواجهة هذه الحملة.

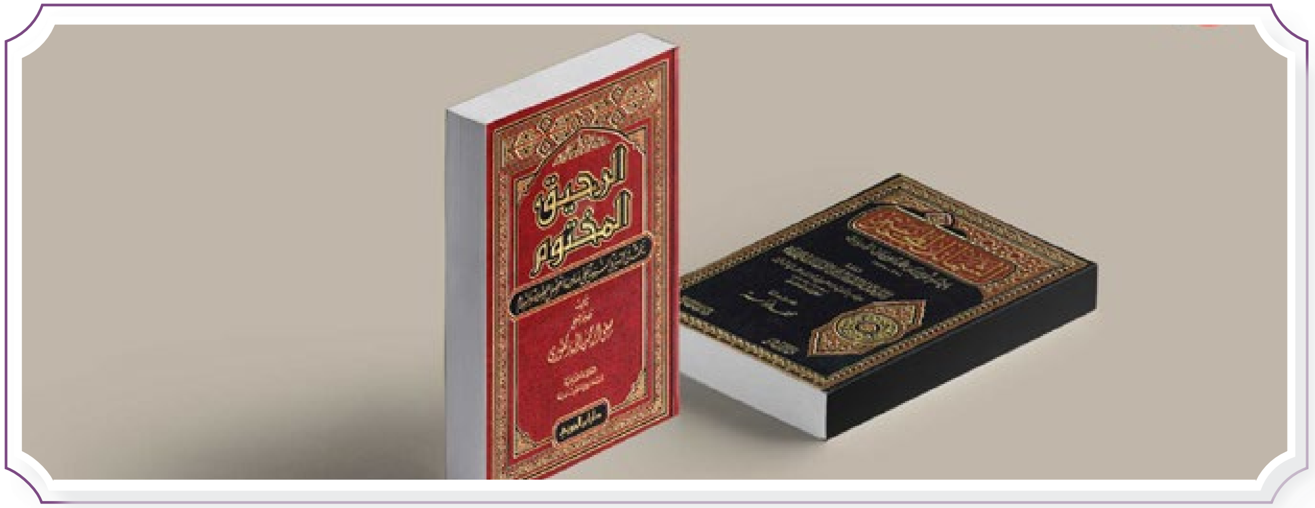
١٢ إصدار البيانات الاستنكارية من كل القطاعات المهنية والثقافية التي تستنكر وتحتج على هذه الإساءة والفحش في الإيذاء.

١٣ إيجاد رد صريح من قبل العلماء الربّانيين، والتعليق عليه وتبيين الموقف الشرعي في قضية التعدّي على الرسل والأنبياء والنبي ﷺ، مع إقامة مجموعة تنفيذية من العلماء المتخصصين وطلبة العلم للإجابة عن هذه الافتراءات خلال مواقع الانترنت وغيرها. ووالله لو قام العلماء في كل مكان في السعودية وفي مصر وفي الجزائر وفي المغرب العربي والعالم الإسلامي جميعاً، ووجّهوا لعامة الناس وخاصة في الغرب خطر هذه القضية، وأن هذه الشائعات لا يرضاه أصلاً أنبياؤهم كعيسى وموسى، فضلاً أن تكون في محمد ﷺ.

١٤ إقامة معارض دولية متنقلة ودائمة في المطارات وفي الأسواق وفي الأماكن العامة، بالتنسيق مع الجهات المسؤولة حتى نبرز شيئاً من شخصية النبي ﷺ في حياته وأخلاقه وشمائله، وأيضاً نبرئ ذممنا أمام الله جل وعلا وأمام رسوله ﷺ.

١٥ إيجاد مؤلفات تحمل بين جنباتها حياة النبي ﷺ وسهولته وسماحته في الحياة بجميع اللغات، حتى يوضح للعالم حياة النبي ﷺ من جهة، ومن جهة يرد على أولئك الذين تسلطوا على شخصيته وشرفه ﷺ.

١٦ تبادل الأفكار المجدية في هذه القضية، وإضافة أفكار جديدة والتواصي بها، وسيجد كل محب لرسول الله ﷺ معظّم لجنابه مجالاً لإظهار حبه وغيرته وتعظيمه، فهذا يأتي بفكرة، وذاك يكتب مقالة وآخر يترجم، وآخر يرسل، وآخر يموّل في نفير عام لنصرة النبي ﷺ.



١٧ إعداد برامج للتعريف بالنبي ﷺ، بحيث تتبنى كل مؤسسة أو جهة دينية مثلاً برنامجاً، ويُنشَر في المجتمعات، وخاصة الغربية التي تسممت أفكارهم بهذا الغزو الخبيث ضد النبي ﷺ، سواء كان ذلك عبر المجلاّت الإسلامية الهادفة والجرائد اليومية، أو عبر القنوات الفضائية، أو حتى إيجاد برنامج متكاملة تُعدّ في أقراص كمبيوترية تبيّن شخصية النبي ﷺ وشمائله، حتى تُستعمَل بسهولة.

١٨ لو أُصدرت مجلة شهرية خاصة بالنبي ﷺ تبرز مواقف النبي ﷺ من أعدائه، وكيف تعامل معهم على حسب فئاتهم، لكان أجمل وأشمل وأفود، خاصة ونحن نرى العالم الإسلامي يعجّ بكثير من المجلاّت الإسلامية، فلو خُصص للنبي ﷺ والدفاع عنه شيئا لكان واجباً علينا فعل ذلك.

١٩ إنشاء مؤتمرات عالمية إسلامية توضح فيه سماحة الإسلام ويسر دين النبي ﷺ، وأن ما يوجه ضد النبي ﷺ إنما هو من قبيل الكذب والافتراء، ولو أعلنت كل دولة إسلامية إيجاد مؤتمر إسلامي يعارض فيه ما وجه لنبيهم ﷺ، فإن هذا بحد ذاته رسالة للعالم مفادها أن شخصية النبي ﷺ شخصية فاصلة لا يمكن تجاوزها والعبث بها.

٢٠ إقامة مؤتمرات في أمريكا وأوروبا تعالج هذه القضية، وتعرض للعالم نصاعة السيرة المشرفة وعظمة الرسول ﷺ.

٢١ المطالبة بصياغة نموذج لرسالة استنكار وشجب باللغتين العربية والإنجليزية، تكون جاهزة للإرسال ومدعمة بعنوان سفارات الدانمارك والنرويج في شتى دول العالم الإسلامي، على أن تتضمن هذه الرسالة المطالب الآتية:

أ- المطالبة بسن القوانين التي من شأنها تفعيل احترام المؤسسات الدنمركية والنرويجية لكل ما يمس ديننا الحنيف.

ب- إيقاف الجريدة.

ج- إلزام الجريدة بالاعتذار للعالم الإسلامي، ونشره على صفحات صحف تنتمي إلى العالم الإسلامي والأوروبي.



على مستوى العاملين في الشبكة العنكبوتية وأصحاب المواقع:

١ إنشاء قاعدة بيانات على الشبكة العالمية الانترنت عن السيرة النبوية بجميع اللغات، وقد أُطلقت مثل هذه البرامج عبر الانترنت من قِبل اللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء ﷺ، ولجنة مناصرة النبي ﷺ. لكن برنامج أو برنامجين لا يكفي، بل لا بد من تكاتف الأمور حتى يسير هذا العمل أقوى بكثير.

٢ تكوين مجموعات تتولى إبراز محاسن هذا الدين ونظرة الإسلام لجميع الأنبياء بنفس الدرجة من المحبة وغيره من الموضوعات ذات العلاقة.

٣ إنشاء مواقع أو منتديات أو تخصيص نوافذ في المواقع القائمة تهتم بسيرة المصطفى ﷺ وتبرز رسالته العالمية.

٤ المشاركة في حوارات هادئة مع غير المسلمين، ودعوتهم لدراسة شخصية الرسول ﷺ والدين الذي جاء به.

٥ تضمين أو تذييل الرسائل الإلكترونية التي تُرسل إلى القوائم البريدية الخاصة ببعض الأحاديث والمواعظ النبوية.

٦ إعداد نشره إلكترونية - من حين إلى آخر - عن شخصية الرسول ﷺ ودعوته، وخاصة في المناسبات والأحداث الطارئة.

٧ الإعلان في محركات البحث المشهورة عن بعض الكتب أو المحاضرات التي تحدث عن الرسول ﷺ.

موقف في نصرة النبي محمد ﷺ

قصة الشيخ محمد عبده مع حاخام يهودي وقسيس نصراني:

جلس الثلاثة في حضرة الخديوي في قصر عابدين في مصر، فقال لهم خديوي مصر: أنتم الثلاثة تمثلون الأديان الثلاثة وأريد أن يثبت كل واحد منكم أنه وأتباعه هم الذين سيدخلون الجنة.

فقال حاخام اليهود ليتكلم البطريرك أولاً، وقال البطريرك ليتكلم الإمام أولاً - يعني الشيخ محمد عبده - فقال الخديوي: تكلم يا إمام.

فقال الإمام محمد عبده: يا خديوي، إذا كان اليهود سيدخلون الجنة لكونهم آمنوا بموسى فنحن داخلوها لأننا آمنا بموسى، وإذا كان النصارى سيدخلون الجنة لكونهم آمنوا بعيسى فنحن داخلوها لأننا آمنا بعيسى، وإذا كنا داخليها فلن يدخلها هؤلاء ولا أولئك لأنهم لم يؤمنوا بمحمد ﷺ فإيماننا إيمان شامل كامل!

أنصار النبي صلى الله عليه وسلم

(هو الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وبِالمُؤْمِنِين)

@AnsarMagazine

الأمين العام للهيئة
د. محمد الصغير

رئيس التحرير
محمد إلهامي